مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الموقف الثقافي
2024 - 2025

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

(الأندية الادبية، اللغة العربية، الفنون التشكيلية، التعليم، المسرح، السينما، معارض الكتاب، التاريخ، الاعلام، الثقافة والمثقف)

من نحن؟

جميع الحقوق محفوظة لمركز الخليج للأبحاث وشركة المعرفة ©

ⓒ مركز الخليج للأبحاث ، ١٤٤٦هـ

البرنامج الثقافي والإعلامي بمركز الخليج للأبحاث
الموقف الثقافي. / البرنامج الثقافي والإعلامي بمركز الخليج
للأبحاث .- الرياض ، ١٤٤٦هـ

رقم الإيداع: ١٤٤٦/١٥٤٠٩
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٦٤٩٢-٧

عناوين ثقافية يتم من خلالها رصد موقف المثقفين بشكل شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية.

مقدمة:

د. عبد العزيز بن عثمان بن صقر
رئيس المركز

تمثل الثقافة بما تعنيه من مفهوم ودلالة قاعدة رئيسة في مختلف العلوم والبرامج، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو غيرها، فالثقافة قبل أن تكون عاملا معرفيا هي أداة لتنمية الوعي والإدراك، وهما غاية ما تستهدفه مختلف البرامج السياسية، والاقتصادية، والأمنية، والبيئية، وغيرها. من هذا المنطلق كان إيماننا في مركز الخليج للأبحاث بأهمية البعد الثقافي، والذي لم يكن غائبا منذ الابتداء، حيث شكّل حجرة أساس في كثير من المواضيع التي نوقشت، ومثّل لبنة رئيسة في عديد من المؤتمرات واللقاءات التي نظمها المركز أو شارك فيها؛ على أننا ومنذ سنوات معدودة رأينا في المركز أن يتجلى ببرنامج خاص به، أسوة بالبرامج الأخرى، فكان البرنامج الثقافي والإعلامي عنوانا مهما منذ التأسيس وحتى اليوم، من خلال موضوعاته المتنوعة والتي قاربت المشهد عبر عدد من العناوين منها هذا العنوان الذي بين يدينا وهو «الموقف الثقافي»، والذي نأمل أن يجد فيه القارئ مبتغاه، ويكون لبنة من لبنات مشهدنا الثقافي العام. مع إيمانا العميق بأن الحياة تتجدد، والإبداع يستمر، والمعرفة يجب أن تكون للجميع، وهو شعارنا الذي أمنا به منذ الابتداء.

مقدمة:

د. زيد بن علي الفضيل

مدير البرنامج الثقافي والإعلامي

في ظل التحولات الثقافية والاجتماعية المتسارعة التي تشهدها منطقتنا العربية، أصبح من الضروري أن نواكب هذه التغيرات برؤية نقدية وتحليلية تساهم في فهم أعمق للمشهد الثقافي بمختلف أبعاده. من هذا المنطلق، يأتي هذا العنوان الثقافي ليكون مساحةً دوريةً تصدر نصف شهريًا، حيث يتم من خلاله رصد وتحليل موقف المثقفين تجاه حالة ثقافية معينة في كل إصدار، وفقًا للمجال الثقافي المتناول، سواء كان ذلك في المسرح، السينما، الأدب، أو أي من الفنون الأخرى التي تشكل نسيج الثقافة المتكامل.

إن الثقافة بمفهومها الواسع، الذي أقرته المؤسسات الرسمية في المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي، لا تقتصر على الإنتاج الإبداعي فحسب، بل تشمل أيضًا كل ما يسهم في تشكيل الوعي العام، وصياغة الهوية، وإبراز التنوع الفكري الذي يثري المجتمعات. وعليه، يهدف البرنامج الثقافي والإعلامي بمركز الخليج للأبحاث من خلال هذا الإصدار إلى تسليط الضوء على مختلف القضايا الثقافية التي تهم المتلقي، وتسعى إلى تعزيز الحوار الثقافي بين المثقفين وصناع القرار والجمهور المهتم.

حرصنا من خلال هذه النافذة الثقافية على تقديم قراءة موضوعية وتحليلية للفعاليات الثقافية، والنقاشات الدائرة حولها، مع الأخذ بعين الاعتبار مختلف الآراء والتوجهات الفكرية التي تعكس ثراء وتعددية المشهد الثقافي الخليجي والعربي. كما تم تناول المبادرات الثقافية الرسمية وغير الرسمية التي تسهم في إثراء الحراك الثقافي، واستعراض تأثيراتها على المجتمع بشكل عام.

إننا نؤمن بأن الثقافة ليست مجرد ترف فكري، بل هي عنصر أساسي في بناء المجتمعات وتشكيل مستقبلها. لذا، يأتي هذا الإصدار ليكون حلقة وصل بين المثقف والمتلقي، وليرصد ملامح التطور الثقافي الذي يعيشه مجتمعنا في ظل التحديات والفرص المتاحة.

نتمنى أن يكون هذا الإصدار إضافة قيمة للحراك الثقافي، وأن يساهم في تعزيز الوعي بأهمية الثقافة في حياتنا اليومية.

الفهرس

العدد الأول- المسرح 15

العدد الثاني- السينما 39

العدد الثالث- الفنون التشكيلية 59

العدد الرابع- الأندية الأدبية 93

العدد الخامس- اللغة العربية 141

العدد السادس- التاريخ 179

العدد السابع- الأعلام 219

العدد الثامن- التعليم 255

العدد التاسع- معارض الكتاب 295

العدد العاشر- الثقافة والمثقف 347

العدد الحادي عشر- تجسير الفن الثقافي 403

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

ما الذي نحتاجه مسرحياً؟

العدد الأول -المسرح

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
يناير - 2024

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية. ونستهدف منه أن نوصل رأي المعنيين للجهات المسؤولة، فنكون بمثابة حلقة من حلقات الربط بين هيئات وزارة الثقافة والمرتبطين بها ثقافيا.

إخلاء مسؤولية:

تمثل الآراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد الكتاب والمثقفين المشاركين، ولا تعبر بالضرورة عن رأي البرنامج الثقافي والإعلامي بمركز الخليج للأبحاث وإدارته.

يتميز المسرح بتاريخ عريق في المملكة العربية السعودية يرجع إلى خمسينات القرن الماضي مع رواد مثل الشيخ صالح بن صالح وعبد العزيز الهزاع في القصيم، وعبد الله خوجة وأحمد السباعي في مكة المكرمة، حيث عمل هؤلاء الرواد على تقديم المسرح بوصفه عرضاً فنيا حيا وليس مجرَّد نص أدبي يتم تقديمه إلى الجمهور السعودي المتعطش إلى هذا النوع من الفنون.

ومثَّل إنشاء الجمعية العربية السعودية للفنون عام 1973م انطلاقة مؤسسية للمسرح السعودي شهدت تقديم أعمال مسرحية احترافية أصلّت للمسرح في المشهد الثقافي المحلي وقدمت عروضاً مسرحية بهوية فنية مستقلة تجاوزت ما شهدته المراحل الماضية من اعتماد على النقل والتعريب. ومنذ ذلك الحين بات المسرح ركناً أساسياً في المشهد الثقافي السعودي، ومنصة لتصدير المواهب في مجالي التمثيل والكتابة إلى الدراما والسينما، ضمن جهود يغلب عليها في كثير من الأحيان الطابع الفردي.

ومع انطلاق رؤية المملكة 2030، وما تلا ذلك من إنشاء وزارة مستقلة للثقافة في عام 2018م، ثم هيئة مختصة بالمسرح والفنون الأدائية في عام 2020م، حظي المسرح بدفعة جديدة، وأصبح عنصراً أساسياً في برامج الرؤية المتعلقة بالثقافة والفنون وتحسين جودة الحياة. وفي ظل هذا التحول انتعشت العروض المسرحية، حيث شهد عام 2022م على سبيل المثال تقديم 150 عرضاً مسرحياً، كما زاد الإقبال على المسرح، واستضافت البلاد عدداً من المهرجانات المسرحية الدولية.

وعلى الرغم من هذا التحول، إلا أنه لا تزال هناك مجالات للتحسن والتطوير، وهو ما دفعنا في هذا العدد االاستهلالي من "الموقف الثقافي" إلى استطلاع رأي الخبراء والمتخصصين في المسرح حول "ما الذي نحتاجه مسرحياً؟"، وفيما يلي نورد إجابات هؤلاء الخبراء مرتبة أبجدياً.

عباس الحايك
كاتب مسرحي

يمرُّ المسرحُ السعودي بالخصوص في هذه الفترة بمرحلة انتعاش واضحة بعد بضع سنوات من السكون، فقد بدأت هيئة المسرح والفنون الأدائية بتنفيذ مبادراتها النوعية التي أسهمت في حراك مسرحي لافت. فالهيئة قدمت للمسرح السعودي أولاً والمسرح العربي ثانياً عدداً من المبادرات، مثل التدريب عبر الورش التي أطرها مسرحيون عرب، كما أنتجت عدداً من العروض المسرحية، وأقامت مهرجانين مهمين هما مهرجان الرياض للمسرح الذي تنافست فيه 10 عروض مسرحية، ومهرجان أندية الهواة المسرحي الذي أتاح للمسرحيين الشباب حاضنة لتقديم تجاربهم المسرحية، بالإضافة لاستضافتها مهرجان المسرح الخليجي للفرق الأهلية الذي توقف لسنوات، وأعادت الهيئة الحياة له، وستستضيفه الرياض في شهر فبراير القادم.

هذه المبادرات لا تحسب فقط للمسرح السعودي، بل إنها ستترك أثرها بالتأكيد على المسرح الخليجي والعربي. كما أنَّ المهرجانات التي أقامتها وستقيمها هيئة المسرح والفنون الأدائية، تضاف لقائمة المهرجانات الخليجية التي تقام في أكثر من دولة، ومنها المهرجانات التي تقيمها وترعاها أمارة الشارقة، مثل مهرجان أيام الشارقة المسرحي، الذي ورغم كونه مهرجاناً محلياً إلا أنَّ له أثراً على المسرح العربي بما تحويه دوراته السابقة التي تجاوزت الثلاثين دورة.

وبالإضافة إلى ذلك فأمارة الشارقة تقيم مهرجان المسرح الصحراوي، وهو مهرجان عربي، ومهرجان الشارقة للمسرح الخليجي الذي يقام كل سنتين، ومهرجان المسرح العربي الذي تقيمه الهيئة العربية للمسرح ويرعاه حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، علاوة على غيرها

من المهرجانات في الكويت، والبحرين، وسلطنة عمان، وقطر. هذه المهرجانات تتنوع عروضها ما بين عروض مسرح الطفل، ومسرح الكبار، وعروض المونودراما، والمسرح الثنائي، ومهرجانات مسرح الشباب.

لكن دائماً ما يتبادر السؤال لدى المتابعين للمسرح الخليجي وحتى العربي، هل يمكن لهذه المهرجانات أن تخلق حالة تواصل دائمة مع الجمهور؟ أم أن هذه المهرجانات نخبوية مخصصة للمسرحيين والمهتمين بالمسرح؟

سؤال العلاقة بين المسرح والجمهور يبدو سؤالاً جدلياً، تختلف الإجابة عليه وفقاً لقناعات المسرحيين ونوعية العروض التي يقدمونها. فمن المسرحيين من يؤمن بأنَّ المسرح فنٌ أُبتكر للترفيه بالدرجة الأولى، وأنَّ على المسرحيين أن ينقادوا بكليتهم لرغبات الجمهور وذائقتهم، لذا هم يفضلون تلك العروض المسرحية التجارية، إذا صحَّت التسمية، التي تعتمد غالباً على نجومية ممثل وعلى الارتجالات مهما كان شكلها، بينما يرى آخرون أنَّ المسرحي وما يقدمه، هو ما يشكل ذائقة الجمهور، وبالتالي يجب ألا ينساق لما يريده الجمهور واعتاد عليه من عروض مسرحية، فالمسرح فنٌ راقٍ لا ينحاز إلا للجمال.

الجمهور العربي، ليس بتلك السطحية التي يصورها البعض، فلديه المَلَكَة في التفريق بين الغث والسمين، وذاكرته تحتفظ دائماً بالعروض المسرحية الجيدة، ولا يحتاج سوى أن تفتح له نافذة يطل منها على العروض المسرحية بكل أشكالها وأنواعها، فالتجارب أثبتت أنَّ الجمهور يمكن أن يحضر عروضاً نوعية أو ما يطلق عليها بعض المسرحيين بالنخبوية ويخرج بمتعة خالصة كما يستمتع بحضور عرض جماهيري، ولكن المهم كيف نقدم له هذا العرض وكيف نهيئ له الأرضية لتلقيها.

الجمهور يحتاج لأنْ يشاهد عروضاً مسرحية طيلة العام، وأن يجد في جدول المسرحيات التي تعرض أنواعاً من المسرحيات يمكنه أنْ يختار ما يناسبه منها، ومع الوقت سيجد هذا الجمهور الطريق إلى حضور عروض المهرجانات ويتفاعل معها كما يتفاعل المتخصصون، فالمسرح لا تكتمل معادلته إلا بجمهور يتلقَّى بلهفة وشغف.

ما الذي نحتاجه مسرحياً؟

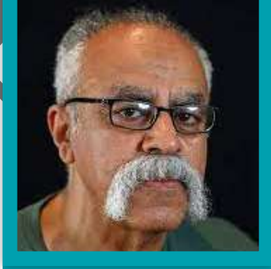

عبد الله الجفَّال
ممثل ومخرج وكاتب مسرحي

“

ما الذي نحتاجه مسرحياً؟ سؤال ربما يبدو سهلاً ممتنعاً، إذْ كانت الفترة السابقة في عهد الجمعيات الثقافية المسرحية السعودية قد غذَّت الساحة بالكثير من المسرحيات ذات التجارب المسرحية المتعددة بفضل انتشارها جغرافياً عبر أربعة عشر مركزاً توزعت في أنحاء المملكة مما جعلها منارة لكافة الفنون بما فيها المسرح.

الوضع حالياً مختلف من حيث مركزية هيئة المسرح في عهدها الجديد، واستمرت بفعل ظروف وباء كوفيد-19 دون أن يكون نشاطها فاعلاً على مستوى إنتاج واحتضان العروض المسرحية!! لكنها في السنة الماضية وهذه السنة بدأت تقطف ثمار الجهد المبذول أثناء فترة الوباء. وهكذا بدأنا نشاهد باكورة العمل الجاد من خلال احتضان 40 عملاً مسرحياً على مستوى مناطق المملكة.

بعدها بدأت مرحلة أخرى على مستوى الأندية المسرحية، وبدأنا نلمس هذه العروض على مستوى مدينة الرياض. عروض قدمت من مختلف أنحاء المملكة، قدم نصوصها 54 نادياً من الأندية المسرحية وقبل منها ثمانية عروض مسرحية.

ما يسرني أن الهيئة قد بدأت تستنير بأراء الفنانين المسرحيين السعوديين، كما بدأت تستجيب لمرئياتهم في تطوير الأندية والفرق المسرحية، وفي توفير الساحات والقاعات من أجل إقامة هذه العروض في كافة أنحاء المملكة بالتعاون مع منصة «هاوي»، وها نحن نسابق الزمن لكي نزخر بالكثير من العروض الرائدة التي يمكن أن تنافس مثيلاتها على المستوى المحلي والعربي وربما العالمي في مرحلة لاحقة.

ورغم التكاليف الكثيرة التي بذلت من أجل إنجاح هذه الفعاليات المسرحية، إلا أنَّ المشوار ما زال في أوله لكي نرتقي بالمسرح. ومن أهم مقومات هذا الرقي تواجد هيئة المسرح في كافة مناطق المملكة كما كانت الجمعيات سابقاً، وكنت آمل أنْ تكون للهيئة مراكز ثقافية فنية كما هو حال الجمعيات سابقاً، بحيث تتجاوز مركزية المكان، وتكون مصدر إشعاع للفن في كل قرية ومدينة.

وثاني هذه الأمنيات هو أن تتوحَّد معاييرُ الموافقة على النصوص والعروض عبر «هاوي» بتعاون من هيئة المسرح، بحيث تكون الموافقة هي المرجعية التي تستند عليها أي مؤسسة حكومية أو قطاع خاص، وتكون موافقة نهائية لا تحتاج إلى موافقة أخرى حتى لا تتعطل العروض بفعل روتيني من هنا أو هناك. وهذا إشكال بسيط يمكن تجاوزه بدعوة المسؤولين عن تشغيل المسارح في كل أنحاء المملكة كما هو الحال في دعوة رؤساء الأندية أو من ينوب عنهم ليتعرفوا على هذا الجهد الكبير الذي تقوم به بوابة «هاوي» وهيئة المسرح والهيئات والمؤسسات المنضوية تحت “هاوي» من أجل تسهيل العروض وحل كل الأطر الإدارية المعطلة.

في الحقيقة أنا واثق من أنَّ الهيئة تعمل على حصر هذه المسارح على مستوى المملكة وتعمل فعلاً على تسهيل هذه العقبات، وقد سمعنا من «هاوي» أنَّ أي معضلة مستقبلية مع أي مسؤول عن تشغيل المسرح سسيتم حلها خلال 3 أيام عمل من رفع الشكوى إليهم من قبل الأندية. وهذا إنجاز كبير إن تحقَّق فعلاً فسنقطع أشواطاً طويلة في دعم الأندية، لا سيما في إيجاد الساحات والمواقع الصالحة للعرض المسرحي.

وأخيراً كلنا نعرف أنَّ المسرح لا يعيش منعزلاً عبر بوابات أو شبكات التواصل الإجتماعي، فهو فعل ثقافي يحتاج إلى التواجد عبر مراكز ثقافية تجمع مثقفيه وفنانيه في كل أنحاء المملكة كمسرح اجتماعي يحتاج إلى التواصل الاجتماعي. ومن هنا أتمنى أن نخلق في بنيتنا التحتية لهيئة المسرح مراكز ثقافية فنية تضاهي مثيلاتها في الجمعيات السعودية السابقة تتوزع في أنحاء المملكة لتكون حاضنة للهيئات المتعددة ثقافياً وفنياً تعيش بين أفراد المجتمع وتعمل على تطويرهم ثقافياً وفنياً.

الموقف الثقافي -المسرح

ما الذي نحتاجه مسرحياً؟

عبد الله عمر باحطاب

مدير جمعية الثقافة والفنون بجدة سابقاً، مدير الأنشطة الطلابية بجامعة الملك عبد العزيز سابقاً، عضو مجلس إدارة جمعية المسرح

لدي وجهة نظر حول مسرحنا السعودي، حيث أرى أنَّ المسرح بحالة جيدة، والدليل على ذلك العروض التي كانت تقدمها جمعيات الثقافة والفنون والجامعات السعودية وعلى الأخص جمعية الثقافة في جدة، وجامعة الملك عبد العزيز، وعدد من الجمعيات الأخرى.

المسرح يحتاج إلى دعم مادي ومعنوي وإعلامي، بحيث تكون هناك مخصصات مالية لدعم الأعمال المسرحية، ولابد أن يكون لدينا مسرح دائم ومستمر وفعل مسرحي يتبناه المجتمع في المدارس والجامعات والمجتمع بصفة عامة؛ وهو ما يتطلب وجود استراتيجية واضحة لطرح وإعداد وتجهيز الأعمال المسرحية بعيداً عن القيود التي تقف حاجزاً ضد تطور المسرح.

لابد أيضاً من تجهيز دور عرض مسرحية تحمل مواصفات متميزة في جميع التقنيات المسرحية من إضاءة وصوتيات وخشبة مسرح تعد خصيصاً للعروض المسرحية مع تأهيل كوادر بشرية في تقنيات المسرح.

يجب أيضاً أن تكون لدينا معاهد أو أكاديميات متخصصة في المسرح يتعلم فيها الدارس أسس المسرح العلمية الصحيحة، بحيث تكون هذه المعاهد والأكاديميات داعمة لما يقدمه المشتغلون على المسرح، ذلك أن الخبرات أو التجارب لا تغني عن الجانب العلمي والتأسيس الأكاديمي. وفي هذا الصدد نتمنى أن تبدأ وزارة التعليم في الاهتمام من جديد بالمسرح كنشاط أولاً، ثم في مرحلة أخرى كمادة حرة لجميع المراحل الدراسية.

ولابد أيضاً من تكاتف المسرحيين مع بعضهم والتركيز على مستوى الأعمال والطرح الهادف والمتنوع والمفيد، والاستفادة من الخبرات السعودية في مجالي الكتابة والإخراج، ودعم الممثلين، واحتضان مواهبهم، والاستفادة من خبرات الدول التي سبقتنا في هذا المجال.

وأعود لأؤكد أنني متفائل بمستقبل المسرح في المرحلة القادمة، على الرغم من وجود بعض العقبات التي تعرقل أحياناً العمل المسرحي. وفي النهاية، جميعنا نعلم أنَّ المسرح إنما ينمو ويزدهر بتقديم العروض المسرحية المستمرة والجادة ذات الذائقة الفنية العالية والرسائل الإنسانية.

فهد ردة الحارثي
كاتب ومخرج مسرحي

في ظل رؤية جديدة وواضحة المعالم أتصور أنَّ مشهدنا المسرحي في المملكة العربية السعودية بات مختلفاً جداً عما كان عليه، لم نعد نتكلم عن شرعية وجود أو تواجد، بل بات كل شيء موجود ومدعوم، وجهات رعايته أيضاً محددة وواضحة.

ومنذ أن تشكلت وزارة الثقافة في ثوبها الجديد وباتت لها هيئات داعمة للأنشطة وكل شيء يأتي على شكل برامج ومبادرات لها رؤية في كل أمر، والمناشط باتت كثيرة وداعمة بشكل فعلي، كما أنَّ الورش والدورات والمهرجانات ودعم الإنتاج والمبادرات ودعم التمثيل الخارجي والتفريغ الثقافي ومسابقات التأليف المسرحي ومعتزلات الكتابة والقادم من مشاريع الأكاديميات والمعاهد المسرحية سيكون أثره كبيراً في دعم المشهد وتطوير وتأهيل كوادره، إضافة إلى خطة الابتعاث التي بدأت ومازالت مستمرة في برامجها، والمسرح المدرسي مقبل أيضاً على برنامج واضح ومميز ومتدفق العطاء وله مناهجه ومنهجيته وأنشطته.

وما نحتاجه الآن في تصوري هو مشروع وطني مهم وملح لبناء قاعات المسرح في كل مدينة وقرية، فالمسرح مشروع دولة، ولا يمكن أن يكون مشروعاً فردياً يقوم على الاجتهادات فقط، ومن أجل ذلك من المهم جداً للمسرح لكي ينطلق أن توجد وزارة الثقافة أولاً له البنية التحتية التي يقوم عليها وينطلق منها.

ما الذي نحتاجه مسرحياً؟

كيف يمكن أن نتصور رياضة دون ملاعب، أو دراسة دون مدارس، أو طب دون مستشفيات؟! لاشك أنَّ البنية التحتية تلعب دوراً كبيراً في إرساء قواعد العمل وتثبيت دعائمه، وفي المسرح الذي نتكلم عنه ومنه وله، لا يوجد لدينا منذ أكثر من ستين عاماً أي مشروع لبناء قاعات مسرحية يستطيع المسرحيون أن ينفذوا من خلالها أعمالهم، وبالتالي ظل المسرحيون في شتات وتيه لأعوام عديدة، ينفذون بروفاتهم في فضاءات متخيلة، وفي غرف وأحواش وأماكن لا علاقة لها بالمسرح، ثم تنطلق عروضهم بعد البحث عن مسارح يسمح لهم فيها بتقديم العرض ليوم أو يومين أو ثلاثة على الأغلب وسط شروط مذلة قاسيه، وإيجارات مرهقة عانى منها المسرحيون طويلاً. ومن العجيب أنَّ قاعات المسرح لدينا يمتلكها من لا علاقة له بالمسرح، ومن لديه مسرح لا يمتلك قاعة يعرض عليها.

بعد ذلك يأتي الدور على دعم الفرق المسرحية وتطوير أدواتها ومنحها مقرات تمكنها من عملها، وتوفر لها سبل الاستمرار والنمو، ودعم البدايات أمر مهم ويحتاج لعمل له رؤية واضحة ومحددة.

من الأمور المهمة دعم المواسم المسرحية، ونشر المهرجانات المختلفة حول مدن المملكة، وعدم حصرها في مدينة واحدة، مع بقاء المهرجان الأكبر في الرياض باعتبارها العاصمة، إضافة إلى الاستفادة من الخبرات المسرحية في مجالس الإدارة والهيئات الاستشارية، لأنها ستدعم ما يقوم به الإداري بخبرة وفهم لطبيعة المرحلة والعمل.

ما الذي نحتاجه مسرحياً؟

د. نايف خلف الثقيل

ممثل ومخرج مسرحي، أستاذ مشارك بكلية الفنون في جامعة الملك سعود

ما الذي نحتاجه مسرحياً؟ هو سؤال مهم جداً لكل ممارس مسرحي أو منتمٍ لحقل المسرح. كان المسرحيون يتمنون أن يطرح هذا السؤال عليهم من قبل الجهات والمؤسسات المعنية بالحركة المسرحية.

لو قدر لهذا السؤال أن يطرح عليّ «شخصيا» قبل سنوات معدودة، لكانت الاجابة متضمنة قائمة طويلة من الاحتياجات.

أمَّا وقد طُرِح السؤالُ، ونحن ننعم برؤية واضحة، هي رؤية المملكة 2030، وبوجود هيئة تمَّ إنشاؤها خصيصاً للاعتناء والاهتمام والتخطيط للمشهد المسرحي في ضوء رؤية المملكة 2030، فإن الإجابة ستختلف، على الأقل بالنسبة لي شخصياً.

ما الذي نحتاجه مسرحياً الآن وفي ظل الظروف الراهنة والوضع الحالي؟

أعتقد أنَّ هيئة المسرح والفنون الأدائية لديها خططها ومبادراتها التي شرعت في تنفيذها ضمن استراتيجية واضحة. وأذكر أنَّ الهيئة عقدت اجتماعات كثيرة للتعرف على احتياجات المسرحيين وما يرونه من الاحتياجات الضرورية لحركة المسرح السعودي.

ومن هنا فإنَّ هيئة المسرح بقياداتها ومنسوبيها وبإدارة الأستاذ سلطان البازعي، لديها معرفة بما يحتاجه المسرح السعودي وفقاً لرؤى ومقترحات ورغبات المسرحيين السعوديين، لكن الهيئة لديها التزام تام برؤية المملكة 2030 والتي تعمل من خلالها وتحاول تحقيق أهدافها في قطاع المسرح والفنون الأدائية. لذلك فالبنسبة لرأيي الشخصي، وما أراه من احتياجات المسرح السعودي في هذا الوقت الراهن هو كالتالي:

(1) دعم خطط الهيئة ومبادراتها.

(2) التفاعل مع سير خطط الهيئة بالنقد والطرح الموضوعي الذي يضع نصب عينيه مصلحة المسرح السعودي، لا مصلحة فرد أو فرق أو اتجاه مسرحي محدَّد.

(3) أن يهتم المسرحيون بمتابعة رؤية المملكة 2030، ومبادراتها ومشاريعها وتفهُّم الأهداف العامَّة للرؤية والأهداف المرجوة في قطاع المسرح والفنون الأدائية.

(4) المبادرة بعرض المقترحات والرؤى المسرحية التي تعزز رؤية المملكة 2030 ومستهدفاتها.

(5) المسرح السعودي منذ تأسيس رؤية المملكة 2030 ليس كما هو قبلها، لذا فالرؤية المسرحية للمسرحين السعوديين يجب أن تأخذ هذا الأمر في الاعتبار.

الموقف الثقافي -المسرح

ما الذي نحتاجه مسرحياً؟

ياسر مدخلي

كاتب وباحث مسرحي، مؤسس مسرح كيف

دائماً ما يُنظر للثقافة نظرة راقية ويعلو شأنها لاقترانها في ذهن المتلقي - العربي بالذات- بمكونات رفيعة المقام منها «العلم والأدب»، وفي المقابل نجد الفنون (التي تعد جزءاً من الثقافة) قد تحولت إلى وصمة، نتيجة للفكرة التي سادت بتحريم كثير من الأفانين وإلصاقها بذرائع الفساد الأخلاقي للمجتمعات.

إن الفنون والعلوم والآداب مكونات لمفهوم الثقافة، وقد وجدت الكثير من الفنون حظها من الاهتمام والدعم، ونصيبها أيضاً من المعارضة والرفض. وكما هُزِمت فنونٌ مثل الفنون التشكيلية والسينما في جولات التشدد، فقد انتصرت أيضاً في عصور أكثر استنارة وانفتاحاً. ومن بين هذه الفنون يقف «المسرح والفنون الأدائية» موقفاً مختلفاً منذ فجر التاريخ كأحد أقدم الممارسات الإبداعية، وأكثرها شعبية، وأقواها تأثيراً وجذباً.

هذا الموقف يتأرجح بين الحاجة والترف، تلك الحاجة إلى مسرح للوعي والإبداع، أو مسرح للمناسبات والتسلية، مسرح يركض خلف الجمهور، وآخر يركض الجمهور إليه، حتى نشأ لدينا مسرح لا يهتم بالجمهور، يعمل كما تعمل دكاكين الأسواق الكاسدة.

إنَّ الموقف معقد، لكني أعتقد جازماً أنَّ الأزمة تكمن في طريقة إدارة الشأن المسرحي. لقد كثر الحديث في المسرح عن فقر البنية التحتية، وندرة المعاهد، وقصور التشريعات، وتجاهل الإنتاج الأدبي، وإهمال التوثيق التلفزيوني، والأسوأ من ذلك كله هو تمكين عديمي الخبرة، وغير المهتمين بمستقبل القطاع لأنهم لا ينتمون إليه، وليسوا شغوفين به، ولا يعنيهم ما قد يصبح عليه، لأنه لن يصيبهم بنفع، أو لا يعلمون كيف يجعلون منه ذا جدوى أو علامة فارقة في النهوض الحضاري العظيم الذي تشهده الصناعات الأخرى. وكثر سماع المادحين الراضين بما يُقدَّم من عروض هزيلة، والمتباهين بأرقام لا تعبر عن منجز ولا تليق بالتطور المتسارع والكبير في هذا الوطن المجيد.

كل ما سبق يؤكد أنَّ العمل في قطاع المسرح ليس مجرد وظيفة إدارية خاضعة للأرقام فقط والتقارير والجداول، فقياس الأثر في المسرح لا يكون بنفس معايير المقاولات. المسرح لا يقاس بكم صرفنا عليه، وكم موهوباً قمنا بتدريبه، بل يقاس بالتنظيمات القانونية والحوكمة والسياسات الواضحة التي تجعل منه بيئة محفزة، آمنة وعادلة، ويقاس أيضاً بعدد الجماهير التي تهافتت عليه، ونسبة تزايد الإقبال على العمل فيه ومشاهدته، والأرباح التي يحققها، وأيضاً مدى قدرة الإنتاج على الاستمرار في العروض، ودوره في تمكين القطاع الثالث والشراكة مع القطاع الخاص، وقدرته على تكوين الفرق المحترفة، وتشجيع التوظيف ودخول اقتصاديات حديثة للسوق.

المسرح لا يقاس بالخسائر التي يتكبدها (عروض بلا مبيعات ومواهب بلا عمل)، إنما يقاس بأرقام مرتبطة بالمال الذي يجنيه، والنجوم التي تَلْمَع في سمائه، والوعي الذي يحققه للمجتمع، والإرث الأدبي الذي يخلده وراءه، والأثر الذي يبنيه على المدى البعيد كمنصة حية ومشعة للجمال والاعتزاز بالمكونات الثقافية الأخرى، وتصدير القصص والعروض لتلعب على مسارح العالم.

إن العبء الأكبر الذي يُرهق صناعة المسرح اليوم «وفي كل مكان» هو إقصاء خبراء المسرح المحليين عن الإدارة والتخطيط الإبداعي والجماهيري، وبات ضرورياً وملحاً تكوين كتيبة من شباب الوطن القادرين على قراءة الميدان وصياغة الأهداف بدقة لإعداد استراتيجيات مرنة ومنطقية ومتوائمة مع السياق الوطني العام، مما يمكنهم من النجاح في استقطاب الخبرات الوطنية والأجنبية الأميز لاستثمارها في التوقيت والمكان الصحيح، كي تُبنى سوق المسرح ويركض إليها الجمهور، وكي نمتلك مسرحاً مبهجاً يعمل بمهنية عالية ويشكل الملامح التي تعبر عن ثقافتنا، ويحتفي بمبدعينا، ويصبح «المسرح السعودي» مصنعاً للقوى الناعمة التي ننافس بها ثقافياً وسياحياً.

هذا المسرح الذي نحتاج إليه، وموقف المسرح اليوم وهو بحاجة لوعي إداري رصين بخبرات تفهم الجمهور المحلي وتستوعب طبيعته وخلفياته وتغيراته، وتدرك أبعاد المسرحيين وإمكاناتهم وتطلعاتهم، بعيدا عن العمل المكتبي، لتشجع المسرحيين الذين يتسلمون رايات الإحباط منذ عقود، وتغرس فيهم الأمل.

مسرحنا يحتاج إلى حركة مستمرة ومتصاعدة للرصد والتحليل والتخطيط، ومن المقلق أن نجد تزايداً في عدد المواهب دون أن تكون لديهم مقرات لإدارة أنشطتهم وتقديم أعمالهم مع المجتمعات المحلية.

أخيرا يبرز في خاطري سؤال جوهري وهو: أين المسرح الوطني الذي تأسَّس عام 2020م؟

الموقف الثقافي -المسرح

ما الذي نحتاجه مسرحياً؟

خلاصة:

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج التالية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء المسرح من مقترحات وسياسات:

- أولاً: الوعي بدور المسرحيين في تشكيل ذائقة الجمهور وعدم الانجرار خلف الأهداف التجارية قصيرة المدى، والحرص على تقديم عروض ترقى لتطلعات الجمهور، فالمسرح لا تكتمل معادلته إلا بجمهور يتلقّى بلهفة وشغف.
- ثانياً: أنْ تعمل هيئة المسرح والفنون الأدائية بطريقة لا مركزية بحيث تكون حاضرة في جميع مناطق المملكة من خلال مراكز فنية وثقافية.
- ثالثاً: توحيد معايير الموافقة على النصوص والعروض عبر منصة "هاوي" بحيث تكون الموافقة هي المرجعية التي تستند عليها أي مؤسسة حكومية أو قطاع خاص، وتكون موافقة نهائية لا تحتاج إلى موافقة أخرى حتى لا تتعطل العروض بإجراء روتيني من هنا أو هناك.
- رابعاً: تجهيز قاعات عرض مسرحية بمواصفات متميزة في جميع التقنيات المسرحية من إضاءة وصوتيات وخشبة مسرح مع تأهيل كوادر بشرية في تقنيات المسرح.
- خامساً: إنشاء معاهد أو أكاديميات متخصصة في المسرح يتعلّم فيها الدارس أسس المسرح العلمية الصحيحة.
- سادساً: دعم الفرق المسرحية وتطوير أدواتها ومنحها مقرات تمكنها من العمل وتوفر لها سبل الاستمرار والنمو.
- سابعاً: دعم المواسم المسرحية ونشر المهرجانات المختلفة حول مدن المملكة وعدم حصرها في مدينة واحدة.
- ثامناً: أن يهتم المسرحيون بمتابعة رؤية المملكة 2030، ومبادراتها ومشاريعها وتفهُّم الأهداف العامَّة للرؤية والأهداف المرجوة في قطاع المسرح والفنون الأدائية.
- تاسعاً: تطوير العمل الإداري للمسرح من خلال إشراك خبراء المسرح المحليين في الإدارة والتخطيط الإبداعي والجماهيري.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

ما الذي نحتاجه سينمائياً؟

العدد الثاني -السينما

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية. ونستهدف منه أن نوصل رأي المعنيين للجهات المسؤولة، فنكون بمثابة حلقة من حلقات الربط بين هيئات وزارة الثقافة والمرتبطين بها ثقافيا.

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
فبراير - 2024

إخلاء مسؤولية:

تمثل الآراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد الكتاب والمثقفين المشاركين، ولا تعبر بالضرورة عن رأي البرنامج الثقافي والإعلامي بمركز الخليج للأبحاث وإدارته.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الموقف الثقافي

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

(الأندية الادبية، اللغة العربية، الفنون التشكيلية، التعليم، المسرح، السينما، معارض الكتاب، التاريخ، الاعلام، الثقافة والمثقف)

بعد عقود من الاجتهادات الفردية أصبحت السينما خلال الأعوام الأخيرة ركناً أساسياً في المشهد الثقافي في المملكة العربية السعودية، لا سيما بعد فصل وزارة الثقافة عن الإعلام عام 2018م وما تلا ذلك من تأسيس هيئة مستقلة للأفلام عام 2021م

وكان أن شهدت البلاد افتتاح صالات السينما بعد الترخيص للشركات العالمية لافتتاح صالات عرض، وهو ما أسهم في تعزيز الإقبال المحلي على السينما، وأوجد جمهوراً للأفلام التي يتم إنتاجها محلياً

واستضافت المملكة خلال الأعوام الأخيرة مهرجانات سينمائية دولية، بما في ذلك مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي الذي يعقد بصورة سنوية منذ عام 2020م، ويشهد مشاركة من كبار صناع الأفلام ونجومها حول العالم

كما دعمت الحكومة السينما من خلال برنامج مخصص لتمويل قطاع الأفلام في المملكة بميزانية تقدر بـ879 مليون ريال، 70٪ منها مخصص لإنتاج المحتوى وتوزيعه، فيما خصصت نسبة 30٪ لتطوير قطاع الأفلام

ونتيجة لهذا الحراك شهد الإنتاج السينمائي المحلي قفزة في الكم والكيف، وبدأت السينما السعودية تشق طريقها شيئاً فشيئاً في أروقة المشهد السينمائي العالمي، كما بدأ الجمهور المحلي يدرج الأفلام المحلية على خارطة مشاهداته وتفضيلاته السينمائية.

وعلى الرغم من هذا التحول، إلا أن المشهد السينمائي المحلي لا يزال وليداً، وبالتالي يحتاج إلى المزيد من التطوير، وهو ما دفعنا في هذا العدد من «الموقف الثقافي» إلى استطلاع رأي الخبراء والمتخصصين في السينما حول «ما الذي نحتاجه سينمائياً؟»، وفيما يلي نورد إجابات هؤلاء الخبراء

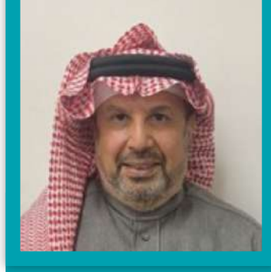

د. فهد اليحيى
ناقد سينمائي

يمكن القول بأنَّ البداية الثانية للسينما السعودية كانت في عام 2006م نظراً لتوفر الكاميرات ووسائل المونتاج الرقمية واهتمام عدد من الشباب السعوديين من الجنسين بصناعة الأفلام القصيرة. وفي فترة ما، كان هناك ما يقرب من خمسة آلاف مبتعث لدراسة جوانب مختلفة من صناعة الفيلم السينمائي.

ثم بدأت المرحلة الثالثة والتي توجهت لدعم إنتاج أفلام طويلة جيدة الصنع بعد تأسيس هيئة الأفلام، وابتداء مهرجان البحر الأحمر السينمائي، علاوة على مركز الملك عبد العزيز العالمي للثقافة (إثراء)، ثم برنامج أفلام العلا والصندوق الثقافي وغيرها. وحتما فهذه المساعدات المالية واللوجستية جعلتها خطوة عملاقة أنتجت عددا من الأفلام التي لفتت انتباه النقاد في العالم العربي إليها

> على الرغم من الزخم والدعم الكبيرين ما زال أمامنا الكثير لنقول إن لدينا "صناعة" سينما في السعودية، ذلك أنَّ المتوفر حالياً صناعة أفلام سعودية، وليس صناعة سينما.

هل ما زلنا في أول الطريق؟

نعم، فعلى الرغم من هذا الزخم والدعم الكبيرين ما زال أمامنا الكثير لنقول إن لدينا «صناعة» سينما في السعودية، ذلك أنَّ المتوفر حالياً صناعة أفلام سعودية. لأنَّ مفهوم صناعة سينما يعني أن يكون العاملون في صناعة الأفلام من مرحلة ما قبل الإنتاج إلى القيام بالإنتاج ذاته ثم عمليات ما

بعد الإنتاج حتى التوزيع والعرض (نعني ما قبل التصوير ثم التصوير فعمليات المونتاج والمراجعة) متفرغين لهذا العمل ويكون العمل في صناعة الأفلام مصدر رزقهم. وللوصول إلى هذا الأمر هناك عدة مسارات يتعين علينا سلوكها بشكل متزامن:

1. بناء أستوديوهات كبيرة وحديثة ومدن إنتاج. وقد بدأ العمل على إنشاء أستوديوهات العلا بمساحة 30 ألف متر مربع على مراحل، بيد أننا بحاجة لبناء أستوديوهات أخرى. ومن ثم تشجيع السينمائيين من جميع أنحاء العالم لتصوير أفلامهم والقيام بعمليات الإنتاج وتقديم التسهيلات والدعم اللوجستي، فالمملكة شاسعة المساحة مترامية الأطراف متعددة الطبوغرافيا.

هذه الأستوديوهات ستكون مقر عمل كثيرين من العاملين في صناعة السينما ومصدر دخلهم. وهناك فائدة أخرى وهي احتكاك الفنيين السعوديين بالأجانب ذوي الخبرة والمساعدة في الإنتاج والتدريب لهم

2. الإكثار من دور العرض وليس بالضرورة أن تكون مجمعات دور عرض (Multiplex) بل دور عرض خاصة لأفراد أو شركات صغيرة

3. تعاون الجهات الحكومية والقطاع الخاص في الدعاية، والإعلان والتسويق.

4. الشكوى القديمة في الدراما التلفزيونية ممتدة إلى السينما وهي ضعف النصوص أو غياب النصوص الجيدة، وهنا من المهم توفير الدراسة محلياً وخارجيا لدراسة السيناريو والحوار والقصة السينمائية. ذلك أنَّ السيناريو هو الهيكل الخراساني الذي يشاد عليه البيت

5. نشر الثقافة السينمائية بين الناس ومدّهم بأدوات التذوق السينمائي الفني والتأمل وذلك عبر لقاءات جماهيرية بين الفنانين ومختلف قطاعات الناس. وتشجيع إنشاء أندية للسينما وزيادة البرامج الرامية لنشر الوعي بالسينما عبر وسائل الإعلام المختلفة

6. تفتقر السينما السعودية إلى ما يعرف بما وراء المنظر (Behind the scene) أو خلف الكواليس ولقاءات مع صناع الفيلم لمعرفة الصعوبات التي واجهتهم وطرقهم للتغلب عليها لأن كثيراً من الناس يظن أن صناعة فيلم هي كاميرا توضع كما اتفق وممثل وشخص يقول له افعل كذا بالطريقة الفلانية. ولا يعرفون أنَّ الفيلم عمل جماعي ونتيجة جهود مضنية من قبل عدد كبير من العاملين

7. هناك نوع من أندية السينما وآخر من الأندية للمختصين والسائرين في الطريق: للتجريب واستحداث وسائل جديدة وأساليب مختلفة. هذا النوع من الأندية من شأنه تطوير القدرات وتبادل الخبرات وإثراء المعارف السينمائية

8. استمرار الدعم الحكومي وشبه الحكومي والبنوك والشركات (المسؤولية الاجتماعية) وزيادته ضروري لا لأن السينما وسيلة ترفيه متميزة فحسب، ولكن لأنها تسهم في نشر ثقافة المجتمع بين أجزاء نسيجه المختلفة كما أنها قوة ناعمة قوية المفعول

9. كما أن هناك مسرحاً مدرسياً بالإضافة إلى الرسم والتلوين أرى من الضروري إدخال فن سينما مدرسي لا سيما وأن أسعار الكاميرات وتطبيقات لوحة الفيلم (Story Board) والمونتاج للمبتدئين والهواة ليست باهظة

10. تشجيع استلهام التراث والقصص الشعبية لإنتاج قصص سينمائية وتحويل الأعمال السعودية القصصية والروائية المرموقة إلى أفلام، مع العلم أن التحويل هو بمثابة عملية خلق إبداعي آخر وقد تستدعي التحوير والتغيير في بنية وشكل المصادر المذكورة

هذا غيض من فيض والسينما السعودية في بداياتها -قياسا بمراحل نمو الإنسان- كانت وليدة ثم أضحت طفلاً يحبو ثم صبياً دارجا يمشي والآن صبياً ناشئاً! لذا هي بحاجة إلى رعاية متكاملة لتنمو وتشب وتزدهر وتكون رافداً فنياً واقتصادياً واجتماعياً وإعلامياً كذلك

الموقف الثقافي - السينما

ما الذي نحتاجه سينمائياً؟

عبدالله حمد الزيد
ناقد فني وباحث في علم اجتماع الثقافة

من خلال متابعة ردود الأفعال حول بعض الإجابات الانطباعية عن مثل هذا السؤال يمكن تلخيص أكثر إجابتين نسمعهما. الأولى، أننا كسعوديين جديدون على السينما وعليه نحتاج للمزيد من الوقت والصبر، والثانية، تؤكد بأن السعودية بلد ثري ومتنوع ولديه الإمكانيات التي لا تختلف، بل وربما تفوق كثيراً من البلدان التي حظيت بتجارب سينمائية ناجحة في مدة قصيرة.

ولعلي أملك لهذا السؤال إجابة توفيقية بحسب متابعتي المتواضعة للشأن الثقافي والفني منذ أواخر التسعينيات الميلادية. وتكمن إجابتي في أننا أمام مجموعة من المتغيرات يمكن تحسينها وتطويرها، وبالتالي سؤال الاحتياج والتطوير فيها مطروح ومنطقي. ولكننا أيضاً أمام متغيرات أخرى لا يجب أن نتدخل فيها. ويجب أن تأخذ وقتها الطبيعي في التطور والارتقاء بلا قلق أو انزعاج فكري.

وحينما نتحدث عن المتغيرات الطبيعية التي لا نملك أمامها إلا الصبر، فإننا نتحدث عن جوانب لا تتعلق بالوسط الثقافي، وليس للمسؤولين ولا للعاملين في السينما بإزائها حولاً ولا قوة. على سبيل المثال، لا يزال العمل في المجال الفني في أجزاء من المجتمع السعودي يحظى بمكانة منخفضة مقارنة بالعمل في المجالات المهنية الأخرى. وبالتالي فإننا هنا أمام حاجة ملحة للصبر، وترك المتغيرات الاجتماعية والديمغرافية السكانية تُعمل أدواتها الطبيعية والكمية للوصول إلى تغيير كيفي على مستوى تقسيم العمل، والارتقاء بمجالات العمل في الفنون إلى مكانة اجتماعية أعلى تجعل منه مهنة مشجعة ومقبولة على مستوى النسق الثقافي في المجتمع السعودي.

ولعل المبشر في الموضوع أن المجتمع السعودي يمر منذ انطلاقة رؤية المملكة 2030 بتغير ثقافي سريع يعطينا الانطباع بأنَّ الانتظار لن يطول حتى نرى العمل في مجالات مساندة في قطاع الإنتاج السينمائي، والتمثيل، والإخراج، وقد أصبح من المهن المرغوبة وذات المركز الاجتماعي الرفيع.

ومن يعمل في قطا ع الإنتاج يمكنه أن يلاحظ بسهولة القصور الكبير في المهن المساندة، مثل الكومبارس، والمخرجين الفنيين، والعاملين في مجال ما بعد الإنتاج، رغم دورهم المهم في تطوير جودة المنتج السينمائي. ومثل هذه الشروط الطبيعية في تقسيم العمل وتطويره متغيرات لا تقف عند جهد المؤسسات الثقافية والعاملين في المجال السينمائي، وإنما هو تطور اجتماعي طبيعي يحتاج للصبر أمام صناعة لا يتجاوز عمرها (الاحترافي) عشرة أعوام، وهو عمر قصير قياساً إلى معايير التطور والتنظيم لصناعة ضخمة مثل السينما.

من يعمل في قطاع الإنتاج يمكنه أن يلاحظ بسهولة القصور الكبير في المهن المساندة، مثل الكومبارس، والمخرجين الفنيين، والعاملين في مجال ما بعد الإنتاج، رغم دورهم المهم في تطوير جودة المنتج السينمائي.

ثم إن هنالك متغيرات أخرى اقتصادية وتنظيمية وفنية يمكن أن نتدخل في تسريع وتيرتها وتحسينها. وهنا يمكن الحديث عن مجموعة من الملاحظات وهي:

1- طبيعة الإنتاج في السينما السعودية: يجب أن نلاحظ بأن قطاع الدولة هو المبادر دائماً ومن يتحمل عبء التنمية، وهذا ليس في الفنون وحسب، بل في مختلف القطاعات. وبرأيي فإنَّ الإنتاج الفني في بلادنا ما زال يتكئ على رعاية وكرم الدولة، وهذه حقيقة يجب التعامل معها بلا مثاليات. ولذا من الواجب تدخل الدولة في تسريع وتيرة الصناعة الفعلية عبر قطاعاتها حتى لو كانت مؤسسات شبه حكومية مثل (صندوق الاستثمارات) بحيث تستثمر الدولة في قطاع الإنتاج عبر أستوديوهات ضخمة كما فعلت مصر في الثلاثينيات الميلادية، فكان استديو مصر انطلاقة حقيقية للصناعة السينمائية

ولا يمنع بعد ذلك تغيير الاستراتيجيات بحسب الأوضاع والمتغيرات والتربية الإنتاجية، فإنَّ استديو ضخماً تنشئه الدولة ليس مجرد ذراع إنتاج يضخ المحتوى الفني وحسب، بل هو إحدى المؤسسات الضخمة التي تساعد على رفع قيمة العمل الفني الذي تحدثنا عنه وتساعد على تقسيم العمل في مجالات الفنون بحيث تصبح - على سبيل المثال - وظائف فني الماكيير، ومساعدة الإنتاج، مهناً محترمة ومطلوبة، وبالتالي مستقطبة للكفاءات السعودية.

2- المقترح الأول لا يعني أن تعلق المؤسسات الإنتاجية الخاصة عملها، بل يجب أن تستمر في العمل والإنتاج حتى بحصص دعم من قطاعات الدولة، وهذا لا يتعارض مع قيم السوق بل على العكس يساعد في معيار الكم الذي هو الأساس في التطوير الكيفي.

3- تمثل أندية السينما عبر تاريخ السينما في العالم بذرة مهمة في تربية جيل من الفنانين والمخرجين والنقاد، ولذا يجب على وزارة الثقافة العمل سريعاً على تأسيس أندية للسينما في كل محافظة، بل ومركز إداري، يخضع لإشرافها ويدعم بالميزانيات، ويكون ملتقى تطويرياً وإنتاجياً وتسويقياً لصناعة جيل من السينمائيين السعوديين.

4- أسست هيئة الأفلام وبعض القطاعات الأخرى جمعيات مهنية وتعاونية للسينما. وهذه الجمعيات يجب ألا تكون مناصب شرفية لأصحابها. بل عليها الاستعانة بالخبرات في تطوير عمل القطاع الثالث، وضم الكفاءات التي تسهم في رفع جودة العمل التعاوني والخدمي، فالبيئة الفنية بحاجة للكثير من العمل الذي لا يقف على المؤسسة الحكومية فقط. وعلى سبيل المثال فإن العمل الذي تقوم به النقابات المهنية في بلدان خارجية هو بالضرورة من أهم مستهدفات الجمعيات المهنية ولم نرَ - بحسب علمي - أي جهد في هذا الجانب، أي العمل على تهيئة بيئة عمل احترافية يمكن أن تجعل من الوظيفة الفنية آمنة. وأيضا تأمينات تعاونية ضد الانقطاع عن العمل وحماية لحقوق الممثل والمخرج والمصور أمام الهواة ممن يمكن لهم العمل في كرة الطائرة والتمثيل والغناء والإخراج الخ. وهذا بطبيعة الحال لا يشجع مطلقاً على امتهان العمل في السينما كوظيفة

-5 أيضاً يجب أن يتم التعاون مع قطاع التعليم في نشر ثقافة العمل الفني على مستوى التعليم المتوسط والثانوي. وهذا دور يجب أن تتعاون فيه أكثر من جهة وأحدها الهيئات الحكومية والقطاع الثالث في مجال السينما.

-6 على مستوى التدريب أرى أننا نسير بالشكل الصحيح، بل أحياناً نرى تخمة تدريبية فهو عمل لا يحتاج الكثير من الجهد، مجرد استقطاب مدرب وحجز قاعة، وهو عمل مطلوب ومهم بلا شك. لكن يجب أن يكون وفق دراسة للفجوات التدريبية وليس عملاً اعتباطياً.

-7 أيضاً تجدر الإشارة إلى أن هنالك عملاً يذكر ويجب شكره من قبل هيئة السينما في تربية الناقد السينمائي عبر مجموعة من الملتقيات والبرامج وهو جانب مهم وأظن أننا نسير فيه بشكل صحيح ومثالي.

أخيراً وحتى لا أطيل، فإننا مع كل هذا الحديث نسير في السعودية بخطى جيدة وواثقة نحو الوصول إلى مستهدفاتنا، ومثل هذه المقترحات هي واجب على كل من يطمح بالمزيد وهي صواب يقبل الخطأ.

عبدالله حمد الزيد

الموقف الثقافي - السينما

ما الذي نحتاجه سينمائياً؟

محمد السحيمي
كاتب وناقد

يمكن القول إن المشهد السينمائي المحلي يواجه مشكلة من حيث تصوره للجمهور المستهدف بما ينتجه من أعمال سينمائية، وهذا يعني أنَّ أول ما تحتاجه السينما المحلية هو أن تحدد أولا من هو جمهورها؟

في هذا الصدد، تعاني السينما المحلية الوليدة، في رأيي، ليس من صدامها مع الجمهور أو من قطيعتها مع النخب المثقفة، وإنما في هذا التعلق الأعمى بالمتلقي الخارجي، وهذا التهافت المسعور على تحقيق شروطه مهما كانت تافهة، وذلك كما أوضحته في مقال سابق لي بمجلة «اليمامة»

ويعني هذا التعلق الأعمى بالمتلقي الخارجي أنَّ صناع السينما المحليين من الشباب يفتقرون إلى الثقة في أنفسهم. أمَّا التعذر بانعدام البنية التحتية للإنتاج السينمائي، فلم يعد مقبولاً في ظل الدعم الحكومي والأرباح الكبيرة التي تحققها الأفلام

ولهذى أرى أنَّ من أهم ما نحتاجه سينمائياً هو الإقلاع عن التركيز المفرط على شروط التلقي الخارجي للمنتج السينمائي المحلي، ومحاولة إرضائها بقطع النظر عن سخافتها وسماجتها

بدلاً من ذلك ينبغي أن يركز صناع السينما على استلهام سياقنا الثقافي الخاص، بمعنى أن نهاجر

إلى الداخل ونكشف ذاتنا ونقدم اجتهاداتنا التي تشبهنا نحن سواءً أعجبت الأجنبي أم لم تعجبه

على صناع السينما أيضاً أن يتقبلوا النقد وأن يدركوا أنه ضروري لتطور الأعمال الإبداعية وتصحيح مسارها. كذلك فإنه ليس من المستساغ أو المستحسن إغفال التنبيه على ما في التجارب السينمائية الوليدة من قصور ونقاط ضعف بحجة أنها وليدة

يجب أن نهاجر إلى الداخل ونكشف ذاتنا ونقدم اجتهاداتنا التي تشبهنا نحن سواءً أعجبت الأجنبي أم لم تعجبه.

وأن القائمين عليها شباب بحاجة إلى التشجيع وليس الإحباط، لأن من شأن هذا الخطاب أن يحول دون تقويم الأعمال الفنية تقويماً نقدياً، وبالتالي يعرقل نموها وتطورها الإبداعي

طلحة بن عبد الرحمن
مؤلف ومخرج سينمائي

“

لدي بعض التجارب في التصوير محليا بصفتي صانع أفلام مستقل، علاوة على أحاديثي مع شركاء المهنة من الزملاء والزميلات من صناع الأفلام المستقلة، وهو ما جعلني أعرف جانبا مما يشتكون منه بشكل مستدام.

وعليه فأعتقد بأننا نحتاج إلى أكاديميات ومعاهد متخصصة بالصناعة لإعداد العاملين بها؛ نعم هناك بعض الكليات، وبعض الدورات والبرامج هنا وهناك، لكنها لا تكفي للنهوض بالصناعة للمستوى العالمي، فالمنافسة فيها عالية جداً.

أعتقد بأن صناعتنا ينقصها الكثير من ناحية الكتابة الإبداعية، ورواية القصة، فالنواحي التقنية لا تصنع فيلما جيداً في نظري، ولهذا أعتقد أن الكتابة هي أضعف عنصر لدينا في العالم العربي، والباقي جيد نوعاً ما. يتلوه عنصر التمثيل، فهو كارثي خاصة في بعض الأعمال الرمضانية، وهذا يمكن حله عن طريق المعاهد المتخصصة كما أسلفت، فالمُشاهد المعاصر واعٍ ولم يعد كما كان في السابق

لاحظت أيضاً انتشار غير السعوديين العاملين في مواقع التصوير، وهذا الموضوع يشعرني بالغبن بعض الشيء، فابن البلد أولى بهذا العمل من غيره.

ولست من الذين يقولون بأن لدينا شحاً في الأفكار، فالأفكار موجودة، ولكن تحتاج إلى دعم مادي ومعنوي لكي تُنفَّذ على أرض الواقع.

صناع الأفلام موجودون ولن تبذل مجهوداً كبيراً في البحث عنهم، فهم حاضرون في المحافل

ما الذي نحتاجه سينمائياً؟

السينمائية التي تقام سنوياً، لكنهم في حاجة لمن يؤمن بقدراتهم، وحين يجدون ذلك سيبهرونه بما لديهم من مواهب، وأعتقد بأن هذا الموضوع لن يتحقق بين ليلة وضحاها، بل لابد أن يبادر أحدهم أولاً بالدعم ليقتدي به الجميع

ويمكن أن تسهم السينما المحلية في الترويج للسياحة الوطنية فلدينا أماكن جميلة لم يتم استغلالها بالشكل الصحيح حتى الآن.

يحتاج صانع الأفلام تسهيل عملية استخراج تصاريح التصوير، فصناع الأفلام لديهم ما يكفيهم من الأشياء التي يجب أن يقلقوا منها.

أعتقد أيضاً أننا نحتاج إلى قدوات وأمثلة من المخرجين والمبدعين يُحتذى بها في هذا المجال للشباب والجيل الناشئ العاشق للفن السابع

نحتاج أيضاً إلى مفكرين ونقاد متخصصين في هذا المجال يظهرون في الساحة بشكل متكرر، فلا يمكننا أن ننجح بدونهم ولن تتحسن الذائقة العامة بدونهم.

من الأشياء التي يحتاجها صانع الأفلام أيضاً تسهيل عملية استخراج تصاريح التصوير، فالأمر لا يحتاج إلى استئذان مسؤولين كثر لعمليات التصوير وإغلاق مواقع التصوير، فلنحاول ألاّ نعقد الموضوع وهو بسيط، فصناع الأفلام لديهم ما يكفيهم من الأشياء التي يجب أن يقلقوا منها وهذا لا ينبغي أن يكون منها

لكي تكون عندنا صناعة ممتازة لابد من وجود مستشارين محليين وعالميين يسهل الوصول إليهم.

ينقصنا كذلك سهولة الوصول لمعدات التصوير، فغالبية محلات التأجير أسعارها مرتفعة جداً، والميزانيات لا تكفي دائماً، وهي محدودة جداً مقارنة بالدول الأخرى

نحتاج إلى تشجيع صناع الأفلام المحليين في منصات التواصل الاجتماعي كلما صنعوا فيلماً جديداً، وما أحوجنا إلى النقد البنّاء وليس النقد الهادم كما يحصل الآن مع البعض. ومن طرق الدعم ما يحصل هذه الأيام من تخفيض سعر تذكرة حضور الفيلم السعودي في إحدى صالات السينما

ولا يخفى وجود مبادرات نوعية من جهات داعمة مختلفة، وهذا شيء مبشّر بالخير، ولكننا نطمح للمزيد والمزيد من التمكين والدعم للوصول لأهدافنا المرجوة، لكي تكون الأفلام السعودية أيقونة ومضرباً للمثل كما هو الحال في عدة دول أجنبية

ولا شك بأنه أصبح هناك دعم واعد وكبير للشباب في هذا المجال. والذي نود أن نراه بشكل أكبر هو دعم المزيد من الناشئين السعوديين في هذه الصناعة لكي يتم تأسيسهم بشكل قوي منذ اللبنات الأولى، ولا بأس بالاستعانة ببعض الخبراء الأجانب في المرحلة الأولى مع الحرص على وجود صنّاع أفلام مبتدئين ومتقدّمين لكي يتقنوا هذه الصناعة التي يوماً ما ستشكّل هويتنا أمام العالم، ونكون فخورين بأننا كنّا جزءاً منها

الموقف الثقافي - السينما

ما الذي نحتاجه سينمائياً؟

خلاصة:

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج التالية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء المسرح من مقترحات وسياسات:

أولاً: إنشاء أكاديميات ومعاهد متخصصة في الصناعة السينمائية لإعداد العاملين في القطاع، وتأهيل الممثلين على وجه الخصوص.

ثانياً: سد أوجه النقص من ناحية الكتابة الإبداعية ورواية القصة (storytelling)، وذلك من خلال توفير الدراسة محلياً وخارجياً لدراسة السيناريو والحوار والقصة السينمائية.

ثالثاً: تسهيل عملية استخراج تصاريح التصوير بحيث لا يحتاج صناع السينما إلى استئذان مسؤولين كثر لعمليات التصوير وإغلاق مواقع التصوير

رابعاً: الاستثمار الحكومي في قطاع الإنتاج عبر إنشاء أستوديوهات ضخمة ومدن إنتاج، ومن ثم تشجيع السينمائيين من جميع أنحاء العالم لتصوير أفلامهم والقيام بعمليات الإنتاج وتقديم التسهيلات والدعم اللوجستي لهم

خامساً: أن تعمل وزارة الثقافة على تأسيس أندية للسينما في كل محافظة ومركز إداري، لتكون ملتقى تطويرياً وإنتاجياً وتسويقياً لصناعة جيل من السينمائيين السعوديين

سادساً: الإكثار من دور العرض وليس بالضرورة أن تكون مجمعات دور عرض (Multiplex) بل دور عرض خاصة لأفراد أو شركات صغيرة

سابعاً: نشر الثقافة السينمائية بين الناس ومدهم بأدوات التذوق السينمائي الفني والتأمل وذلك عبر لقاءات جماهيرية بين الفنانين ومختلف قطاعات الناس.

ثامناً: إدخال فن سينما مدرسي في التعليم العام، والتعاون بين قطاعي السينما والتعليم في نشر ثقافة العمل الفني على مستوى التعليم المتوسط والثانوي

تاسعاً: تشجيع استلهام التراث والقصص الشعبية لإنتاج قصص سينمائية وتحويل الأعمال السعودية القصصية والروائية المرموقة إلى أفلام

عاشراً: الإقلاع عن التركيز المفرط على شروط التلقي الخارجي للمنتج السينمائي المحلي، ومحاولة إرضائها بقطع النظر عن سخافتها وسماجتها، والتركيز بدلاً من ذلك على استلهام سياقنا الثقافي الخاص

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

كيف نجعل الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع؟

العدد الثالث - الفنون التشكيلية

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
مارس- 2024

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية. ونستهدف منه أن نوصل رأي المعنيين للجهات المسؤولة، فنكون بمثابة حلقة من حلقات الربط بين هيئات وزارة الثقافة والمرتبطين بها ثقافيا.

إخلاء مسؤولية:

تمثل الآراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد الكتاب والمثقفين المشاركين، ولا تعبر بالضرورة عن رأي البرنامج الثقافي والإعلامي بمركز الخليج للأبحاث وإدارته.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الموقف الثقافي

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

(الأندية الادبية، اللغة العربية، الفنون التشكيلية، التعليم، المسرح، السينما، معارض الكتاب، التاريخ، الاعلام، الثقافة والمثقف)

على الرغم من المكانة الكبيرة التي تحتلها الفنون التشكيلية في المملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي، حيث تنظم لها المعارض وورش العمل، وتدرَّس في المدارس والجامعات، وتباع بوصفها منتجات جمالية، إلا أنَّ هذه الفنون لا تزال إلى حد كبير نخبوية، ومحصورة بين أهلها، وفي قاعاتها المغلقة، وهو ما حَدَّ من وصولها إلى آفاق مجتمعية أوسع، وظلَّت هويتها رهينةَ سياقات محدودة سواءً في الإطار التعليمي المحدود أو على الصعيد الأسري.

وعلى الرغم من أهمية اللون في حياة الشعوب، ما يحدثه من تأثير وجداني ونفسي، إلا أننا لم نعتمد على الصعيد المعرفي بتعليم دلالاته لأبنائنا كأساس لتعليم الفنون التشكيلية، وهو ما كرس حالة من القطيعة المعرفية بين اللون والإنسان، والتي امتدَّت بعد ذلك إلى قطاع الفنون التشكيلية بوجه عام. وتعد هذه القطيعة بين الفن التشكيلي من جانب والمجتمع من جانب آخر بمثابة تحدٍ حقيقي أمام تمكين هذه الفنون وجعلها محوراً أساسياً من محاور العمل الثقافي الذي يعد أساسياً لنهوض المجتمعات وتطورها

كما أنَّ هذه القطيعة تتعارض مع الدعم الكبير الذي تجده هذه الفنون من الحكومات في السعودية ودول الخليج، وما تشهده هذه البلدان من استضافة أحداث فنية عالمية مثل بينالي الدرعية بالرياض المقام حالياً، وبينالي الفنون الإسلامية بجدة، وبينالي الشارقة، وغيرها من التظاهرات الفنية التي كرست دول المنطقة بوصفها سوقاً رئيسياً للفن، وبيئة لتحفيز الطاقات الإبداعية

ويبدو أنَّ التحولات التي تشهدها السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مواتية للذهاب بالفنون التشكيلية خطوة أبعد، وإيجاد أطر معينة لتقريبها من المجتمعات المحلية ودمجها في ثقافاتها، وفي تعاطيها العام مع الشأن الثقافي

وهو ما دفعنا في هذا العدد من «الموقف الثقافي» إلى استطلاع رأي عدد من الخبراء والمتخصصين في الفنون التشكيلية عن كيفية جعل الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع؟ وما الدور المأمول من التعليم والإعلام لأنسنة الفنون التشكيلية؟، وفيما يلي نورد إجابات هؤلاء الخبراء

أ.د. فخرية اليحيائية
أستاذة الفنون بجامعة السلطان قابوس سلطنة عمان

يختلف الكثيرون على الدور الذي تلعبه الفنون التشكيلية في حياتنا؛ فالبعض يعتبرها عنصراً رئيسياً في حياتهم ومصدراً للراحة، وآخرون يعتبرونها مصدراً للرفاهية وأحد الكماليات المجتمعية، فيما يعتقد آخرون بعدم جدواها إطلاقاً في ظل نقص الكثير من ضروريات الحياة الكريمة. من بين جميع تلك الاختلافات حول أهمية الفنون من عدمها، وكيف نوفق بين اختلاف وجهات النظر؛ سنستند إلى المقولة التي قرأتها مع بداية دراستي الأولى للفنون للمفكر وعالم الاجتماع المغربي المهدي المنجرة والتي فحواها أنَّ: «الدول المتخلفة هي التي لها فنانوها وتعيش بدون فن».

> «الدول المتخلفة هي التي لها فنانوها وتعيش بدون فن»

عالم الاجتماع المغربي المهدي المنجزة

إذاً هل نحتاج فعلاً إلى الفنون بصفتها جزءاً أساسياً في تشكيل ثقافتنا؟ وهل يمكن أن نعيش بدون فن؟ وهل نمتلك فنانين ونعيش بدونهم؟ ولماذا تصنف الدول عندما تعيش بدون فن دولاً متخلفة بالرغم من أنَّ لديها مقوماته وأهمها الفنانون المبدعون؟

أسئلة كثيرة نطرحها ولها إجابات مختلفة قد نتفق عليها وقد نختلف، لكن الحقيقية المؤكدة هي أنَّ الفنون التي نقصدها في تشكيل ثقافتنا قد لا تكون مرتبطةً بالإمكانيات المادية التي يعتقدها الكثيرون، وليس بالضرورة أن نحتاج إلى أموال لنعيش الفنون ونتذوقها أو حتى لتكون الفنون جزءاً من حياتنا.

لا يمكن أن نختلف على حقيقة أنَّ الفنون تشمل كل جوانب حياتنا؛ الملابس التي نرتديها، والمباني التي نعيش فيها، السيارات التي نركبها، الأثاث الذي نستخدمه، أدوات المطبخ، القلم الذي نمسك به، والموسيقى التي نستمع إليها، وحتى الأدوية التي نتناولها، والكتب التي نقرؤها - وكل ما يمكن تخيله - كل هذا لم يكن موجوداً لولا القدرة الإبداعية لدى البشر على مدى التاريخ.

هذا يقودنا إلى الاعتراف بأنَّ الفن كان شكلاً من أشكال التواصل القديم قدمَ البشرية نفسها؛ فهو الطريقة التي تواصل بها البشر، واحتفلوا، وسجلوا، ووصفوا حياتهم منذ بداية الزمن

لقد كان الفن دائماً جزءاً أساسياً من إنسانيتنا وثقافة مجتمعاتنا؛ إذْ لعب دوراً مهماً في تشكيل ثقافة المجتمعات؛ فهو يعكس ويشكِّل قيم المجتمع ومعتقداته وتقاليده، ويعمل كوسيلة للتعبير والتواصل.

الفن كان شكلاً من أشكال التواصل القديم قدمَ البشرية نفسها؛ فهو الطريقة التي تواصل بها البشر، واحتفلوا، وسجلوا، ووصفوا حياتهم منذ بداية الزمن.

يمكن للفن أيضاً أنْ يتحدَّى الأعراف المجتمعية، ويلهم التغيير، ويسهم في تطور الثقافة مع مرور الوقت سواءً من خلال الفنون البصرية أو الآداب أو الموسيقى أو الأداء. كما يمكن أن يكون الفن بمثابة جسر بين الثقافات المختلفة، يسهم في تعزيز التفاهم والتعاطف

وهناك العديد من الأسباب التي تجعل الفنون بكافة أطيافها مهمة في تشكيل ثقافة المجتمعات، لكننا قد نتحدث عن سببين رئيسين لأهميتهما وارتباطهما بالموضوع المطروح:

الأول: أنها سِجلّنا الأكثر أهمية للمجتمع البشري بأكمله؛ فمن رسومات كهف العصر الحجري القديم في لاسكو بفرنسا، إلى الأدوات والفخاريات المبكرة للسكان الأصليين، إلى الأهرامات المصرية العظيمة؛ ارتبط الفن بوجودنا وتطور مع نمو البشرية.

لقد كان الفن وسيلة مفضلة للتعبير عمَّا لا يمكن قوله، وبه اكتشفنا كلّ ما نعرفه تقريبًا عن الوجود المبكر للإنسان. وهنا نستشهد برأي إبراهيم الحيدري في كتابه «اثنولوجية الفنون التقليدية: دراسة سوسيولوجية لفنون وصناعات وفولكلور المجتمعات التقليدية، (1984م)» على الدور العظيم الذي قام به الفنانون في تسجيل الحضارات حيث يقول: «فالرسوم التي نقشها البوشمن على جدران الكهوف في صحراء كلهاري، ورسوم الإسكيمو وزخارفهم على العاج، وتصاوير فيجي على جلود الحيوانات، وزخارف نيو-غينيا على جماجم الأجداد، ونقوش الأواني النحاسية في إيفا، وعمل الأقنعة في ساحل العاج، وغيرها من الفنون الزمانية والمكانية تعكس الدور المادي الملموس الذي يكفي لأنْ يعطي للفنون موقعاً متقدماً ومتميزاً في تسجيل التراث»

لقد كان الفن وسيلة مفضلة للتعبير عمَّا لا يمكن قوله، وبه اكتشفنا كلّ ما نعرفه تقريبًا عن الوجود المبكر للإنسان

لذا فإن كل ما نعرفه عن التاريخ تقريباً أخبرتنا به نتاجات البشرية التي سُجلت بأيدي الفنانين؛ فالفنون أخبرتنا كيف كانت المجتمعات تفكر، وتترابط، وتتحرَّك، وتأكل، وتعيش، وتموت. ومن هذا تعلَّمنا النسيج الغني ليس لماضينا فقط، بل لماضي الثقافات الأخرى. والأهم من ذلك أنَّ الفنون استطاعت أن تمنحنا طريقة لرؤية أنفسنا في سياق أكبر؛ اجتماعياً ونفسياً وبكل النواحي للإنسان - لا تقدر بثمن

الثاني: أنَّ الفنون قبل كل شيء هي أكثر من مجرد التعبير عن الذات والتواصل معها؛ فهي تسمح لنا بالهروب إلى ملجأ خيالنا، لنترك وراءنا ضغوط عالم العصر، وتمكننا من امتلاك صفات سامية لا يمكن تفسيرها.

إنه ذلك الشعور بالقدرة على خلق شيء جميل لمشاركته مع الآخرين، والفنون تعزز خيالنا؛ إذ يمكننا من خلالها فعل أي شيء: يمكننا الهرب من العالم البشري وتجربة ما يستحيل علينا أن نفعله في الواقع. كما أن الانغماس في الفن يزيل الألم، ويجعلنا ندرك أنَّ الآخرين يشعرون بالطريقة نفسها التي نشعر بها. وتساعدنا ممارسة الإبداع الفني على تحمل الألم، كما تساعد على طمأنة الآخرين

لذا يمكن القول إن الفنون هي وسيلة أساسية داعمة في تشكيل ثقافة الفرد، كونها وسيلة للتعبير؛ فهي الطريقة التي يفكر بها المرء، وهي تعكس المظهر لما نؤمن به، وكيف نفكر، ليتجلّى في الشكل الخارجي الذي يمكن إظهاره للآخرين.

ومن الجوانب الأكثر عمقاً من حيث إسهامات الفنون في تشكيل ثقافة الفرد؛ كونها إحدى الطرق الأربع الوحيدة التي من خلالها يتمتع الإنسان بتجربة لا يمكن وصفها بالكلمات؛ والتي تشمل (الحب والإيمان والأمل والفنون)، فالفنون إذاً من بين الطرق الأكثر أهمية وذات المغزى في التجربة الإنسانية، ولا يمكن التعبير عنها بالكلمات

ومع ذلك - وبالفنون فقط - يمكننا الوصول إلى إحساسنا بها عندما نكون مع الطبيعة، أو في لحظات التأمل عندما نستمع إلى الموسيقى، أو حين نشاهد الفن. في هذه الطرق الأربعة، يمكننا أن نسقط في أكثر حالاتنا روحية وننفتح على حالة الشراكة مع النفس.

من المؤكد أنه لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة أنَّ أعظم المبتكرين والعلماء لدينا كانوا أيضًا موهوبين بشكل كبير في الفنون؛ فقد وصل نيوتن وأينشتاين، على سبيل المثال لا الحصر، إلى إنجازات علمية لأنهما كانا مبدعين، إذ كانا يمتلكان القدرة الفطرية على «التفكير خارج الصندوق».

ولأنَّ الفنون بطبيعتها هي ممارسات إنسانية، فإنَّ ارتباطها بمصطلح الأنسنة لا يبدو غريباً للمتخصصين وعلماء الجمال والفلاسفة والمفكرين، لكنه يجد نفوراً من تلك الفئة التي مازالت تعتبر الفنون من الأمور غير المهمة، أو من الكماليات، أو حتى من يربطها بالرفاهية رغم أنهما فكران متناقضان.

وبالعودة إلى مقولة المفكر المهدي المنجرة، والتي أعتقد أنها تبلور فكرة أهمية أنسنة الفنون والتي نص فيها على أن: «الدول المتخلفة هي التي لها فنانوها وتعيش بدون فن»؛ فتصنيف الفنون من الكماليات يقلل من إمكانية أنسنتها، رغم أنَّ تجربة الفن نعايشها يومياً أثناء المشي في المدينة، أو التجوال في الحدائق، أو الاستماع إلى الراديو، أو قيادة السيارة، أو اختياراتنا في اللبس والعيش.

وقد أظهرت الدراسات أنَّ التعرُّض للفن يعزز التفكير النقدي والإبداع ومهارات حل المشكلات، ويشجع الأفراد على التفكير خارج الصندوق، واستكشاف وجهات نظر بديلة. ومن خلال تشجيع الفنون للتعبير عن الذات والخيال، يغذي الفن الفروق الفردية ويعزز الشعور بالذاتية، ويمكن أن يلهم الأفراد لمتابعة شغفهم، وتحدي الأعراف المجتمعية، وتقديم إسهامات إيجابية لمجتمعاتهم.

كما يمكن أن يكون للفن تأثير اقتصادي كبير على المجتمعات، كونه يسهم في الصناعات الإبداعية - بما في ذلك الفنون البصرية والفنون المسرحية والأفلام والتصميم - وفي النمو الاقتصادي، وخلق فرص العمل والسياحة، ويسهم في جذب الزوار من جميع أنحاء العالم للمعالم الثقافية، مثل المتاحف والمسارح؛ الأمر الذي يحفز الاقتصادات المحلية وينشط المجتمعات.

وتوفر الفنون أيضاً فرص عمل للفنانين وغيرهم من المهنيين المبدعين. وتسعى الدول المتقدمة لأنسنة مدنها من خلال الاستفادة من الفنانين والمبدعين وبناء البرامج السياحية القائمة على المتاحف، التي تجذب الزوار والجمهور للمتعة والثقافة، ويتعود الأفراد على زيارتها منذ الصغر

كذلك فإن الفنون وظفت تاريخياً لخدمة أهداف الدول فـ»كبار أصحاب الأموال في أمريكا وأوروبا يشجعون فرق السيمفونيات، وينشئون متاحف الفنون، ودور الأوبرا، ويعلنون عن المسابقات الفنية،

ويرصدون المنح لدراسة الفنون والعناية بها. والشيوعيون حال وجودهم السابق في روسيا لا يحطمون الفنـون، ولكنهـم يضعونهـا تحـت الرقابـة، ويسـتخدمونها اسـتخداماً عمديـاً بقصـد النهـوض بالمسـتوى الذوقـي، وفـي المكسـيك تجنـد الحكومـة الفنانيـن للتعبيـر بفنهـم علـى الجـدران عـن الثـورة الاجتماعيـة التـي ينشدها الجميـع».

وفـي الأخيـر فـإنَّ الإعلام يجـب أن يسـهم فـي تأكيـد دور الفنـون وقدراتهـا الاسـتثنائية علـى تغييـر المجتمعات؛ والقدرة على تعزيز التواصل الإنساني، وعكس التجارب الإنسانية المشتركة، وتحدى الأعراف المجتمعيـة، وإظهـار دورهـا فـي التغييـر الاجتماعـي، وإمكاناتهـا فـي المجتمعـات كمحفـز للتغييـر

ويجب أيضاً أنْ يوضح الإعلام الدور الذي تسهم به الفنون لجعل العالم مكانًا أجمل وأفضل وأكثر سعادة للعيش فيه بحضور الفنون وليس بدونها، وأن يستمر في تعزيز الوعي بتقدير الفنون ودعمها، حتى نضمن استمرار قوتها التحويلية في تشكيل عالمنا نحو الأفضل

الموقف الثقافي - الفنون التشكيلية

كيف نجعل الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع؟

فيصل خالد الخديدي

فنان تشكيلي، مدير فرع الجمعية السعودية للثقافة والفنون بالطائف

تعد الفنون لغة المجتمع ونبضه الذي يظهر ثقافته ويخلد أمجاده ويرسم خطاً بيانياً لمدى تطور الشعوب على مدار الزمن، فلم يكن لكثير من الحضارات أن تُوثَّق وتصل إلينا لولا رصد الفنون لها وتخليد الفن لكثير من تفاصيل تلكم الثقافات، فالفن ابن مجتمعه ونتاج حضارته ومؤشر على تطوره متى ما كان متلمساً لحاجاته ومعبراً عن واقعه وراسماً لمستقبله ولعلاقاته مع الثقافات الأخرى.

ولقد شهدت الفنون التشكيلية بشكل خاص، والفنون البصرية بشكل عام، في العقود الأخيرة قفزاتٍ متوالية ومربكة للمتابع والمتلقي على حد سواء، وأصبحت المسافات بين الفن واللافن غير متضحة الحدود، ولا واضحة المعالم

لقد شهدت الفنون التشكيلية في العقود الأخيرة قفزاتٍ متوالية ومربكة للمتابع والمتلقي على حد سواء، وأصبحت المسافات بين الفن واللافن غير متضحة الحدود، ولا واضحة المعالم.

فبعد بلورة الحداثة بجملة من الإزاحات القيمية التي رأت أنَّ الحاضر أزمة مستمرة، والتاريخ لا يتعدَّى أن يكون خبرات، وليس بالضرورة أن يكون حقيقة موضوعية، وحرَّكت الميول الثقافية بشكل واسع في المجتمع الغربي بنهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين إلى مجموعات مترابطة من الحركات الثقافية والفنية، ترفض الانصياع المطلق لما هو سائد، وإيجاد البدائل عبر التطور والابتكار والتجديد

ثمَّ جاءت حركة ما بعد الحداثة لتواصل التحول والنضوج في الثقافة الإنسانية، ومحاولة نقد المرحلة السابقة، والبحث عن خيارات جديدة؛ لتصل بعد ذلك الفنون المعاصرة إلى تجديد أكثر شمولية للمفاهيم

الفنية، وطرق التعبير عنها وذلك من خلال النظرة التبادلية بين الفن والمجتمع، حيث أصبحت الفنون اليوم تنتمي لحياة المجتمع، وبات ارتباطها بالتكنولوجيا وأدوات العصر أكثر، وسقطت كثير من الحوائط الفاصلة بين أجناس الفنون؛ لتصبح المشاريع الفنية تعتمد على الفكر والقضايا السياسية والمجتمعية البسيطة والعميقة بتقنيات ووسائط مفتوحة، لا يمكن حصرها

أعلت التأثيرات الرأسمالية من سطوة السلوك النفعي المادي، وأدَّت لانحسار الروحي في الفنون المعاصرة.

وعادة ما يقوم الفن المعاصر على التفكير الإبداعي للخروج عن مدارس الفن التقليدية، واتسعت دائرة مشاركة الجمهور في الفن المعاصر الذي أسقط كثيراً من القواعد، واخترق الحدود المتعارف عليها في الفن، وتساقطت علاقات روحية وملموسة أمامه؛ وربما يعود ذلك لاتساع رقعة استخدام وسائل التواصل، وهيمنة التقنية على الحياة البشرية، وظهور علاقات جديدة بين اللغة والصورة مع الانفتاح الفضائي، وتكريس ثقافة الصورة وكونية الإنسان، مع سرعة التنقل والسفر؛ فلم يعد يرتبط بأرض محددة

ومع زخم المعلومات والصور والبث المتواصل للفضائيات، وتعدد وسائطها، أصبحت الذاكرة البصرية المؤقتة سمة أيضاً في بعض الفنون المعاصرة، كما أنَّ التأثيرات الرأسمالية أعلت من سطوة السلوك النفعي وأدَّت لانحسار الروحي في الفنون المعاصرة.

اكل ذلك وأكثر ألقى بظلاله على الفنون المعاصرة فأصبحت الكونية هويتها، والجمال ليس مطلباً لها، وتعززت العلاقة المشتركة والتبادلية بين الفن والمجتمع، وهو ما يجعل الدور يتعاظم أمام الإعلام والتعليم أيضاً في تنمية وتشكيل ثقافة المجتمع واتساق أثرهما مع التطور والتسارع الذي يحدث في الفنون وتطوير أدواتها سواءً في صناعة الصورة بجميع مستوياتها وتصديرها كمنتج ثقافي فني يمثل هوية وثقافة المجتمع وينافس مع كونية الصور وفرضها كثقافة أصيلة

والأمر لايختلف كثيراً في التعليم فمواكبة كل ماهو جديد، بل منافسته في تقديم الفنون البصرية بشكل يصنع ثقافة المجتمع ويفرض هيمنتها الثقافة داخلياً ويقدمها كمنتج تعليمي وهدف سامي تنشده المؤسسة التعليمية في مخرجاتها ومنجزاتها وتشكيل هوية المجتمع من خلال فنونه وثقافته وتبني أجيال محبة ومثقفة وصانعة لهويتها من خلال إتقانها لفنونها وتصديرها لها بشكل مؤثر في الثقافة الإنسانية وحاضرها

كيف نجعل الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع؟

د. منال بنت عبد الكريم الرويشد

رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية للفنون التشكيلية (جسفت)

برزت الحضارات القديمة من خلال الفنون ومنها النحت والتصوير والفن التشكيلي؛ وللثقافة أهمية كبيرة في ثقافة المجتمع من خلال ما يكتسبه سلوك الإنسان وتفكيره ومشاعره بدءاً من التنشئة الأسرية والاجتماعية، فيتشرَّب المرء النظم والقيم والعادات والتقاليد بحسب الثقافة التي يتلقاها وتؤثر في سلوكه وطريقة تعامله مع الآخرين

كذلك الحال مع الفن التشكيلي، فإذا أتيح له التواجد مجتمعياً على الصعيد الخاص والعام، فإن المجتمع سيتشرب ثقافته، ويظهر أثره على السلوك والتفكير، حيث تعد الفنون التشكيلية شكلاً من أشكال الثقافة، وجزءاً مهماً من ثقافة الشعوب وممارساتهم اليومية، بالرغم من أن بداياته كانت للطبقة المخملية والراقية، ثم تطور حتى أصبح فناً شعبياً يهتم به كل الناس دون النظر إلى طبقتهم الاجتماعية والاقتصادية

ويسهم الفنان في تحقيق ذاته، والتعبير عن طاقاته الكامنة، والانطلاق بخياله الخصب، والتنفيس عمَّا بداخله، وما يجول في النفس، وما يشعر به من خلجات ومشاعر وحالات يمر بها بين فرح وترح، سعادة وحزن، وغيرها. وقد تنوعت الدراسات الإنسانية في الجوانب الفلسفية والنظرية والتطبيقية وقُسِّمت الفنون إلى: (الفنون البصرية، والمسرح، والموسيقى، والعمارة).

ويعد الفن التشكيلي من مسارات الفنون البصرية، له دوره في الرسالة البصرية لتحسين المشهد الحضري للمدن في المباني والواجهات المعمارية والأماكن العامة في الشوارع، والأسواق، والحدائق، والجدران. وهو أيضاً أداة لتربية المشاعر وتوجيهها، فهو يحقق وظيفة تربوية وتعليمية بالمشاركة الوجدانية مع الناس في مختلف أنحاء المعمورة.

ويؤثر الفن على الاتجاهات والميول والتعايش في الحياة الاجتماعية، ويحقق للشباب فرصاً في إنجاز طموحاتهم وأحلامهم وشغفهم بنشر الوعي الجمالي في الإنتاج الفني الثنائي الأبعاد، أو الثلاثي، وممارسة ريادة الأعمال لتكون مصدر رزق ومكسب لهم. كذلك يسهم الفن التشكيلي في تجميل المباني القديمة، وتشكيل وعي ثقافي حديث نحو تحسين المظهر العام، وبالتالي، تعد الفنون البصرية فناً جاذباً للسياحة

يؤثر الفن على الاتجاهات والميول والتعايش في الحياة الاجتماعية، ويحقق للشباب فرصاً في إنجاز طموحاتهم وأحلامهم وشغفهم بنشر الوعي الجمالي في الإنتاج الفني الثنائي الأبعاد، أو الثلاثي، وممارسة ريادة الأعمال لتكون مصدر رزق ومكسب لهم.

ويمكن القول إننا نستطيع أن نجعل من الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع وتكوين الوعي المجتمعي بالقضايا المهمة للإنسانية والوطن، من خلال:

- تنظيم المعارض الفنية الدائمة والمؤقتة والمتنقلة في الصالات والقاعات الفنية وفي الأسواق العامة والشوارع والحدائق في فعاليات ثقافية وترفيهية متنوعة.
- تعزيز دور وسائل الإعلام والاتصال والتواصل الاجتماعي بنقل الأخبار والتقارير واللقاءات وعرض المعارض الافتراضية وتوثيقها ووصولها في مدة قصيرة لمختلف دول العالم والتواصل المباشر.
- إدخال الفن التشكيلي في النظام التعليمي العام بتعلُّم الأساسيات في الفن التشكيلي من خلال نظام التعليم العام وفي سن صغيرة، مما يطور المهارة الفنية ويسهم في تكوين شخصية سوية متذوقة للجمال داعمة للاقتصاد المعرفي.
- تعزيز دور الفن التشكيلي في الصحة النفسية، وذلك من خلال العلاج بالفن الذي يقلل من الخوف والعنف والغضب والقلق أو أي مشاعر مكبوتة ويعمل على تحسين الطبيعة النفسية والاستقرار

- النفسي، لأن كبت المشاعر والأحاسيس يحد من العطاء. فالفن التشكيلي يسهم في الشفاء والتعافي من الآثار السلبية والنفسية بما ينعكس على تحسن الصحة النفسية والاستقرار في المجتمع.

- الاهتمام بالفن التشكيلي والاقتصاد الإبداعي، فالإنتاج الفني ينمي الحس الفني ويوسع الخيال ويسهم في الاقتصاد الإبداعي ممَّا له أثر على الاستثمار في المواهب وبناء مشاريع وبرامج تسهم في تمكين الكيان الاجتماعي ودعم تماسكه والتخطيط للصناعات الإبداعية بالتأثير الاجتماعي العائد على المبدعين ببناء مشاريع إبداعية وقوية ومستدامة بتطوير الأفكار وتحويلها إلى ممارسة مستدامة لمشروع تجاري يعمل على تحويل العملية الإبداعية وتطوير المنتجات المبتكرة.

والدور المأمول من الإعلام والتعليم كبير، فكلاهما سلاح ذو حدين في رعاية المواهب وإبراز المبدعين والارتقاء بالإبداع والمبدعين في خطط تعليمية إعلامية موجهة لهم لرعايتهم كقصص نجاح وكرموز إبداعية، وإشراكهم في المناسبات والمحافل الوطنية والدولية بعرض إنتاجهم والتأكيد على الهوية المحلية والموروث والجوانب الإبداعية في إنتاجهم وتصديرهم للعالم من خلال القنوات للتواصل وكذلك بتمثيلهم للمملكة مما يرعى إبداعهم ويسهم في تحقيق رؤية السعودية 2030م

كيف نجعل الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع؟

د. سلمان بن عامر الحجري

أستاذ التصميم الجرافيكي المشارك في جامعة السلطان قابوس بسلطنة عُمان

إن الدارس لتاريخ الفنون التشكيلية في منطقة الخليج العربي يجد أن جذورها تعود إلى عصور ما قبل الإسلام، حيث كانت الفنون والحرف اليدوية من أهم عناصر الحياة الاجتماعية والثقافية في المنطقة. وقد تميزت هذه الفنون بتنوعها وتعددها، حيث ضمت العديد من الأشكال والمدارس الفنية، بما في ذلك الفنون الزخرفية والهندسية، والفنون الشعبية، والفنون الإسلامية. والسؤال هل هذه الفنون نخبوية ومحصورة بين المختصين فقط وفي القاعات المغلقة؟ أم يمكن أن تكون عامة ومفتوحة؟

بدأت الحركة التشكيلية الحديثة في الخليج العربي في الخمسينيات من القرن الماضي، حيث ظهرت العديد من الأسماء البارزة في هذا المجال، مثل: معجب الدوسري في الكويت، وعبد الحليم رضوي في السعودية، ومبارك المزيني في البحرين. وتميزت هذه الحركة بسعيها إلى التجديد والابتكار، ومحاولة استيعاب التأثيرات الفنية الغربية، مع الحفاظ على الهوية الثقافية العربية والخليجية.

كما شهدت الفنون التشكيلية في منطقة الخليج تطوراً كبيراً في العقود الأخيرة، حيث ظهرت العديد من الاتجاهات الفنية الجديدة، مثل: الفن التجريدي، والواقعية، والسريالية، والتعبيرية. وأسهمت العديد من المؤسسات الثقافية والفنية في دعم الحركة التشكيلية في الخليج العربي، مثل: المتاحف الفنية، والمراكز الثقافية، وجمعيات الفنون

وتمثل المملكة العربية السعودية رائدة بتراثها الفني الغني الذي يعود إلى آلاف السنين، حيث تميزت الفنون التشكيلية السعودية بتنوعها وتعددها، وضمَّت العديد من الأشكال والمدارس الفنية، بما في ذلك الفنون الزخرفية والهندسية، والفنون الشعبية، والفنون الإسلامية؛ ويعود ابتداء الحركة التشكيلية

الحديثة في المملكة العربية السعودية إلى الخمسينيات من القرن الماضي، حين ظهرت العديد من الأسماء البارزة في هذا المجال، مثل: عبد الحليم رضوي، ومحمد السليم، وسعد بن عبدالله، وعبدالله الخضير. وقد تميزت هذه الحركة بسعيها إلى التجديد والابتكار، ومحاولة استيعاب التأثيرات الفنية الغربية، مع الحفاظ على الهوية الثقافية العربية والسعودية.

> تتمتع السعودية بتراث فني غني يعود لآلاف السنين، حيث تميزت الفنون التشكيلية السعودية بتنوعها وتعددها، وضمَّت العديد من الأشكال والمدارس الفنية.

وقد أسهمت العديد من المؤسسات الثقافية والفنية في دعم الحركة التشكيلية في المملكة العربية السعودية، مثل: المتحف الوطني السعودي، والجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بفروعها المتعددة. ورغم كل هذا الجهد المبذول إلا أنَّ الفنون لا تزال محدودة من حيث التأثير في التشكيل الثقافي لمجتمعاتنا الخليجية، وهو ما يعكس أهمية السؤال المركزي المطروح وهو:

- كيف نجعل الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع، وما الدور المأمول من التعليم والإعلام لأنسنه الفنون التشكيلية؟
- واقع الحال فالإجابة على هذه التساؤلات المهمة تقتضي منا التعرف على أهمية الفنون التشكيلية في المجتمع من حيث الدور الذي تلعبه والمتمثل في:
- ثراء الثقافة والحضارة، حيث تعبر الفنون التشكيلية عن الهوية الثقافية والحضارية للمجتمع، وتسهم في نشر الوعي الثقافي لدى أفراد المجتمع.

- تعزيز القيم الإنسانية، حيث تسهم الفنون التشكيلية في تنمية الحس الجمالي لدى أفراد المجتمع، وتساعدهم على فهم وتقدير القيم الإنسانية النبيلة.
- تنمية القدرات الإبداعية، حيث تسهم الفنون التشكيلية في تنمية القدرات الإبداعية لدى أفراد المجتمع، وتحفيزهم على التفكير النقدي والتعبير عن أنفسهم بشكل إبداعي.
- وعليه فمن الأهمية بمكان أن نجعل الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع. وهذا الدور تقوم به المؤسسات والفنانون، على حد سواء. وأرى أنه على دول الخليج العربي وعن طريق المؤسسات الثقافية المعنية، اتخاذ الإجراءات التالية:
- زيادة الدعم الحكومي للحركة التشكيلية، من خلال تخصيص ميزانية مناسبة للأنشطة الثقافية والفنية، وتوفير البنية التحتية اللازمة لهذه الأنشطة.
- نشر الوعي المجتمعي بأهمية الفنون التشكيلية، من خلال تنظيم الأنشطة التعليمية والتوعوية، بالتعاون مع وسائل الإعلام المختلفة.
- تعزيز التسويق والتواصل مع الجمهور، من خلال تطوير وسائل التواصل الاجتماعي، وتنظيم المعارض الفنية والفعاليات الثقافية في مختلف مناطق المجتمع.
- من جانب آخر هناك أدوار محورية تقع على عاتق التعليم والإعلام لأنسنة الفنون التشكيلية وذلك على غرار:
- تعليم الطلاب أهمية الفنون التشكيلية، وكيفية فهمها وتقديرها.
- تشجيع الطلاب على ممارسة الفنون التشكيلية، وتنمية قدراتهم الإبداعية.

- نشر المعرفة حول الفنون التشكيلية، وتعريف الجمهور بمختلف المدارس الفنية والاتجاهات الفنية.
- إدراج الفنون التشكيلية كجزء من المناهج الدراسية في مختلف المراحل التعليمية.
- تنظيم المعارض الفنية والفعاليات الثقافية في المدارس والجامعات.
- التعاون مع وسائل الإعلام المختلفة لنشر المعرفة حول الفنون التشكيلية.

هناك فرصة لتطوير قطاع الفنون التشكيلية في الخليج العربي، حيث تسعى العديد من المؤسسات الثقافية والفنية إلى دعم الحركة التشكيلية، وتوفير البيئة المناسبة للإبداع لمختلف شرائح الفنانين الخليجيين.

من خلال هذه الإجراءات، يمكن أن نجعل الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع، وأن نسهم في تنمية القدرات الإبداعية لدى أفراد المجتمع، وإثراء الثقافة والحضارة

وبشكل عام أرى أنَّ هناك فرصة لتطوير قطاع الفنون التشكيلية في المستقبل القريب، وأن تشهد الفنون التشكيلية في الخليج العربي تطوراً كبيراً في العقد المقبل، حيث تسعى العديد من المؤسسات الثقافية والفنية في المنطقة إلى دعم الحركة التشكيلية، وتوفير البيئة المناسبة للإبداع لمختلف شرائح الفنانين الخليجيين. كما يتوقع أن تستمر الفنون التشكيلية في الخليج العربي في التعبير عن الهوية الثقافية والحضارية للمنطقة، وإثراء المشهد الفني العالمي

الموقف الثقافي - الفنون التشكيلية

كيف نجعل الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع؟

محمد العتيق

فنان تشكيلي ونحات ومصمم جرافيك

الفنون وممارستها بجميع أنواعها سواءً كانت موسيقى، أهازيج، وشيلات حربية، أو صناعة يدوية، هي مكون أساسي لدى المجتمع البدوي أو الحضري، كما هو الحال في الحرف اليدوية، وصناعة الأدوات، وحياكة بيوت الشعر، وصناعة الفخار وأواني حفظ الطعام، وكل ما يساعدهم على صعاب الحياة.

هذه الفنون أتت بالفطرة لدينا في الوطن العربي والإسلامي وبالأخص الجزيرة العربية، يعني يُولَدُ المرءُ من الأساس فناناً بالفطرة، ثم تنمو هذه المقدرة بحسب الحاجة. لكن اليوم ومع وجود الصناعة والتطور وتحول العالم إلى ما يشبه القرية الواحدة، ابتعد المجتمع عن الاهتمام بهذه الفنون من أهم الأسباب التي أبعدت الإنسان داخل مجتمعاتنا عن الفنون التشكيلية بالأخص الرسم والحرف اليدوية مثل صناعة الفخار والنقوش وصناعة السدو وما شابه كصناعة السفن، هو إهمال أهم مادّة فيه وهي الرّسم، وجعلها مادّة ثانوية، وغير أساسية في التعليم النظامي، مما أدّى إلى تهميشها وانعدام خطة منهجية لتعليمها للفئات السِّنية وصولاً إلى المرحلة الثانوية

الفنون أتت بالفطرة لدينا في الوطن العربي وبالأخص الجزيرة العربية، إذ يُولَدُ المرءُ من الأساس فناناً، ثم تنمو موهبته بحسب الحاجة.

وهكذا ستبقى الفنون بجميع صورها في وضع إشكالي إلى أن يتم وضع منهج وخطة واضحة وجدية، بحيث تكون لدينا المخرجات التي ستنتج في النهاية الفنان التشكيلي، والمهندس المعماري، والموسيقي، والشاعر، والمفكر، بما يعمل على خلق جيل محب للفنون وممارس ومنتج ومقدر لها

أيضاً لا بدَّ أن تتغير نظرة المجتمع لخريج الفنون بحيث يعامل مثله مثل الطبيب والعسكري والمهندس، له مكانة في الدولة ويتقاضى راتباً. وقد كانت هذه إحدى الإشكالات لدى مجتمعاتنا المحلية في اختيار مادة الفنون في الدراسات العليا، حيث أدَّى الرفض المجتمعي لهذه المادَّة إلى قلة منتسبيها.

لكن اليوم بدأت تتغير هذه النظرة، وبدأ خريجو الفنون الجميلة يفرضون أنفسهم، كما بدأ الفن يحظى باهتمام من الأسرة والمجتمع وهو ما انعكس في نشر ثقافة الفن وطلب برامج متخصصة للفنون

وهنا يبدأ دور وسائل الإعلام في تبني نشر الوعي ووضع خطط وبرامج توعوية لبث ونشر جميع أنواع الفنون ومقارنتها بالفنون مع العالم. لكن السؤال يظل قائماً، وهو: كم برنامجاً متخصصاً بالفنون اليوم يبث عن طريق وسائل الإعلام في الوطن العربي؟

لا بدَّ أن تتغير نظرة المجتمع لخريج الفنون بحيث يعامل مثله مثل الطبيب والعسكري والمهندس، له مكانة في الدولة ويتقاضى راتباً، حيث أدَّى الرفض المجتمعي لهذه المادَّة إلى قلة منتسبيها.

أعتقد أنَّ الساحة الإعلامية على الصعيد المرئي والمسموع والمقروء مقصرة جداً في نشر الوعي الثقافي المختص بالفنون التشكيلية، فكم برنامجاً يتحدث عن أنواع الفنون ويقدم مادة علمية وشرحاً وافياً للمشاهد العربي عن مدارس الفنون وتحولاتها مقارنةً بالبرامج الرياضية والقنوات المتخصصة لها

الساحة الإعلامية على الصعيد المرئي والمسموع والمقروء مقصرة جداً في نشر الوعي الثقافي المختص بالفنون التشكيلية، فكم برنامجاً يتحدث عن أنواع الفنون ويقدم مادة علمية وشرحاً وافياً للمشاهد العربي عن مدارس الفنون وتحولاتها مقارنةً بالبرامج الرياضية والقنوات المتخصصة لها؟

أيضاً توجه الدولة مهم جداً من حيث تسليط الضوء على اهتمامها بالفنان نفسه ومساعدته وحفظ نتاجه وإنشاء الصروح المخصصة للعروض من قاعات عرض ومتاحف متخصصة تحفظ نتاج الفنانين والعمل على تسهيل المعوقات وتبني المهرجانات المختصة بالفنون، إذ تعد هذه المهرجانات مساحة يكتشف فيها المبدعون وتكون أعمالهم وإنتاجهم واجهة للدولة ورسائل للعالم

أيضاً اليوم نرى افتتاح استوديوهات حول العالم وإرسال فنانين موهوبين يمارسون أفكارهم الإبداعية فيها لفترات معينة ويأتون بثقافات جديده تضيف إلى ما يوجد لديهم من مخزون تراثي واللحاق بالركب مع تطور الفنون حول العالم التي أصبحت تركز على الفكر أكثر من المهارة حيث دخلت الآلة في صناعة المنتج الفني وهذا ليس عيباً في وجود الفكر والعقل الذي هو أساس الإبداع

الموقف الثقافي - الفنون التشكيلية

كيف نجعل الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع؟

سلوى الرفاعي
فنانة تشكيلية

لجعل الفنون التشكيلية عنصراً أساسياً في ثقافة المجتمع، هناك عدة جوانب يجب مراعاتها. ومن المهم أن يلعب التعليم والإعلام دوراً مهماً في نشر الوعي وتعزيز الاهتمام بالفنون التشكيلية. هذه بعض النقاط المهمة:

التعليم: يجب أن تكون للفنون التشكيلية مكانة في المناهج التعليمية، سواءً في المدارس أو الجامعات. إذ يجب توفير دروس فنية متنوعة وشاملة للطلاب في جميع المستويات العمرية، بحيث يمكن للتلاميذ تعلم مبادئ الرسم والتصميم والتعبير الفني وتطوير مهاراتهم الفنية والإبداعية

الوصول إلى الفنون التشكيلية: يجب أن تكون للجميع فرصة الوصول إلى الفنون التشكيلية بغض النظر عن الخلفية الاقتصادية أو الاجتماعية. ويمكن تحقيق ذلك من خلال تنظيم ورش عمل وفعاليات فنية مجانية أو بأسعار معقولة، وتوفير المساحات العامة لعرض الأعمال الفنية والمعارض المجتمعية

> يجب أن تكون للجميع فرصة الوصول إلى الفنون التشكيلية بغض النظر عن الخلفية الاقتصادية أو الاجتماعية، ويمكن تحقيق ذلك من خلال تنظيم ورش عمل وفعاليات فنية مجانية أو بأسعار معقولة، وتوفير المساحات العامة لعرض الأعمال الفنية والمعارض المجتمعية.

- دعم الفنانين المحليين: يجب تشجيع ودعم الفنانين المحليين وتوفير منصات لعرض أعمالهم. ويمكن تنظيم معارض فنية محلية ومسابقات لتشجيع المواهب المحلية وتعزيز التفاعل المجتمعي مع الفن.

- التوعية والتثقيف: يجب أن تكون هناك جهود مستمرة لتوعية الجمهور بأهمية وجمالية الفنون التشكيلية، بحيث يمكن تنظيم محاضرات وندوات وورش عمل لتعريف الناس بتاريخ الفن والتقنيات المستخدمة والقضايا المعاصرة في الفن.

- التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي: يمكن استخدام التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي لنشر الفنون التشكيلية وإبراز أعمال الفنانين، ويمكن إنشاء مواقع ومنصات رقمية لعرض الأعمال الفنية وتشجيع التفاعل والنقاش الفني عبر الإنترنت.

- الدعم المالي: يجب أن يكون هناك دعم مالي للفنون التشكيلية من قبل الحكومات والمؤسسات والجهات الخاصة. ويمكن تقديم المنح الفنية والمساعدة المالية للفنانين والمشاريع الفنية لتشجيع الإبداع وتطوير المجتمع الفني.

باختصار، يجب أن يتعاون التعليم والإعلام معًا لنشر الوعي والاهتمام بالفنون التشكيلية. يجب أيضاً توفير الفرص والموارد للجميع للتعلم والتعبير الفني والاستمتاع بالأعمال الفنية. يمكن أن يلعب الفن دوراً مهماً في تعزيز التعبير الثقافي وإثراء حياة المجتمع، ويمكن أن يسهم في تعزيز الابتكار والتفكير الإبداعي في مجتمعنا

شيخ إدريس
فنان تشكيلي

من المؤكد أنَّ بناء الثقافة المجتمعية بالفن التشكيلي يحتاج إلى فترة زمنية ومتسع من الوقت مما يوجب علينا استدامة السعي لتنفيذها بصبر وأناة، ودعم إرسائها على أرض الواقع بتقديم فن تشكيلي بمستوى يكون جاذباً للمتلقي من عامة المجتمع، وهذه مسؤولية تقع على عاتق أصحاب المواهب والخبرات من التشكيليين

ومما يسهم في تحقيق هذا الأمر ما تقدمه وزارة الثقافة السعودية ودول الخليج أيضاً من خطط وبرامج طموحة ومحفزة تدعم الفنانين التشكيليين وتستقطب الهواة من الجنسين لتطوير قدراتهم بتأسيس كيان عملاق يستقطب ويدعم وينظم ويهتم بنشاط وتنمية قدرات الفنانين على مستوى المملكة والمتمثل في جمعية الثقافة والفنون المنتشرة فروعها بمختلف مناطق ومدن المملكة، والتي تستهدف بناء قدرات الشباب الموهوب والهاوي وتشرف وتنظم المعارض والأنشطة والفعاليات والدورات والورش التدريبية، وتتيح لهم فرص المشاركة وتقديم أنفسهم بصورة أفضل

ما أحوج الفنانين إلى صحيفة أو موقع إلكتروني ينقل ويتابع الأنشطة والمعارض والفعاليات والندوات ويقدم النقد، كما ينشر أعمال الفنانين بشكل واسع.

لقد كنت شاهداً على التطور المذهل على مدى أكثر من أربعين عاماً أقمت خلالها في المملكة، شهدت فيها تطوراً متنامياً وجاداً في مجال بناء قدرات الشباب في حقل الفنون البصرية، مما حداني للإسهام بإقامة العديد من الدورات والورش لتقديم ما اكتسبته من علوم وخبرات في هذا المجال،

وما كان محفزاً لي هو الرغبة الجامحة من الشباب في تطوير قدراتهم.

كذلك من المهم في هذا الصدد ما تقوم به وسائل الإعلام من حراك في نقل الأنشطة الفنية والمعارض على مستوى المملكة مما أسهم بقدر كبير في الثقافة المجتمعية بالفنون البصرية

وفي هذا الصدد تحدوني الرغبة في أن أرى صحيفة أو موقعاً إلكترونياً عن الفنون البصرية ينقل ويتابع الأنشطة والمعارض والفعاليات والندوات ويقدم النقد، كما ينشر أعمال الفنانين على وسائل الإعلام وشبكات التواصل لما لها من انتشار واسع بالمجتمع ولدورها في إثراء الثقافة المجتمعية

ما أحوج الفنانين إلى صحيفة أو موقع إلكتروني ينقل ويتابع الأنشطة والمعارض والفعاليات والندوات ويقدم النقد، كما ينشر أعمال الفنانين بشكل واسع

ومما يجب ذكره إسهام القطاع الخاص ورجال الأعمال والدولة بما يقدمونه من دعم ورعاية للفنانين وأنشطتهم من خلال إقامة معارضهم واقتناء أعمالهم. ومن ناحية أخرى يقع على عاتق وزارة التعليم الإسهام بوضع مناهج ثرية لمادة الفنون أقلها لتثقيف جيل الشباب الذي يمثل مستقبل البلاد

وختاماً أؤكد على أن ما تطرحه وتعمل عليه المملكة من خطة 2030 سيؤتي أكله بإذن الله في مجال الفنون التشكيلية

وبعد استعراض هذه الأراء يمكن الخروج بالنتائج التالية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء الفنون والتشكيلية من مقترحات وسياسات لتعزيز العلاقة بين المجتمع والفنون:

أولاً: إدخال الفن التشكيلي في النظام التعليمي العام لتعلُّم الأساسيات في الفن التشكيلي ومعرفة دلالات الألوان في سن مبكرة مما يطور المهارة الفنية ويسهم في تكوين شخصية سوية متذوقة للجمال داعمة للاقتصاد المعرفي

ثانياً: زيادة الدعم الحكومي للحركة التشكيلية، من خلال تخصيص ميزانية مناسبة للأنشطة الثقافية والفنية، وتوفير البنية التحتية اللازمة لهذه الأنشطة

ثالثاً: تعزيز التسويق والتواصل مع الجمهور، من خلال تطوير وسائل التواصل الاجتماعي، وتنظيم المعارض الفنية والفعاليات الثقافية في مختلف مناطق المجتمع

رابعاً: تعريف المجتمع عبر وسائل الإعلان المجتمعية بمواقع ومواعيد المعارض الفنية، وإنشاء صحف أو مواقع إليكترونية متخصصة في الفنون البصرية تنقل الأنشطة والمعارض والفعاليات والندوات وتقدم النقد، كما تنشر أعمال الفنانين عبر الإعلام

خامساً: تعزيز الوعي في التعليم وعبر الإعلام بدور الفنون وقدراتها الاستثنائية على تغيير المجتمعات؛ والقدرة على تعزيز التواصل الإنساني، وعكس التجارب الإنسانية المشتركة

سادساً: تطوير أدوات الفنون التشكيلية سواءً في صناعة الصورة بجميع مستوياتها وتصديرها كمنتج ثقافي فني يمثل هوية وثقافة المجتمع وينافس مع كونية الصور وفرضها كثقافة أصيلة

سابعاً: أن تعنى الحكومات بالفنان نفسه من حيث مساعدته وحفظ نتاجه وإنشاء الصروح المخصصة للعروض من قاعات عرض ومتاحف متخصصة تحفظ نتاج الفنانين وتسهيل المعوقات

ثامناً: تبني المهرجانات المختصة بالفنون لتكون مساحة يكتشف فيها المبدعون وتكون أعمالهم وإنتاجهم واجهة للدول ورسائل للعالم

تاسعاً: ابتعاث الفنانين الموهوبين إلى الأستوديوهات العالمية لممارسة أفكارهم الإبداعية فيها لفترات معينة والخروج بثقافات جديده تضيف إلى ما يوجد لديهم من مخزون تراثي

عاشراً: أن تكون للجميع فرصة الوصول للفنون التشكيلية بغض النظر عن الخلفية الاقتصادية أو الاجتماعية، وذلك من خلال تنظيم فعاليات فنية مجانية أو بأسعار معقولة، وتوفير المساحات العامة لعرض الأعمال الفنية

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

أين إشكال الأندية الأدبية؟ وإلى أين تمضي؟

العدد الرابع - الأندية الأدبية

الشريك الأدبي
Literary Partner

الجمعية العربية السعودية

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
ابريل - 2024

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية. ونستهدف منه أن نوصل رأي المعنيين للجهات المسؤولة، فنكون بمثابة حلقة من حلقات الربط بين هيئات وزارة الثقافة والمرتبطين بها ثقافيا.

إخلاء مسؤولية:

تمثل الآراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد الكتاب والمثقفين المشاركين، ولا تعبر بالضرورة عن رأي البرنامج الثقافي والإعلامي بمركز الخليج للأبحاث وإدارته.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الموقف الثقافي

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

(الأندية الادبية، اللغة العربية، الفنون التشكيلية، التعليم، المسرح، السينما، معارض الكتاب، التاريخ، الاعلام، الثقافة والمثقف)

مدخل

لسنوات طويلة، مثلت «الأندية الأدبية» مراكز للعمل الثقافي في المملكة العربية السعودية قبل أن ينحسر دورها خلال الفترة الأخيرة في ظل ما يمر به قطاع الثقافة من إعادة تنظيم وهيكلة

ظهرت الأندية الأدبية لأول مرة قبل نحو خمسين عاماً، وتحديداً في مايو عام 1975 عندما عقد الرئيس العام للرئاسة العامة لرعاية الشباب السعودي الأمير فيصل بن فهد يرحمه الله اجتماعاً بمدينة الرياض مع عدد من الأدباء والمثقفين من مناطق المملكة، للتباحث في شأن صيغة مؤسسية لتفعيل الثقافة، وكانت الأندية الأدبية هي الصيغة التي تمَّ الاتفاق عليها لتوجيه الثقافة في البلاد وجهة جديدة تقوم على العمل المؤسسي والعناية بمختلف أشكال الثقافة والإبداع.

ومنذ عام 1975م، ظهر عددٌ من الأندية الأدبية، وكان من أولها وأبرزها نادي جدة الأدبي الثقافي، ونادي الرياض الأدبي، ونادي جازان الأدبي، ونادي الطائف الأدبي، ونادي مكة المكرمة الأدبي، ونادي المدينة المنورة الأدبي، ووصلت إلى ستة عشر نادياً موزعة في أرجاء المملكة العربية السعودية، وصدر عن هذه الأندية عدد كبير من الكتب والإصدارات، كما نظمت ملتقيات ومهرجانات دورية مثَّل بعضُها علامةً فارقةً في المشهد الثقافي السعودي والعربي

وإذا كان ذلك هو حال الأندية في عقد الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين، فإنَّ حالة من الركود بدأت تصيبها مع انتهاء العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين، وبخاصة بعد أن قفز على سدة عديد من هذه الأندية فئات الأكاديميين وممن ينتمون للتيار الحركي الإسلامي، فكان أن أجهضوا التجربة كما يقول بذلك جانب من المثقفين، على أنَّ غيرهم يخالفونهم الرأي والتوجه

أضف إلى ذلك فإنَّ الانتخابات الأخيرة قد أدَّت إلى وصول بعض من ليس لهم علاقة بالثقافة والمشهد الثقافي إلى مجالس إدارات الأندية الأدبية، وهو ما أدَّى إلى مزيد من الإرباك لعمل الأندية

وفي كل فقد أخذت الأندية الأدبية، وبخاصة منذ منتصف العشرية الثانية وصولاً إلى اليوم، تشهد نوعاً من الركود في نشاطها، وزاد ذلك في ظل الضبابية التي تكتنف مستقبلها، وظهور كيانات أخرى موازية وحاضنة لطبيعة العمل الثقافي الذي كان في السابق من اختصاصها، كما هو الحال مع مبادرة «الشريك الأدبي».

هذا الأمر دفعنا في هذا العدد من «الموقف الثقافي» لأن نستطلع آراء نخبة من المثقفين من خلال جملة من الأسئلة، وهي:

- كيف تقيم تجربة الأندية الأدبية في العقد الأخير؟
- هل تعتقد بأنها قد شملت بمضمونها الثقافة بمفهومها الشامل أم أنها انحصرت في سياق أدبي وأكاديمي بحت؟
- كيف ترى قرار وزارة الثقافة بتحويل مؤسسات الأندية للقطاع غير الربحي؟
- وهل تؤيد فكرة إدماج الأندية مع فروع الجمعية السعودية للثقافة والفنون وإعادة تشكلهما بما يعرف باسم المراكز الثقافية؟
- وأخيراً، هل تعتقد بأن تجربة «الشريك الأدبي» قد عوضت مسار الأندية الثقافي بشكل أفضل؟

نشير إلى أننا في البرنامج الثقافي والإعلامي بالمركز قد حرصنا على استطلاع أكبر عدد من المثقفين المعنيين من رؤساء الأندية الشهيرة وغيرهم ممن ارتبطوا بالشأن الثقافي، وللأسف فعديد منهم قدَّم اعتذاره عن المشاركة، والبعض منهم لم يتجاوب أساساً، وعلى كل فقد تفاعل مع استطلاع الموقف الثقافي مجموعة نراها غيورة وجادة وتؤمن بدور المثقف العضوي الفاعل، فلهم الشكر والتقدير. وفيما يلي نورد إجابات المثقفين

د. أحمد بن عيسى الهلالي

أستاذ الأدب والبلاغة المشارك بجامعة الطائف
المسؤول الإداري بالنادي الأدبي الثقافي بالطائف

الأندية الأدبية مؤسسات عريقة، وراسخة في خدمة المشهد الثقافي السعودي منذ نصف قرن، يتعدَّى دورها المحلية إلى الوطن العربي، وأرى عطاءها في العقد الأخير من واقع خبرتي وتماسي المباشر معها من خلال عملي مسؤولاً إدارياً في أدبي الطائف، ومن خلال دراستي (الأندية الأدبية، النشأة والتطور والأثر في نشر الوعي الثقافي) المنشورة عام 2014م ومشاركاتي ومتابعاتي للأندية الأدبية الأخرى، أراه عطاءً مؤثراً وضخماً من خلال الفعاليات المتنوعة كالملتقيات الكبرى والأماسي والمحاضرات والجوائز الأدبية وطباعة الكتب والدوريات وعقد الورش والدورات الثقافية، وقد استطاعت الأندية من خلاله أن تقدم خدمات جليلة للمشهد الأدبي والثقافي السعودي والعربي، تجاوزت المحور الأدبي إلى معنى الثقافة الشامل، فهناك اهتمام بالفنون المتصلة بالآداب كالموسيقى والمسرح والخطابة والإلقاء، وكذلك التاريخ والفنون البصرية والتراث والتقنية، وربما غاب الأدب الشعبي في جلها؛ لأنَّ اللائحة الأساسية تحصرها في الأدب الفصيح، وإذا قيمنا تلك الجهود، سنعدها جهوداً كبيرة جداً، في ظل علمنا بتواضع الميزانية السنوية المخصصة لكل ناد

> لا أظن أنَّ دمج الأندية الأدبية وجمعيات الثقافة والفنون في مراكز ثقافية سيكون موفقاً

أمَّا توجه الوزارة إلى تحويل الأندية الأدبية إلى مؤسسات القطاع غير الربحي، فأنا على ثقة تامَّة بتوجهات الوزارة، وحرصها على تاريخ المؤسسات الأدبية وإرثها، ولا يعدو هذا التوجه أن يكون محاولة

تنظيمية لانسجام المؤسسات الثقافية وتنظيم أدوارها في خدمة المشهد الثقافي، ومتفائل بأنْ تؤتي هذه الخطوة ثمارها المرجوة، وتزيد من قدرة المؤسسات الثقافية على تقديم خدماتها، وتجويد مخرجاتها

من جهة أخرى، فلا أظن أنَّ دمج الأندية الأدبية وجمعيات الثقافة والفنون في مراكز ثقافية سيكون موفقاً، وهي دعوة قديمة نادى بها بعض المثقفين، وعدم تفاؤلي بنجاحها ناجم عن تأملات مختلفة، أهمها:

1. أنَّ كثرة التخصصات داخل مؤسسة واحدة سيربك العمل الثقافي، لذلك نرى أن وزارة الثقافة قسّمت التخصصات في هيئات مختلفة، وكل هيئة تؤدي مهامها المحددة بتركيز واهتمام لا ارتباك فيه، ولا اختلال في تناغم إيقاعه

> تجربة الشريك الأدبي جريئة وشجاعة لكنها ليست ناضجة؛ ذلك أنها تستوحي فكرتها مما كانت عليه الثقافة العربية القديمة في مصر وبلاد الشام والحجاز

2. في إلقاء نظرة على جمعيات الثقافة والفنون ذات التخصصات المختلفة في الفنون والآداب سنجد أن الجمعيات في المملكة متباينة، فجمعية تميزت في المسرح وأخرى في الفن التشكيلي وثالثة في الأدب الشعبي ورابعة في الأفلام، ولا نجد جمعية تتساوى فيها حظوظ جميع الفنون والآداب؛ ذلك أنَّ الغلبة داخل الجمعية جاءت لصالح أحد الفنون، فقبعت البقية في الظل

3. مررت بتجربة مزج الآداب مع الفنون في جماعة فرقد الإبداعية، ولم تنجح الفكرة، ولم يحدث الانسجام المأمول بين الأدباء والفنانين التشكيليين، رغم محاولاتهم الجادة في التعاون، لكن التباينات واختلاف الاهتمام، وطرق التعاطي كانت أكثر من التقاطعات

هذا ما سيحدث في المراكز الثقافية، حيث ستُهمش بعض التخصصات؛ لأنَّ الغلبة وكثرة الأنصار ستكون من صالح بعضها، وستلقي بظلالها على الأخرى

أمَّا تجربة الشريك الأدبي، فهي تجربة جريئة وشجاعة لكنها ليست ناضجة؛ ذلك أنها تستوحي فكرتها مما كانت عليه الثقافة العربية القديمة في مصر وبلاد الشام والحجاز، وغاب عن صاحب الفكرة أن تلك المقاهي التي أصبحت ملتقيات ثقافية مؤثرة، لم يخطط لها ذلك، إذ كان بعض الأدباء يجتمعون بعفوية مطلقة فيها، ثم اتسعت الدائرة وزاد المنضمون، وصار اللقاء دأباً منتظماً، وهذه التراكمية جعلت المقهى ثقافياً بامتياز، أما ما نشهده اليوم فهو بعيد كل البعد عن ذلك، ومن ناحية أخرى فلا تستطيع مقاهي الشريك الأدبي أن تنافس المؤسسات الثقافية، ولا يصح أن تنافسها أصلاً، فالهدف السامي الذي يسعى إليه صاحب الفكرة هو تقريب الثقافة للعامة وكسر النخبوية، لا منافسة المؤسسات الثقافية

ما نشهده اليوم في مقاهي «الشريك الأدبي» هو أنَّ ذات المشاركين في النادي الأدبي هم المشاركون والحاضرون، يجتمعون في مكان معزول في بعض المقاهي، ولا ينضم إليهم مرتادو المقهى، لأنَّ القائم على المقهى ليس قادرا على خلق بيئة ثقافية ينسجم فيها الجميع أثناء الفعالية، فنحن نشاهد كثيراً من الفعاليات بحضور متواضع جداً، وهنا يجب أن تتجه هيئة الأدب والنشر والترجمة إلى إعادة النظر في الفكرة وإعادة تنظيمها بطريقة أكثر إحكاماً، تفرض على المقهى أن يتحول إلى بيئة ثقافية حقيقية باستمرار، وليست مرة واحدة أو مرتين في الأسبوع فقط، وهذا يقتضي جهداً مضاعفاً، وأفكاراً خلاقة، وكوادر خبيرة

د. أحمد بن عيسى الهلالي

الموقف الثقافي - الأندية الأدبية

أين إشكال الأندية الأدبية؟ وإلى أين تمضي؟

خالد أحمد اليوسف

أديب وباحث ببليوجرافي

مع بزوغ شمس وزارة الثقافة السعودية، التي أعلن عنها بأمر ملكي في يوم 17 رمضان 1439هـ/ الموافق 2 يونيو 2018م، وتلا ذلك تعيين أول وزير لها وهو الأمير/ بدر بن عبد الله بن محمد بن فرحان آل سعود، ثم بدأت التحضيرات لخطواتها وعملها، والاحتفال بتدشين الاستراتيجية العملية لها، في 20 رجب 1440هـ/ 27 مارس 2019م، والتطلع للعمل الجديد، برؤية المملكة العربية السعودية 2030 التي هي أساس ونبراس خطواتنا القادمة، وطرح المبادرات المتوقع حث الخطى لتنفيذها؛ جاء نصيب الأندية الأدبية غير واضح، ولم يُعلن عنه بالاسم، كما هو كذلك مع جمعيات الثقافة والفنون، وهما المعنيان في تنفيذ عشرات الأعمال الثقافية والأدبية منذ عام 1394هـ/ 1974م.

> الأندية الأدبية كنظام وكيان أُسِّس على ما ترغبه وتطلبه وزارة الثقافة في يومنا الحاضر

وإذا تتبعنا ما أعلنت عنه الوزارة في استراتيجيتها من قطاعات ستقوم عليها وهي:

اللغة، والتراث، والكتب، والنشر، والموسيقى، والأفلام والعروض المرئية، والفنون الأدائية، والشعر، والفنون البصرية، والمكتبات، والمتاحف، والتراث الطبيعي، والمواقع الثقافية والأثرية، والطعام وفنون الطهي، والأزياء، والمهرجانات والفعاليات، والعمارة والتصميم الداخلي

سنجد أن الأندية الأدبية رعت وقامت وحافظت على عدد من هذه القطاعات، منذ بداياتها، وانطلاق

عملها، وفي لائحتها التفصيلية الكثير منها، ولكن تغير الإدارات عليها، خلال العقود الماضية، قلّل وألغى الاهتمام فيها، إلى أن وصل الحال والعمل لتكون معنية بأمور عادية، تقتصر على النشر وطباعة الكتب والمحاضرات والندوات والأمسيات الأدبية

> أعلت التأثيرات الرأسمالية من سطوة السلوك النفعي المادي، وأدَّت لانحسار الروحي في الفنون المعاصرة.

أي أن الأندية الأدبية كنظام وكيان أُسس على ما ترغبه وتطلبه وزارة الثقافة في يومنا الحاضر، وهو النظام الذي أصدره الأمير فيصل بن فهد غفر الله له عام 1395هـ/ 1975م، وتأتي الوزارة لتطوره وتسير على خطاه بآلية جديدة وحديثة، مؤكدة على أهمية هذه الأندية الأدبية في رعاية واحتضان الأدب والأدباء

ولعل تغير المسمى (بيوت الثقافة) لا يغير و لا يُبدِّل ولا يعدل في منهج هذه الأندية، لأنها استطاعت خلال الخمسة عقود أن تقدم للوطن الآتي:

أولاً: توزعت على معظم مناطق المملكة العربية السعودية، بل إن منطقة مكة المكرمة حظيت بثلاثة أندية أدبية في جدة ومكة المكرمة والطائف، وكذلك الحال في المنطقة الشرقية حيث تأسس نادٍ بالدمام وآخر بالهفوف، وهذه التغطية المكانية أعطتها حضوراً ورعاية وعملاً دؤوباً يخدم الأدب والأدباء في جميع المناطق

ثانياً: استطاعت هذه الأندية أن ترعى المواهب والعقول الجديدة، والأسماء الأدبية المتطلعة للحضور الفاعل في الساحة الأدبية والثقافية، من خلال الإصدارات والأمسيات والمشاركات، واللقاءات الخاصة بالطلاب والمواهب الجديدة، والزيارات العملية للأندية من خلال الورش العملية

ثالثاً: حافظت الأندية الأدبية على انتظام المهرجانات والملتقيات الثقافية في كل منطقة، بحسب المهرجان أو الملتقى الذي أطلقه كل نادٍ على حِدَة، ووجدت الدعم من الدولة في رعاية هذه المهرجانات والملتقيات، ومن رجال الأعمال والمؤسسات الخاصة، وعلى الرغم من تكاليفها العالية، إلا أنها ما زالت قائمة ومنتظمة وتم الحفاظ عليها وعلى منجزها بالأدلة والكتب المرجعية التي تجمع محاور كل مهرجان أو ملتقى

رابعاً: استطاعت معظم هذه الأندية الأدبية أن تملك مقراً لها، ليكون قصراً ثقافياً، يضم جميع الأعمال التي يطلبها النادي وغيره من الجهات الراغبة في إحياء الأنشطة الأدبية والثقافية.

خامساً: تفاعلت الأندية مع معظم الفعاليات الوطنية، وأقامت لها أو عنها الأمسيات الثقافية والمعارض والتفاعل مع المناسبة بكل اقتدار ونجاح؛ بل إنَّ الأندية تفاعلت مع المناسبات الثقافية العربية والدولية، وهي كثيرة يصعب حصرها في هذه المقالة

سادساً: عملت الأندية على صناعة الكتاب ونشره بصورة منتظمة منذ بداياتها الأولى، وتنافست في استقطاب معظم الأسماء القوية والكبيرة والجديدة والمبتدئة في هذه الحركة الدؤوبة، حتى أصبحت رافداً ومرجعاً قوياً في مكتباتنا الإبداعية والبحثية، واسماً كبيراً يتكون منه معظم الاصدارات الأدبية

سابعاً: سعت الأندية الأدبية لإصدار الدوريات المتخصصة في مجالات الأدب العربي، النقد، والشعر، والسرد، والأدب بفنونه المتنوعة بصورة عامة

ثامناً: كوَّنت هذه الأندية ضمن كيانها الأدبي والثقافي مكتبات ومراكز معلومات في مبانيها الجميلة، لتكون موئلاً ومكاناً للباحثين والدارسين للأدب العربي، وقد حرصت على اقتناء الجديد من الكتب والدوريات العربية في مجالات تخصصها.

تاسعاً: تفاعلت هذه الأندية مع المجتمع، وتداخلت مع الشخصيات العامة والواعية والمثقفة، كل بحسب تخصصه، فكان لها النصيبُ المتجدِّدُ في المشاركة في أنشطة الأندية، وتشريفها للفعاليات التي تقيمها، وأقيمت لهذه الشخصيات الأمسيات والندوات والمحاضرات، لكل شخصية تخصصها التي تجيد الحديث فيه، مما يدل على أنها أندية ثقافية متنوعة.

عاشراً: كرَّمت الأندية الأدبية واحتفلت بعشرات الشخصيات الأدبية، وأقيمت لها الاحتفالات التي تليق بمكانتها وعطائها وتاريخها المميز

الحادي عشر: رعت الأندية الأدبية الأدب والأدباء من خلال الجوائز التي تقدم في مجالات متنوعة، لإنتاجهم، أو مسيرتهم، أو تاريخهم الحافل، وكونت مع القطاع الخاص شراكات مهمة في هذا المجال، مادياً واحتفالياً بهذه التجارب الناجحة

هذه العطاءات والأعمال تؤكد أن الأندية الأدبية منبر مهم لا غنى للمجتمع والحياة المعاصرة عنها، وأنها بحاجة قوية للتطوير والتجديد لدعمها، ولهذا على إداراتها السعي للانفتاح الأكبر

هذه العطاءات والأعمال وغيرها تؤكد أنَّ الأندية الأدبية منبرٌ مهمٌ لا غنى للمجتمع والحياة المعاصرة عنها، وعن وجودها الفاعل في ساحاتنا الثقافية والعلمية والمعرفية، وأنها بحاجة قوية للتطوير والتجديد لدعمها، ومواصلة عملها الناجح، ولهذا على إداراتها السعي للانفتاح الأكبر، والاستفادة من وزارة الثقافة في مشروعاتها الواسعة، لكي تُكمل المسيرة الثقافية الوطنية المطلوبة منها، ومن ذلك:

أولاً: تهيئة قاعاتها لتكون جاهزة للعرض السينمائي الدائم، وتكوين لجان متخصصة في اختيارات الأفلام الثقافية والاجتماعية الهادفة

ثانياً: التواصل مع الفنانين التشكيلين ودعوتهم لإقامة المعارض الخاصة بإنتاجهم بصورة مبتكرة، وطريقة متجددة، وغير تقليدية، وتكون دورية، ومتواصلة

ثالثاً: على الأندية الأدبية القيام بدعوة الفرق المسرحية لتقديم عروضها، وفنونها على فترات متواصلة، وليست متقطعة أو بمناسبة احتفال معين وتنتهي

رابعاً: مطلوب من الأندية الأدبية الانفتاح على جميع الفئات الاجتماعية، والعمرية، والنوعية، وعليها أن تنصهر مع المجتمع في جميع متطلباته وتحولاته ومتغيراته، لكي تكون أدبية ثقافية، تساير الواقع المتجدد

مطلوب من الأندية الأدبية الانفتاح على جميع الفئات الاجتماعية، والعمرية، والنوعية، وعليها أن تنصهر مع المجتمع في جميع متطلباته وتحولاته ومتغيراته، لكي تكون أدبية ثقافية، تساير الواقع المتجدد

خامساً: الاستفادة من إمكانيات وقدرات المباني الخاصة بالأندية الأدبية لنشاطات المجتمع الثقافية والأدبية، ومنها تفعيل دور المكتبة لتفتتح في أوقات واسعة وتُنمَّى في جميع التخصصات العلمية والثقافية وغيرها من الأنشطة.

سادساً: الاستفادة من خدمات التقنية الحديثة: السناب شات والواتساب وغيرهما في إيصال صوت النادي للمجتمع المحيط، ثم المجتمع الواسع لكي يكون على اطلاع ومعرفة بأعمال النادي.

ومؤكد أنَّ الأفكار والأمنيات لا تقف عند هذه النقاط التي ستعزز دور الأندية الأدبية، ولكن هناك غيرها تحتاج إلى فريق متخصص يسعى لتجديد طاقاتها، وبث الروح الجديدة.

أين إشكال الأندية الأدبية؟ وإلى أين تمضي؟

د. خليف بن صغير الشمري

أكاديمي وكاتب

شكلت تجربة الأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية والممتدة لما يقارب من خمسة عقود مرحلة جداً مهمة؛ ورغم إدراكنا مسألة التفاوت في النشاط والتباين في الأدوار بين نادٍ وآخر، إلا أنَّ هذه الأندية قد قدمت نشاطات أدبية مشتركة، كتنظيم المحاضرات المنبرية، واللقاءات الأدبية والندوات والمؤتمرات المتخصصة والمعنية بالقضايا الأدبية والثقافية سواءً بين أدباء المنطقة الواحدة، أو بين أدباء المناطق المختلفة، أو بين الأدباء والمثقفين من الداخل والخارج

> لم تشمل الأندية الأدبية في مضمونها الثقافة الشاملة رغم أنَّ بعضها قد خرج عن إطار الأدب لتتعدَّد فيه الأنشطة، لكن ظل ذلك في إطار الاجتهاد

كما قامت الأندية بتنظيم المسابقات الأدبية الموجهة لفئات متنوعة من أبناء المجتمع، مع تبني إنتاج بعض المبدعين عبر طباعة ونشر إنتاجهم الأدبي والثقافي مثل الدواوين الشعرية، والمجموعات القصصية، والروايات، والمقالات الثقافية، والدراسات الأدبية، ونحوها

كذلك أصدرت غالبية تلك الأندية المطبوعات المختلفة من مجلات، ودوريات، ونشرات ثقافية، تعنى بقضايا الشأن الثقافي العام، وتهتم بنشر الثقافة الأدبية بين أفراد المجتمع وفئاته المختلفة. مع توفير أغلب تلك الأندية خدمة مكتبة النادي. كما نجد قيام غالبية الأندية باستثمار مختلف المناسبات: الدينية، والوطنية، والاجتماعية، والمعرفية، لإقامة المهرجانات الأدبية والملتقيات الثقافية

ومن وجهة نظري الخاصة حول خدمة الأندية الأدبية مجالي الأدب والثقافة خاصة في عقدها الأخير»، أعتقد أنها حقَّقت أكثر الأهداف المطلوب منها تحقيقه؛ بحسب ما هو مطلوب منها في اللائحة المنظمة للأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية، خاصة في المجال الأدبي، كما كان لها دور في نشر الوعي الإيجابي بين أفراد المجتمع

> تأكد لمعظم المثقفين أنَّ المشهد بحاجة لتقديم ثقافة سعودية عبر مجالاتها المتعددة وليس من خلال منشط أدبي.

وفيما يتعلَّق بما إذا كانت الأندية قد شملت الثقافة بمفهومها الشامل، أم أنها انحصرت في سياق أدبي وأكاديمي بحت، فيمكن القول إنَّ الأندية الأدبية لم تشمل في مضمونها الثقافة الشاملة رغم أنَّ بعض النوادي خرجت عن إطار الأدب لتتعدَّد فيها الأنشطة بين مسرح وسينما وفنون، لكن تظل في إطار الاجتهاد لمناشط تلك النوادي.

وهذا الخروج نتيجة مطالب من شخصيات ثقافية في العقدين الأخيرين بأن يصبح الأدب جزءاً من المنظومة الثقافية وتحويل الأندية الأدبية إلى مراكز ثقافية، تتميز بالشمولية. وزادت الأصوات التي تنادي الأندية بتقديم منظومة ثقافية، وألا تقتصر جهودها على الأدب فيما تقدمه حتى استنفدت طاقتها على ما أظن، وتأكَّد لمعظم المثقفين أنَّ المشهد بحاجة لتقديم ثقافة سعودية عبر مجالاتها المتعددة وليس من خلال منشط أدبي

بالنسبة لتحويل مؤسسات الأندية للقطاع غير الربحي، فمن المعلوم أنَّ جميع الأندية تصنف عالمياً على أنَّها من منظمات القطاع غير الربحي، وبالتالي فإن قرار وزارة الثقافة بتحويل الأندية الأدبية إلى هذا التصنيف هو مواكبة للتوجه العالمي وما هو معمول به دولياً، خصوصاً في منظمات المجتمع ذات الأثر في بعض الأمور التي قد لا تتطرَّقُ لها المنظَّماتُ الحكومية أو منظَّمات القطاع الخاص

وحول ما إذا كنت أؤيد اندماج الأندية مع فروع الجمعية السعودية للثقافة والفنون وإعادة تشكلهما بما يعرف بالمراكز الثقافية؟ فجوابي هو: ولمَ لا؟ فالأندية الأدبية والجمعية السعودية للثقافة والفنون مكملان لبعضهما في خدمة الثقافة السعودية بشكل عام، خاصة أنَّ الجمعية السعودية للثقافة والفنون داخلة في خدمة الثقافة المجتمعية

وفيما يتعلَّق بتجربة «الشريك الأدبي»، وما إن كانت قد عوَّضت مسار الأندية الثقافي بشكل أفضل، ففي رأيي أننا أمام تشكُّل جديد جدير بالالتفات إليه، وهو مشروع الشريك الثقافي، المتمثل في أنْ يصبح المقهى التجاري شريكاً ثقافياً ما دامت لديه الرغبة والاهتمام بالثقافة والأدب، ليقدم أنشطة ثقافية وأمسيات أدبية. وعلى العموم ففكرة المقاهي الثقافية ليست جديدة على الثقافة المجتمعية، بل متجذرة في التاريخ الثقافي السعودي، وهذا التوجه أعتقد أنَّ من أهدافه الرئيسة هو: إحياء التراث الثقافي بشكل رسمي

بشكل عام، فلا أعتقد أن يقدمه «الشريك الأدبي» يُعوِّض دورَ الأندية الأدبية، لكن وفي الوقت نفسه، فمن المبكر الحكم على تجربة «الشريك الأدبي» وهو في مرحلته الأولى

أين إشكال الأندية الأدبية؟ وإلى أين تمضي؟

د. سعد الثقفي

كاتب

لقد شهد العقدُ المنصرم، أفولَ نجم الأندية الأدبية نتيجة تراكم الأخطاء، والنمطية، وإسناد الأمر إلى أناسٍ تنقصهم الخبرة، مما ولّد انطباعاً سيئاً عنها لدى الجمهور الذي لا يحضر نشاطاتها لاعتقاده بعدم فائدتها بالنسبة له.

كما ذهبت ميزانيات الأندية الأدبية في أمور جانبية لا تخدم الثقافة كالجوائز الضعيفة، والكتب التي بعضها لا يستحق الطباعة، والمناسبات التي جعلت من النادي مطبخاً ومكاناً لتسمين الأجساد لا لتثقيف العقول. وكانت ميزانيات الأندية الأدبية لا تتناسب أبداً ومنجزاتها، وتتفاوت في نشاطاتها وفي بعض المدن التي فيها أندية أدبية لم يكن هناك من أدباء، مع الأسف.

كنا نشتكي من نخبوية الأندية الأدبية وعدم شعبيتها، فجاء الشريك الأدبي ليكرّس مفهوم (ثقافة النخبة)

إنَّ الخطأ تترتب عليه أخطاء، والمشرعون منذ البدء فرّقوا بين الفنون بسائر أنواعها والأدب بوصفه كتابة، وهذا ولّد انطباعاً بأنَّ الأندية الأدبية (للنخبة) وجمعيات الثقافة والفنون (شعبية) وهذا حدث لأنَّ الأندية الأدبية قد عرّفت الثقافة تعريفاً ناقصاً، ولم يكن شاملاً، وأصبحت أشبه بقسم أدبيٍّ في كلية لغة عربية

هذا خطأ فادح، ويدل على عدم دراسة القرار بشكل جيد من قبل الوزارة، وقد كتبت عن هذا في مجلة «اليمامة»، فيفترض أن يتم إنشاء بيت للثقافة في سائر مدن المملكة، ويكون واجهة لهذه المدينة ويضم سائر الفنون وتتحقق فيه شمولية الثقافة (راجع: فكرة الثقافة لتيري إيغلتون)، وأن تحفظ الوزارة تركة الأندية الأدبية من كتب ومحاضرات وتسجيلات وأن توظِف كل هذا في خدمة الثقافة، بحيث

يعرض على القناة الثقافية مثلاً، ويكون موجوداً عبر الفضاء للاستفادة منه، فهذا إرث نصف قرن، ومن الظلم أن تأكله الأرَضة.

المفروض تحفظ الوزارة لنا كمثقفين نتاجنا ولا ندفع ثمن قرار غير مدروس، لم يؤخذ فيه رأينا ولا ذنب لنا فيما يحدث في الأندية الأدبية بسبب تصرفات مجالسها التي فهمت الثقافة فهماً قاصراً.

كنا نشتكي من نخبوية الأندية الأدبية وعدم شعبيتها، فجاء الشريك الأدبي ليكرّس مفهوم (ثقافة النخبة)

ولا زال بإمكان الوزارة جمع الجمعيات والأندية الأدبية تحت مظلة (بيت الثقافة) وجعله أكثر توهجاً وتزويده بمسرح ومكتبة، وأن يكون هناك موظفون من قبل الوزارة ولا علاقة للمثقفين ولا للأكاديميين بالتعيينات، بل هم مثقفون، ويجب أن يبقوا كذلك

في هذا الإطار فتعكس تجربة الشريك الأدبي واقع نظرة الوزارة للثقافة (أو على الأقل من فكّر في الشريك الأدبي)، فقد عجزت الوزارة أن تخرج بالثقافة إلى الشارع (كالذي نراه في العالم)، وكنا نشتكي من نخبوية الأندية الأدبية وعدم شعبيتها، فجاء الشريك الأدبي ليكرّس مفهوم (ثقافة النخبة)

فمثلاً: أذهب لمقهى لا يتجاوز رواده أصابع اليد وأشرب شيئاً ربما لم أكن أريده لولا طلبات النادل المتكررة: هل تريد شيئاً؟ وكل هذا من أجل محاضرة! أعتقد أننا نحتاج إلى بيت ثقافة به مسرح يصلح للمناشط الثقافية، وبالإمكان تقديم كل شيء فيه وتزويده بكل ما يحتاجه الجمهور من أجل أن يحسّ بأنّ هذا المكان يحتويه

نحن لا نحتاج الابتداع في الثقافة، وعلينا أن نطوف العالم ونشاهد كيف يتعاطى الفعل الثقافي، ولا مانع من استنساخ تجربته. أعتقد بمسؤولية الوزارة وواجبهم في أن يعيدوا النظر في كل المعطيات الثقافية بما في ذلك الشريك الأدبي الذي ابتدعه من يريد أن تكون الثقاة بقرة حلوباً، ومتى كانت الثقافة في دول العالم الثالث كذلك؟ وعليه أن يترجَّل عن برجه العاجي وينظر لحال الثقافة في بلدان العالم الثالث

الموقف الثقافي - الأندية الأدبية

أين إشكال الأندية الأدبية؟ وإلى أين تمضي؟

د. عائشة يحيى الحكمي

باحثة وقاصة

انطلقت تجربة الأندية الأدبية منذ العام 1395هجري، أي أنَّ عمر التجربة حدود خمسين عاماً، ولا يمكن لأي مسؤول أو متابع أو مستفيد أن يغفلها أو يتجاوزها، فقد غذَّت الساحة الثقافية بكل جديد، وفتحت الأبواب على الاتجاهات الثقافية خلال مسيرتها، وتبنَّت تقديم المبدع، وطباعة المنجز المحلي، واستقطاب المثقفين الشباب، ودعمهم وتشجيعهم على الحضور والمتابعة والمشاركة والممارسة للفعل الثقافي

كذلك فقد أشركت الوافدين من المثقفين في كل مناحي المعرفة، سواءً أولئك الذين قدموا للعمل في التدريس الجامعي أو التعليم العام، أو العمل الإعلامي والصحفي، حيث أتاحت لهم الفرصة للإسهام في تأسيس ثقافة شابَّة تتكئ على الأصالة، وتأخذ بأسباب الجديد، فكان أنْ تشكَّلت حالةٌ من الحراك الثقافي، ونمت تجربةٌ مختلفة لا يمكن تكرارها، كونَ الأندية قد تأسَّست في مرحلة كان يسودها فراغٌ ثقافي، مع وجود شباب متلهف لبناء معارفهم ووجودهم وحضورهم المحلي والعربي أسوة بمشاهير الثقافة في العالم العربي والغربي، وما حققوه من إنجازات تستحق الاقتداء آنذاك.

> لقد هوى هذا الحلم ليتحول إلى مجرد مؤسسة حكومية يفتحها الحارس مساءً، وقد يحضر الطاقم الإداري ويمرون دقائق ثم يغادرون في نوع من إثبات الحضور وإبراء الذمة لا أكثر

كان الأدباء الرواد السعوديون يعملون بهمة وإخلاص ومسؤولية للحاق بمن قطعوا مسافات وعشرات

الأعوام لجعل المنجز الثقافي المحلي متابعاً في كل اتجاه، وهذه العقود الخمسة في مراحل التحولات السريعة الحماسية محدودة، ولا يمكن الحكم على نتائجها بالعمق والتأثير الفعال المأمول، لكن على الرغم من قصر هذه المدة إلا أنه يصعب إغفال تأثيرها الأوسع زمناً، والذي نقطف ثماره الآن. على أننا نشهد في الأعوام الأخيرة انحساراً لتوهج الأندية، حيث تمر بحالة من شبه الإغلاق، في وضع مؤلم لا يسر، ويصعب على أهل تلك المؤسسات وروادها

لقد حلم الأدباء والشعراء والمثقفون بهذه الأندية وبنوها من الفكرة إلى المؤسسة الثقافية والصرح والكيان المادي، ثم هوى هذا الحلم ليتحوَّل إلى مجرَّد مؤسسة حكومية يفتحها الحارس مساءً، من الساعة السادسة إلى الثامنة، وقد يحضر الطاقم الإداري، وقد يمرون دقائق ثم يغادرون في نوع من إثبات الحضور وإبراء الذمة لا أكثر

كم هو مؤلم أن يُعقد اجتماع مجلس إدارة حتى يتم مناقشة طلب مدرسة لإقامة فعالية، والنتيجة يفوز الأعضاء بمكافأة الجلسة، ويُعْتذَر للمدرسة، فالنادي مكان مقدس يصعب العبث فيه من وجهة نظرهم

مكونات الكيان معطَّلة، القاعات تكتظ بالأتربة، المسرح يتردَّد فيه صوت الصدى، المكتبة الضخمة كانت مكتبة، ليتهم يؤجرون المسرح لفعاليات المنطقة أو إتاحة الفرصة للمؤسسات التعليمية للإفادة من المكتبة والمسرح والقاعات على الأقل لاستمرار تفعيل صوت النادي الأدبي في أروقة الحياة اليومية.

يُعَاملُ النادي ككيان مقدَّس، ممنوع الاقتراب منه حتى لا يتسخ أو يعبث بالأثاث وتخريب الإمكانيات، وغير ذلك من الأعذار. كنت أتوسل للطاقم الإداري وأرجوهم أن يكون النادي مكاناً من الإجباري زيارته يومياً من قبل مؤسسات التعليم.

كم هو مؤلم أن يُعقد اجتماع مجلس إدارة حتى يتم مناقشة طلب مدرسة لإقامة فعالية، والنتيجة يفوز الأعضاء بمكافأة الجلسة، ويُعْتذَر للمدرسة نظراً لأنَّ النادي مكان مقدس يصعب العبث فيه!

المسمى النادي الأدبي الثقافي هذا يعني أنه مقر تُمارَس فيه كل الفعاليات الثقافية، ويتاح فيه طرحُ كل المعارف والعلوم الفكرية والمجتمعية دون حدود. هذا ما تنص عليه آلية العمل في النادي هو المفترض كما يلوح من اسمه، ومتاح للإدارة التصرف بأريحية والانطلاق في كل مجالات الفكر لكن وفق سعة أفق مجلس الإدارة

مع الأسف تسعى عديد من مجالس الإدارات إلى التقنين وعدم الميل إلى إتاحة الفرص لكل المثقفين لطرح أفكارهم والتلويح باستمرار بمسألة الملاحظات على بعض المتحدثين، وأحياناً يتحكم المزاج الخاص في اختيار الموضوع والمتحدث.

ووفق تجربتي، لاحظت تحكم ميول الأعضاء في نوعية المناشط، فأحياناً يسمح بالتنوع، وأحيانا ينحسر في المجال الأدبي، فالأمر موكَّل لهم، ولا يوجد دور فاعل للجمعية العمومية للمساءلة والمحاسبة، وفرض رأيها في تفعيل وتنويع برامج النادي، فكانت بين فترة وأخرى تدرج مناشط منبرية في مجالات أخرى تاريخية طبية علمية فلسفية فنية في مرحلة الازدهار.

وفق تجربتي لاحظت تحكم ميول الأعضاء في نوعية المناشط، ولا يوجد دور فاعل للجمعية العمومية للمساءلة والمحاسبة، وفرض رأيها في تفعيل وتنوع برامج النادي

وفي الوقت الراهن، لا الخاص الأدبي ولا العام الثقافي يشكل أهمية ومسؤولية في إدارة النادي، فبين فترة وأخرى يقدم برنامج أو محاضرة أو أمسية، ثم صوم طويل، وترجع فعالية على استحياء.

أؤكد أنَّ مسألة هيمنة الأكاديمي والأدبي البحت في بعض المناشط مجرد اتهام ومحاولة للتقليل من شأن ومكانة الأكاديمي والأدبي لا أكثر، فالأكاديمي مستعد دوماً للتقديم، ومن يرغب في غير الأكاديمي عليه أن يقدم نفسه وأفكاره وإقناع جهاز النادي بحضور كل أصوات المعرفة وكل الاتجاهات. إذا كان للجمعية العمومية دور فاعل سيتغير الحال

وواقع الحال، فأختلف مع قرار الوزارة، وأحترم الرؤية التي يتركز عليها القرار، غير أني أرى أن تبقى الأندية الأدبية الثقافية، فاعلة قوية مؤثرة بعد تغيير آلية العمل واللوائح المعمول بها، ولا يمكن تحقيق هيبة ودور فاعل للنادي إلا إذا كان كل مسؤول فيه يختار بعناية وقادر على تحقيق أهداف النادي الشمولية كنادي أدبي ثقافي. وكم هو مؤسف أن تشطب الأندية من الذاكرة الثقافية، مع اعتقادي بأنها لم تُمنَح الفرصة الكافية كي تسهم في منجزات قادمة

الأندية أساس صناعة الثقافة، وقد ظُلمت بمجرَّد تعرُّضها لحالة عدم توازن، ولا بدَّ أن تنظر وزارة الثقافة بعناية ومسؤولية إلى 16 نادياً ثقافياً. إنها مؤسسات ثقافية كبيرة ومهمة وهي أحد روافد الدولة لنشر الثقافة والوعي ورعاية الفكر ونشره، ومازالت مهمة لكل مثقف في أي منطقة.

القضية تحتاج إلى التعامل معها بحكمة وبعد نظر، وليس بعجز وفشل ونظرة يائسة في عدم إيجاد حلول لتجاوز أزمة إدارة الأندية، إذا أحسنت الوزارة والمثقف صياغة لوائح الأندية وإدارتها بشغف ومسؤولية وفكر منفتح كما هو حال هيئة الترفيه ستتغير الموازين

ولابد أن تُسخِّر الوزارةُ الإمكانات المعقولة لاستمرار الأندية، فهي ليست جمعيات أهلية لتنتقل إلى تجربة القطاع غير الربحي، إذ الأندية أحد ركائز صناعة النهضة الثقافية، جنباً إلى جنب مع أخواتها (الجامعات، والمكتبات، والصحف والمجلات، والمهرجانات والمؤتمرات)، ومن الصعوبة شطب أحدها، وإنما يُضافُ الجديدُ ويُطوَّر القديم، ويُدْعم، وبذلك يكون مستقبلُ الثقافة في أمان.

أرجو عدم شطب النادي الأدبي الثقافي من الوجود، وأستحضر في هذا المقام أبياتاً للشاعر المكي أحمد الغزاوي، حين افتتح أول نادي في مكة المكرمة، وقد تقدم به العمر، إذ كان يتمنى مثل هذه الأندية في شبابه، فأطلق عنان شعره وقد حضر حفل الافتتاح:

ألا ليتني بين الشباب المثقف أهيب بهم في كل (نادٍ) بموقفي

وددت لوأني اليوم في ميعة الصبا وأني أباري الطير دون توقف

وفي هذا الإطار، فإني أؤيد بقوة دمج الأندية الثقافية مع فروع جمعية الثقافة والفنون، والتركيز

في الشمولية الثقافية يضبط العمل ويوحد الجهود ويشعل فتيل المنافسات، ويتيح التنوع للجميع في كيان واحد تحت سقف واحد وفق لائحة واحدة، تحت اسم النادي الثقافي العام يندرج في هيكله نادي كذا ونادي كذا. أمَّا المراكز الثقافية، فقد نظمت الوزارة منذ أكثر من 15 عاماً عشرات الندوات واللقاءات لدراسة الفكرة وفق لائحة مقترحة، والسالفة طالت دون نتيجة تذكر

أؤيد بقوة دمج الأندية الثقافية مع فروع جمعية الثقافة والفنون، والتركيز في الشمولية الثقافية يضبط العمل ويوحد الجهود ويشعل فتيل المنافسات، ويتاح التنوع للجميع في كيان واحد تحت سقف واحد وفق لائحة واحدة

أمَّا عن تجربة «الشريك الأدبي» فهي ما زالت في البداية، وما زال يُنظرُ لها بعدم التقبل من الكثيرين، بسبب الصورة النمطية للمقهى. نحن الآن في النسخة الثالثة من انطلاقة «الشريك الأدبي»، وما زال دورالشريك غير واضح، وما زال المثقف يتوجَّس من حضور فعالية الشريك الأدبي. كما أنَّ جمهور النادي هو نفسه في الشريك، ونسبة كثافة الحضور تتوقَّف على الموضوع والضيف والدعاية اللازمة. فالذين يشاركون والذين يحضرون لا يختلفون كثيراً، والفئة المستهدفة، وهي رواد المقهى خارج نطاق المثقف، لم ألمس حضورهم. مرة واحدة لاحظت فتاة من المرتادين تقف وتتابع الحوار بين الحضور، ثم شاركت وفرحت بدخولها في الحوار كذلك احتفى بها المقهى وحضور الأمسية.

المسألة في تعويض المسار الثقافي للأندية مسألة جوهرية، إذْ أرى أنه من الصعوبة أن يحول «الشريك الأدبي» المسار الثقافي للنادي الثقافي، فلكل قطاع مساره واهتمامه وأهدافه وخططه، النادي يطبع كتباً، ويعمل على إنتاج مجلات ثقافية يشارك في تحريرها مثقفون على الصعيد المحلي والعربي والعالمي، ويقيم مؤتمرات وملتقيات، ويدفع مكافآت مغرية محفزة

النادي مؤسسة شبه حكومية لها هيبة ومكانة مختلفة. كيف ننسى التظاهرة الثقافية والإنسانية الأكثر من مهمة على هامش ملتقى أي نادي أدبي، كانت الوزارة تسخر إمكانياتها لدعم النادي، والمسألة ليست هدراً مادياً لكنها حالة تسلَّلت إلى الذاكرة الثقافية بفرح.

للشريك الأدبي لوائح واشتراطات وإدارة مغايرة وجو آخر. الشريك الأدبي «هبَّة» الوقت الحاضر، يسعى صاحبه للوفاء بشروط الوزارة لكي يفوز في نهاية الموسم، وقد يكون صاحب الشريك ليس ممن يهتم أو يرعى الثقافة، وإنما البحث عن فرصة التسويق للمقهى وفرص أكثر فاعلية وشهرة. أشعر أنَّ عمل «الشريك الأدبي» مثل عمل الوجبات السريعة، أتلذَّذ بشي مختلف، ولكن سريعاً ما تتوارى المتعة الدائمة. ومع ذلك، فلست رافضة لوجود الشريك الأدبي، فحضوره بدأ يتسع كأحد روافد التطور المعرفي، وليس كرافد بديل للنادي، والمفترض العمل على الجانبين كرافدين مختلفين يسهم كل منهما في أداء دوره في التحول الثقافي الجديد وفق المستجدات

الشريك الأدبي «هبَّة» الوقت الحاضر، يسعى صاحبه للوفاء بشروط الوزارة لكي يفوز في نهاية الموسم، وغالبا يكون صاحب المقهى ممن لا يهتمون بالثقافة، وإنما يبحث عن فرصة لتسويق المقهى

أين إشكال الأندية الأدبية؟ وإلى أين تمضي؟

عبد الله أحمد غريب

نائب رئيس النادي الأدبي بمنطقة الباحة سابقاً

لا نستطيع تقييم تجربة الأندية الأدبية واختزالها في عشر سنوات وإغفال تلك الجوانب المضيئة في عشرات السنين التي مضت. وبحكم خبرتي في أدبي الباحة فقد بلغنا الآفاق بما قدَّمنا من برامج وملتقيات في الرواية والشعر والقصة وفي طباعة الكتب ونشرها وبالتأكيد هناك أندية مثلنا في عطائها

وإذا ما حصرنا التقييم في العقد الأخير، فقد تقهقر عطاء الأندية الأدبية بشكل تدريجي وأصيب بعضها بالجلطة الثقافية، ويؤكد ذلك قلَّةُ مشاركاتها وتوقفُ وهجها الأدبي والثقافي لأسباب بعضها معلوم، والبعض الآخر راجع لأسباب تنظيمية رأتها الوزارة من باب التطوير وعدم البقاء على جانب واحد قد يمثله الأدب شعراً ونثراً في ظل انفتاح آفاق الثقافة في معناها الواسع الذي يتسق مع رؤية المملكة 2030م

> لقد تقهقر عطاء الأندية الأدبية بشكل تدريجي وأصيب بعضها بالجلطة الثقافية، ويؤكد ذلك قلَّةُ مشاركاتها وتوقفُ وهجها الأدبي والثقافي

وبالتالي فقد حاولت بعض الأندية جاهدة مواصلة العطاء ولو بأقل الأضرار التي قد تلحق بالنادي، إلا أنَّ بعضها الآخر أصبح قاب قوسين أو أدنى من شبه التوقف، وعندما

تسأل عن السبب، يقولون: بسبب الدعم المالي، إمَّا بتوقفه، أو تأخره، أو بعدم قناعتهم بمقداره المعتاد، فكان أن توقفوا إلا من المشاركات مع نظرائهم في بعض الملتقيات كما في ملتقى النص بجدة على سبيل المثال

لقد تأسست الأندية الأدبية بهدف نشر الثقافة في المجتمع المحيط وكانت كلمة «الثقافي» مضافة إلى ناديي الرياض وجدة، ثم تلتها الأندية في سنوات ما بعد التوسُّع، ومع ذلك فقد حصرت الأندية نشاطاتها في مجال الأدب الذي يُعنى بالشعر والرواية والقصة وبعض الدراسات الأدبية، وتركز ذلك في ملتقياتها كما هو الحال في ملتقى النص بجدة، والرواية بالباحة، على سبيل المثال

> لم تكن الثقافة في مفهومها الشامل ضمن اهتمامات الأندية الأدبية، بل عاشت بعضها حالة تنافر فيما بينها وبين جمعيات الثقافة والفنون، وكذلك الصالونات الأدبية.

وعلى هامش بعض هذه الملتقيات، أضيفت معارض الفنون التشكيلية لملء الفراغ بين الجلسات، فيما لم تكن الثقافة بمفهومها الشامل ضمن اهتمامات الأندية الأدبية، بل عاشت بعض الأندية حالة تنافر في ما بينها وبين جمعيات الثقافة والفنون، وكذلك الصالونات الأدبية، فكانت هناك ازدواجية في المفاهيم، وتنافر في الأداء، وعدم تنسيق، حتى إنه في بعض المناطق كانت تقام نشاطات متشابهة في جغرافية متقاربة المكان والزمان، وكانت لها أسبابها المفتعلة أحياناً، وغير التنسيقية أحايين أخرى، ولم نجد انسجاماً شبه تام بين الأندية والجمعيات والصالونات على غرار الانسجام الذي نجده في جدة مثلاً.

ويأتي التوجه للقطاع غير الربحي وما يتعلَّق بنشاطاته منسجما مع رؤية المملكة 2030م التي تهدف من الناحية الثقافية إلى التنويع في العطاء والذي ينضوي تحت قبته المجال الأدبي كأحد فروع

الثقافة. وفي رأيي، فإنَّ الأندية الأدبية لن تستطيع سدَّ حاجتها المادية من القطاع غير الربحي الذي يعتمد على الهبات والمنح من رموز المجتمع كرجال الأعمال، وقد تتوقف مسيرتها تماماً. مسؤولي الأندية يرون بأن التزاماتها المادية المتمثلة في إنفاق مليون ريال المقرر كدعم من الوزارة، لا تفي بمصاريف النادي التي تتنوع بين مكافآت وطباعة كتب وإقامة أمسيات وملتقيات، وبالتالي فما لم يستمر الدعم كما هو، على أقل تقدير، فستتوقف الأندية، وقد يستقيل بعض رؤسائها لهذا السبب من وجهة نظرهم

ولو نظرنا لمسيرة الأندية الأدبية بالذات فإنها مسيرة كان لها دور كبير في التعريف بمنتجنا الأدبي ومن يقف وراءه من الهواة والمتخصصين والمحترفين في مجالاتها التي كانت تغذيها بنتاجها الأدبي، حيث كانت بمثابة مدارس تشجع الشعراء والقاصين والروائيين لنشر إبداعاتهم وطباعتها وتزيين رفوف المكتبات بها، والمشاركة بها في المعارض الدولية للكتب داخل المملكة وخارج

ولو لم يكن هناك دعم مادي من وزارة الثقافة بمسمياتها السابقة واللاحقة لما استطاعت الأندية الأدبية القيام بهذا الدور الريادي المعتمد على الصرف المادي الذي قد لا يأتي عن طريق الدعم الاجتماعي الأهلي أو ريع ما قد تنتجه الأندية من خلال مبيعات كتبها في ظل انحسار دور القراءة الورقية والاعتماد على التقنية الحديثة الرقمية

> ما لم يستمر الدعم الوزاري كما هو، فستتوقف الأندية، وقد يستقيل بعض رؤسائها لهذا السبب الجوهري من وجهة نظرهم

وبالتالي، أعتقد جازماً أنَّ الأندية الأدبية لو اعتمدت على آليات برنامج القطاع غير الربحي فستتوقف جميعها، والشواهد في السنوات الأخيرة أكبر دليل على تراجع نشاطاتها بشكل كبير وواضح، حتى

إنَّ بعضها لم يعد لديه أي خطط لاستعادة وهج نشاطه الأدبي في ظل انعدام الدعم المادي، ولذا أتمنى أنْ تدعم الوزارة هذه الأندية، ولكن على شرط أن تكون في ثوب جديد ربما يأتي في سياق هذه المحاور

> في ظل تراجع نشاطات الأندية الأدبية فقد جاء المقهى الثقافي ليكون بمثابة الشريك الضرار للنادي

أما فكرة دمج الأندية الأدبية مع فروع الجمعية السعودية للثقافة والفنون، فهي فكرة رائعة ورائدة لو نُفِّذت، وربما كنت من أوائل من طالب بهذه الفكرة حين كنت نائباً لرئيس النادي الأدبي بالباحة، وما زلت عند رأيي بأن يتم إعادة تشكيل المشهد الثقافي الأدبي الفني من خلال الجمع بين الفنون السبعة بما فيها السينما تحت قبة واحدة، وتحت اسم «المركز الثقافي»، على أن تكون هذه المراكز ذات شخصية اعتبارية ولها استراتيجيتها المنبثقة من استراتيجية وزارة الثقافة تحت إدارة واحدة ومجلس واحد

ومن الممكن أنْ يكون هذا المجلس تطوعياً، وهو ما سيحقق مفهوم (القطاع غير الربحي) بمعنى أنْ يكون تشريفاً لا تكليفاً، وفي هذا فوائد كثيرة، وبالذات في الأندية التي أنشئت مقرَّات لها بمواصفات تتسع لهذه الأنشطة المختلفة، كما هو الحال في النادي الأدبي بالباحة الذي ساهم في تهيئته رجل الأعمال سعيد العنقري الزهراني

وأعتقد أنَّ هناك مقراتٍ لأندية أخرى أقيمت بتبرع من رجال الأعمال كما هو الحال في حائل وفي جدة، ولا يحضرني بقية الأندية، وستكون هذه المراكز الثقافية علامة مضيئة لاسيما وأنَّ رؤية المملكة قد جعلت الثقافة بمفهومها الشامل هدفاً استراتيجياً حقَّق الكثير من المنجزات التي جعلت المملكة في مصاف الدول المهتمة بالتراث والموروث والفنون وأتاحت الفرصة للمبدعين وشجعت حضورهم في أكثر من موسم وموقع على مدار العام

بالنسبة لمقاهي «الشريك الأدبي»، وإن كان بعضها، وليس كلها، له نشاط مشهود، إلا أنَّ «الشريك الأدبي» في كل مقراته على مستوى المملكة لم ولن يملأ الفراغ الذي كانت الأندية الأدبية الثقافية تشغله بنشاطاتها الأدبية، وذلك لعدة اعتبارات، منها: أنَّ ضيوف هذه المقرات تتكرر وجوههم، وبعضها مقرَّات صغيرة محدودة المساحة، وربما غير مهيأة لهكذا نشاطات، والدعوات أيضاً محدودة وفق رسائل خاصة

وفي ظل تراجع نشاطات الأندية الأدبية جاء المقهى الثقافي بمثابة الشريك الضرار للنادي، بحرفه أنظار المتابعين والذين يودون المشاركة في مقر النادي المؤسسي، ولذا آمل أنْ نرى المراكز الثقافية قريباً فهي الحل الوحيد لجمع معطيات الثقافة والأدب والفنون، وستكون منارات في كل منطقة ومحافظة سواءً في مواقع الأندية الحالية أو بإضافة مواقع جديدة وفق دراسات استقصائية موجهة

محمد الجلواح

شاعر وأديب عضوٌ مُؤَسِّسٌ لنادي الأحساء الأدبي

يمكن القول إنَّ مراحل تأسيس ونشاط الأندية الأدبية كانت متباينة في الفعل والتجربة والتأثير والنتائج والانتشار، فبينما نجدها ذات حضور وتأثير فاعل ونوعي وبامتداد واسع ونتاج ملموس في الثلث الأول من سنوات تأسيسها، نجدها تتراجع بشكل ملحوظ في الثلث الثاني من تلك السنوات، وإن كانت قد ألْحَقَتْ بأنشطتها بعض الفعاليات النوعية في بعض سنوات تلك الفترة، وبدا تراجُعٌ منها من الناحية الإدارية، وبقاء معظم رؤساء مجالسها على كرسي الإدارة كل تلك السنين الطوال؛ حتى أطلقوا على تلك المقاعد مقولة طريفة هي: (المقاعد الأبدية لرؤساء الأندية الأدبية!). وصَحِبَ هذا التراجع الإداري ركودٌ في النشاط، وتراجُعٌ في الإبداع، وإسراف في اللا مفيد، وغير ذلك

تحاول الأندية الأدبية الآن أن تتشبَّث بخيط حياة، وذلك بإقامة مناشط تقليدية تَجَاوَزَتْها المرحلة، وكأنها تقول: لا زلنا حاضرين.. لن نغرق، ولن ننتهي

ثم جاءت الفترة الأخيرة (العقد الأخير) التي حاولَتْ خلالها الجهة المرجعية للأندية الخروج بها إلى تجربة الانتخابات، ومحاولة تغيير الإدارات والأسماء، وقد نَجَحْت في ذلك إلى حد ما، وفي وقت قصير وسريع، لكن سريعاً ما باءت هذه التجربة بالفشل، وعادت الوزارة التي تشرف على الأندية إلى تثبيت أعضاء مجالس الإدارة، والتمديد لهم في مناصبهم لأكثر من مرة، وانتهى الأمر في الوقت الحالي إلى (التكليف.. حتى إشعار آخر)

أُخِذَ على الأكاديميين في الأندية الأدبية التهافتُ على طباعة رسائلهم، ورسائل زملائهم الأكاديمية لتكون ضمن إصدارات النادي، وقد وجدنا أنَّ بينها مواضيعَ لا تَمُتُّ بِصِلَةٍ للأدب والثقافة.

والأندية الأدبية الآن وبعد ذلك كله أصبحت تحاول أن تتشبَّث بخيط الحياة، وذلك بإقامة مناشط تقليدية تَجَاوَزَتْها المرحلة، وكأنها تقول: لا زلنا حاضرين.. لن نغرق، ولن ننتهي.

وبكلمة.. فإن الأندية الأدبية بالمملكة مرَّت بعصر ذهبي ثم فضي ثم معدني، وأرى أنها قد أدت دورها بما يكفي، (وكثر الله خيرها)

وقد بقيت الأندية الأدبية في مراحلها الأولى ـ إلى حد كبير ـ في سياق أدبي بحت، إذْ كان غالبية القائمين عليها أدباء تقليديين، بذلوا جهدهم بما لديهم من توجه أدبي؛ ثم جاءت المرحلة التالية وهي مرحلة الأكاديميين الذين التحقوا بمجالس إداراتها، فاصطبغت مرحلتهم بالنمط الأكاديمي، وإن كان لا يخلو من وجه أدبي بشكل أو بآخر، وقد أُخِذَ عليهم التهافت على طباعة رسائلهم، ورسائل زملائهم الأكاديمية لتكون ضمن إصدارات النادي، وقد وجدنا أنَّ بينها مواضيعَ لا تَمُتُّ بِصِلَةٍ للأدب والثقافة، وبخاصة بُعدها عن تراث وثقافة المجتمع، وأنَّ المتنادين والمدعوين في مناشط هذه المرحلة الأكاديمية هم الأكاديميون وطلابهم في الأغلب

وفيما يتعلَّق بقرار تحويل مؤسسات الأندية الأدبية إلى القطاع غير الربحي، فعندنا مثلٌ خليجي يقول: (الشيوخ أبْخَصْ)، أي أكثر دراية ومعرفة، هذا من الناحية العامَّة، أمَّا الوجه الآخر للأمر، فنحتاج إلى وقت كافٍ لمعرفة الجدوى والنتائج من هذا التحويل، فالقرار هو دخول في تجربة جديدة وواسعة، وقد يؤثر ذلك على النتاج الأدبي وفاعليته بشكل عام في ظل توقف الدعم المادي المعتاد للأندية الأدبية

إنَّ دمج المؤسستين، النادي والجمعية، سيعزز من فاعلية العمل والإبداع واتساع الثقافة والمناشط بما لدى المؤسستين من تجارب وإمكانات لتصب في مؤسسة ثقافية واحدة.

وحول فكرة إدماج الأندية الأدبية مع فروع الجمعية السعودية للثقافة والفنون وإعادة تشكيلها فيما يعرف باسم المراكز الثقافية، فأرى هذا الأمر بشدة، وقد ناديت بذلك منذ سنوات في مقالات ولقاءات إذاعية وتلفزيونية عديدة، وطالبت بتفعيل المراكز الثقافية القائمة وإنشاء مراكز ثقافية أخرى في مختلف مناطق المملكة تتضمَّن المؤسستين معاً

إنَّ دمج المؤسستين، النادي والجمعية، سيعزز من فاعلية العمل والإبداع واتساع الثقافة والمناشط بما لدى المؤسستين من تجارب وإمكانات لتصب في مؤسسة ثقافية واحدة، فالثقافة ليست أدباً فقط، ولا فنوناً فقط.. بل هي الاثنان معاً

ثم لماذا لا تحاول وزارة الثقافة الموقرة الدخول في هذه التجربة كما دخلت في المحاولات الراهنة الأخرى ثم تنتظر النتائج؟

ومن الناحية النفسية والاجتماعية والشكلية ستختفي (الفوبيا) التي يتوهمها البعض من ولوج إحدى المؤسستين، يعني: الذين قد لا يرغبون أو يرتاحون أو يتخوفون من دخول مبنى (النادي الأدبي)، سيدخلون مبنى (المركز الثقافي) وهم مسرورون، وفخورون، وقل الشيء نفسه على من لا يرون أهمية في دخول مبنى (جمعية الثقافة والفنون) نعم أؤيد الفكرة، وأنادي بها، وأتمنى تحقيقها

بالنسبة لتجربة «الشريك الأدبي»، وما إنْ كانت قد عوَّضت مسار الأندية الثقافي بشكل أفضل؟ أقول: لا، ليس بعد.. فما زالت هذه التجربةُ تحتاجُ إلى نضج وإدارة مُطَعَّمَة بالخبرة، ذلك أنَّ تجربة «الشريك الأدبي» تبدو قائمة على العلاقات القريبة، ولا يعرف القائمون على أغلبها أسماء الأدباء والمثقفين

في مناطقهم فضلاً عن أسماء أدباء المملكة، أو العكس!، وتعتمد على شباب قصيري الخبرة، بل وجدنا بعضهم لا علاقة له بالأدب ويخطئون في الإملاء والنطق والكتابة وهم يتصدَّرون)يا للأسف(جهةً أدبية اسمها (الشريك الأدبي)

هذا من الناحية الإدارية.. أمَّا من الناحية المعنوية فهي تجربة أظن أنها ـ وإن كانت جديدة على المجتمع السعودي ـ إلا أنها لن تحل محلّ الأندية الأدبية ولن تعوضها، وها قد مضى عليها أكثر من عامين، ولم تترك ذلك الصدى المأمول منها.

الموقف الثقافي - الأندية الأدبية

أين إشكال الأندية الأدبية؟ وإلى أين تمضي؟

ميرزا الخويلدي

كاتب ومحرر ثقافي

إذا تحدثنا عن العقد الأخير، فإننا نتحدث عن المرحلة الذهبية التي تمرّ بها الثقافة السعودية، حيث أرست «رؤية السعودية 2030» التي أعلنها ولي العهد السعودي، الأمير محمد بن سلمان، في 24 أبريل (نيسان) 2016، انطلاقة جديدة للثقافة السعودية باعتبارها أحد أهم محركات التحول الوطني نحو التنمية البشرية

تسعى «الرؤية» لتطوير قطاع الثقافة في المملكة، وتأسيس مراكز حاضنة للإبداع، وتوفير منصات للمبدعين للتعبير عن أفكارهم وطموحاتهم، وكذلك خلق صناعة ثقافية تعنى بالفن والمسرح، والسينما، والأنشطة الفنية والتشكيلية، وتحويل الثقافة إلى عنصر رئيسي للتواصل بين الناس، ورافد للاقتصاد، وكذلك تعزيز «الرؤية» اتجاه السعودية إلى توسيع قاعدتها الثقافية، وتطوير البنية التحتية لقطاع الثقافة والترفيه لتصبح جزءًا من تحسين مستوى معيشية المواطن السعودي، ورافداً حضارياً واقتصادياً للبلاد

> **أرى الأندية الأدبية كـ«بطة عرجاء» في هذا العرس الثقافي، وكأن الزمن قد تسّمر عند المشكلات القديمة المزمنة التي تعاني منها، والنتيجة أن كثيرا منها أصبح خارج سياق زمانها، غير قادر على مواكبة رؤية التحول السعودية 2030 وطموحاتها العملاقة.**

لكنّ أين الأندية الأدبية تحديداً من كل ذلك؟

في رأيي أنَّ الأندية ما زالت كـ«بطة عرجاء» في هذا العرس الثقافي، وكأنَّ الزمن قد تسمَّر عند المشكلات القديمة المزمنة التي تعاني منها الأندية: كمعضلة اللائحة، ومجالس الإدارات الممدَّد لها، والموازنة، ونتائج الانتخابات المطعون في بعضها، والنتيجة أنَّ كثيراً من هذه الأندية أصبحت خارج سياق زمانها، غير قادرة على مسايرة حجم الحركة الثقافية الهائلة في مفاصل المجتمع، وغير قادرة على مواكبة رؤية التحول السعودية 2030 وطموحاتها العملاقة

ما تعانيه الأندية الأدبية ليس مشكلة لائحة، أو فشلا في إدارة انتخابات، أو عجزاً في الموازنة، ولا حتى في الإرث الإداري المغلق الذي هيمن (على بعضها)، هذا كله عوارض لمرض مزمن هو الفلسفة التي تعمل من خلالها الأندية.

وواقع الحال، فما تعانيه الأندية الأدبية ليس مشكلة لائحة، أو فشلاً في إدارة انتخابات، أو عجزاً في الموازنة، ولا حتى في الإرث الإداري المغلق الذي هيمن (على بعضها)، هذا كله عوارض لمرض مزمن هو الفلسفة التي تعمل من خلالها الأندية.

تنصّ اللائحة الجديدة للأندية الأدبية على «خلق بيئة أدبية تفاعلية منتجة»، لكنّ كيف؟، و«بعض الأندية» ما زال منفصلاً عن الواقع، عاجزاً عن قراءة التحول الكبير في وعي المجتمع الذي يعمل وسطه، لم تعد الأنشطة المنبرية التقليدية تثير اهتمام الجمهور، العديد من هؤلاء أصبح ينتج ثقافة ووعياً متقدماً عن فهم وفلسفة تلك الأندية

وحتماً فحال الأندية بات مزعجاً للكثيرين، وإذا كان إجراء وزارة الثقافة حالياً لضمها للقطاع غير الربحي سيكون من شأنه ضخ دماء وروح جديدتين للعمل الثقافي؛ فهذا إجراء مهم وفاعل. وكم دعَوْنا سابقاً للفصل بين الإدارة التنفيذية وعضوية مجلس الإدارة في الأندية الأدبية، حيث مهمة مجالس الإدارة أن تضع السياسات الثقافية العامة، ولكن يتعين أن يتولى تنفيذها فريق مؤهل ومدرب ومتفرغ في كل نادٍ أدبي، وطالبنا أن تقوم الأندية وكل مؤسسة ثقافية بالاستثمار في تكوين إدارة وسطى مختصة ومدربة على البرامج الثقافية. وبالتالي فإذا جاء القطاع غير الربحي بهيكلة وتطوير الأندية وتشغيلها على أسس حديثة ورفع كفاءتها واسهامها في العمل الثقافي فهذا ما ينتظره المثقفون

وبخصوص فكرة دمج الأندية الأدبية مع فروع جمعية الثقافة والفنون، فأنا مع تعدد الوجهات الثقافية، وتنوع الخيارات، إذ نحن بحاجة إلى كل جهد مؤسسي وخاص وكل المبادرات التي من شأنها إنعاش الساحة الثقافية وتقديم المبادرات وخلق جمهور متنوع.

هناك مشهد ثقافي متحرك يبزغ فيه شبان سعوديون حققوا الإنجازات المحلية والعالمية، وأصبحوا محركين للنقاش الثقافي والعام في الفضاء السيبراني، هؤلاء لا يجب أن تضيق بهم القوالب الحالية

وحول تجربة «الشريك الأدبي» فأرى أنها لا زالت في بدايتها، والأهم أن تتحول الثقافة إلى خبز يومي وأن تندمج في حياة الناس، الشريك الأدبي يوفر منصة تفاعلية ملتصقة بالجمهور ويقرّب الأديب للناس. المهم أيضاً أنْ تتوسع هذه المبادرات لتشمل العروض المسرحية والفنون التشكيلية والصالونات الأدبية الأهلية مع فسح المجال للمشاركين طبعاً

نزال السعيَّد

كاتب

ما يطالعنا من ترتيبات البيت الثقافي الكبير (وزارة الثقافة في المملكة العربية السعودية) وما يختص تحديداً بالهيكلة الجديدة للنوادي الأدبية السعودية، فجميعنا يلحظ ما طرأ واعترى هذه المعاقل الثقافية الشامخة خلال العقد الأخير من عمرها الباهي بعد أن أكملت من أيامها ما يقارب النصف قرن من الزمان كانت فيه وضَّاءة ومضيئة وذات قناديل ثقافية زاهية يراها ويدركها كل المهتمين والمنتمين للثقافة وجمهورها، حيث خرَّجت الأجيال بعد الأجيال، وصانت قيمة النشر العلمي، وأغدقت ى المبدعين والمهتمين بالقضايا الثقافية بشكلٍ عام

وصلت الأندية لهذه المرحلة الآنية المعاصرة من فتور الهمّة وضبابية العزيمة وضعف السواعد بعد أن أصبحت ذات مستقبلات دة وخاصة، تبدأ بالهرم الوظيفي وتنتهي بعلاقات الأصدقاء، واستغلال معارف الأصدقاء، ما اضطرها إلى خلق نوع من المواءمة والشراكة مع مؤسسات المجتمع الأكاديمي حتى بات يختلط على المشاهد هل هو في قاعة الطرح الأكاديمي أم في مركز ثقافي ن شتى أنواع الفنون

بات يختلط على المشاهد هل هو في قاعة الطرح الأكاديمي أم في مركز ثقافي مسؤول عن شتى أنواع الفنو
دعت الحاجة لأن يأتي الضيف وخلفه سيرة ذاتية علمية وليست ثقافية

حينها غابت الوجوه الشابة والأجيال الواعدة عن الأماكن المتقدمة لأسباب ربما فنية وربما تشاركية، وهي الآن تخشى وتعاني من قلة المورد وغياب النصير، وربما أنَّ ما مضى من قطيعة طويلة بين تلك النوادي وأفراد المجتمع قد يعزُّ معه اللقاء مع ما نراه جلياً واضحاً من انسجام فيما يعرف بمؤسسات القطاع غير الربحي الأخرى من استدامة وتضافر جهود واعتزاز بالثقة بين الداعم وبين المستة ة عامّة

أين إشكال الأندية الأدبية؟ وإلى أين تمضي؟

الموقف الثقافي - الأندية الأدبية

أين إشكال الأندية الأدبية؟ وإلى أين تمضي؟

خلاصة:

> رحبت ملتقيات الشريك الأدبي بالمواهب والطاقات الكامنة والوجوه الشابة لتقديم ما لديهم من صنوف الثقافة والمعرفة دون أن يبحثوا ويفتشوا في المعاجم عن مفردات التودد والتقرّب

ربما تحتاج إعادة الثقة إلى زمن يناهز زمن القطيعة السابق. وها نحن الآن أمام عودة راشدة وشاملة وباهرة حينما نرى التشاركية في تقديم كافة الفنون الثقافية في هذه المراكز التي باتت تعانق الجبال طولاً، ولربما قبل أن نرى هذه الثمار الثقافية الباسقة تعود من جديد سنجد جمال الأدوار الجديدة الذي بدأ بتأديتها «الشريك الأدبي» وكأنه أراد إنقاذ الأداء عبر نسيان النص من العارضين السابقين، مع ما صرنا نألفه من ليالٍ ساحرة وباهرة في ملتقيات «الشريك الأدبي» الذي رحب بالمواهب والطاقات الكامنة والوجوه الشابة لتقديم ما لديهم من صنوف الثقافة والمعرفة دون أن يبحثوا و يفتشوا في المعاجم عن مفردات التودد والتقرّب.

ولا يفوتنا أن نشير إلى حداثة تجربة «الشريك الأدبي» التي تحتاج بطبيعة الحال في بداياتها إلى تحديد الخطى وتنظيم الوجهات، كل ذلك لا يدعونا أن نصنع القطيعة مع النوادي الأدبية وننسى فضلها السابق قبل أن تتحول إلى ثلاثة أقسام في نظري:

- أولها نوادٍ كانت ولازالت في منطقة الضوء بتاريخها وعطائها.
- ثانيها نوادٍ استطابت الوسط والتوسط وكافحت من أجل أن تكون على قيد البقاء.
- ثالثها نوادٍ في طريقها إلى ما يسمى بمنطقة «العتمة» من خلال رصد المثقفين لمحدودية منجزاتها وإنجازاتها.

أمَّا من أراد تحويل النوادي إلى جمعيات فهو بمثابة التفاف على الصفة الطبيعية للنادي واستبدال العنوان وإبقاء المحتوى. وفي الأخير لعلّ توثيق مراحل النماء الماضية وتقديم الشكر لرجالاتها السابقين ومكافأة البارزين منهم وتوديعهم واستقبال الكفاءات الشابة هو خير ملامح استنهاض الثقافة والمثقفين

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج الآتية التي تمثل خلاصة ما طرحه المشاركون من مقترحات وسياسات لمعالجة وضع الأندية الأدبية وتعزيز فاعليتها في المشهد الثقافي:

أولاً: أن تقوم الأندية الأدبية بالانفتاح على جميع الفئات الاجتماعية، والعمرية، والنوعية، وعليها أن تنصهر مع المجتمع في جميع متطلباته وتحولاته ومتغيراته، لكي تكون أدبية ثقافية، تساير الواقع المتجدد.

ثانياً: الاستفادة من إمكانيات وقدرات المباني الخاصة بالأندية الأدبية لنشاطات المجتمع الثقافية والأدبية

ثالثاً: إنشاء بيت للثقافة في سائر مدن المملكة، بحيث يكون واجهةً لهذه المدينة ويضم سائر الفنون وتتحقَّق فيه شمولية الثقافة

رابعاً: أن تحفظ وزارة الثقافة تركة الأندية الأدبية من كتب ومحاضرات وتسجيلات وأن توظِف كل هذا في خدمة الثقافة، بحيث يعرض على القناة الثقافية مثلاً، ويكون موجوداً عبر الفضاء المعلوماتي للاستفادة منه

خامساً: تغيير آلية العمل واللوائح المعمول بها في الأندية الأدبية، واختيار المسؤولين عليها بعناية بحيث يكون لديهم الشغف، ويكونون قادرين على تحقيق أهداف النادي الشمولية كنادي أدبي ثقافي

سادساً: النظر في دمج الأندية الأدبية مع فروع الجمعية السعودية للثقافة والفنون، بحيث يتم إعادة تشكيل المشهد الثقافي الأدبي الفني من خلال الجمع بين المؤسستين تحت اسم «المركز الثقافي»، على أنْ تكون هذه المراكز ذات شخصية اعتبارية ولها استراتيجيتها المنبثقة من استراتيجية وزارة الثقافة

سابعاً: الفصل بين الإدارة التنفيذية وعضوية مجلس الإدارة في الأندية الأدبية، بحيث تكون مهمة مجالس الإدارة وضع السياسات الثقافية العامة، ويتولى تنفيذها فريق مؤهل ومدرب ومتفرغ في كل نادٍ أدبي

ثامناً: الاستفادة في تطوير «الأندية الأدبية» من التجارب العالمية المشابهة والتجارب القائمة في الدول الأخرى

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

كيف نجعل اللغة العربية أساساً للتبادل الثقافي؟

العدد الخامس - اللغة العربية

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
مايو - 2024

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية. ونستهدف منه أن نوصل رأي المعنيين للجهات المسؤولة، فنكون بمثابة حلقة من حلقات الربط بين هيئات وزارة الثقافة والمرتبطين بها ثقافيا.

إخلاء مسؤولية:

تمثل الآراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد الكتاب والمثقفين المشاركين، ولا تعبر بالضرورة عن رأي البرنامج الثقافي والإعلامي بمركز الخليج للأبحاث وإدارته.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الموقف الثقافي

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

(الأندية الادبية، اللغة العربية، الفنون التشكيلية، التعليم، المسرح، السينما، معارض الكتاب، التاريخ، الاعلام، الثقافة والمثقف)

مدخل

تعدُّ اللغة العربية من بين اللغات واسعة الانتشار إذ يتحدَّث بها نحو 550 مليون شخص حول العالم، ما جعلها تحتلُّ المرتبة الرابعة عالمياً بعد الصينية والإنجليزية والإسبانية، وأهَّلها لتكون إحدى اللغات الست الرسمية لمنظمة الأمم المتحدة وهيئاتها

وإلى جانب هذا الانتشار، تتميز اللغة العربية أيضاً بعدد من الخصائص الذاتية، فهي من بين اللغات القليلة التي لا تزال تحتفظ حتى اليوم بألفاظها وحروفها دون أن تتبدَّل أو تتغير، وهي لغة المعرفة قديماً ويمكن أن تكون لغتها حديثاً، علاوة على ارتباطها الزمني بالدين الإسلامي نظراً لكونها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كما أنَّها أيضاً اللغة التي يؤدي بها المسلمون حول العالم شعائرهم الدينية على اختلاف أعراقهم ولغاتهم وثقافاتهم

اللغة هوية، وهي وجود، ولذلك أخذت عديد من الدول المتقدمة في تشريع القوانين للحفاظ على هويتها ووجودها عبر الحفاظ على لغتها وسماتها المجتمعية، ومن المؤسف أن نجد مسؤولين عربا لا يدركون أهمية ذلك، بل من المؤسف أن نلحظ حالة استلاب كاملة باتت معلنة في ثنايا مؤتمراتنا وندواتنا العامة والتي جعلت من اللغة الإنجليزية وسيلة للتحدث باعتبارها لغة عالمية، وهي حجة واهية لا يؤمن بها سوى من قد استحكم الانسلاخ في وجدانهم.

انطلاقاً من هذه القيمة المعنوية، وإيمانا بالمكانة الثابتة للغة العربية، وإدراكاً لما تعرَّضت له اللغة العربية من تهميش على أرض الواقع، بات ضرورياً إثارة عدد من التساؤلات حول مكانتها المعاصرة ومدى قدرتها على أنْ تكون حاضرة عالمياً، لاسيما في ظل هيمنة بعض اللغات الأجنبية، وما مدى أن تكون لغة للتبادل الثقافي إسلاميا وعالمياً

ورغبة من البرنامج الثقافي والإعلامي في مركز الخليج للأبحاث في مناقشة هذه القضية على نطاق أوسع وتقديم توصيات بشأنها للجهات المعنية في الخليج والعالم العربي، فقد استكتبَ مجموعة من

النخب الثقافية والأكاديمية العربية، طارحاً عليهم التساؤلات الآتية:

- **كيف ترى دور اللغة العربية في التبادل الثقافي على الصعيد العالمي؟**
- **كيف نجعل منها لغة رئيسة للتبادل المعرفي؟ وكيف تستعيد اللغة العربية حضورها في مشهدها الوطني والعربي أولا؟**
- **ما الدور المناط بالدول والمؤسسات العربية لنشرها دولياً؟ وما تقييمك للمبادرات المبذولة في هذا الصدد؟**

نشير إلى أن أحد من استكتبه البرنامج الثقافي وهو الدكتور عقيل عباس قد عبر عن رأيه بالصورة التي يؤمن بها، ومن باب الشفافية والإيمان بحرية الرأي لم نشأ أن نقصي مشاركته مع اختلافنا مع رأيه، واختلاف باقي من شارك من المتداخلين معه أيضا، ويمكن أن يظهر ذلك جليا في مشاركاتهم وبخاصة ما كتبه الروائي عبد الوهاب منصور من الجزائر، والدكتور أحمد التريهي من سقطرى اليمن، اللذان لامسا طرحه، وأجابا عليه دون سابق تنسيق أو معرفة، إذ كل كاتب في هذا الموقف قد أرسل مداخلته على حدة بمنأى عن الآخر. مع فتحنا الباب للزملاء المشاركين ولغيرهم لطرح مختلف أرائهم المناهضة والداعمة والتي يمكن نشرها في مسار «أوراق ثقافية» بموقع مركز الخليج للأبحاث.

أخيرا، نؤمن بأنه لن يكون للغة العربية أي حضور إذا لم تدعم المؤسسات الحكومية والدول وجودها، ولن يكون لأي مقترح أي فاعلية إن لم تتبناه الدول وعلى أعلى مستوياتها.

وفيما يلي نورد إجابات هؤلاء المثقفين:

د. أحمد محمد التربهي

أستاذ النقد الأدبي بكلية التربية سقطرى في جامعة حضرموت - اليمن

قرأت مقولة تنسب للمستشرق الفرنسي إرنست رينان، وهو يتحدث عن جمال اللغة العربية وأثرها في الباحثين من غير الناطقين بها، علاوة على طريقتها في أسر المجتمعات التي وصلت إليهم ولم تكن من قبل، حتى سقطت في شراك سحر جمال مبانيها، ودقة معانيها ونظام صوتها الفريد، يقول رينان: (من أغرب المدهشات أنْ تنبت تلك اللغة القومية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرّحل؛ تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، ولم يعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلّا فتوحاتها التي لا تبارى، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة، من غير تدرج، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة)

> كان للغة العربية دورٌ كبيرٌ في تطور الحضارة الإنسانية عندما كانت هي لغة الأدب والعمارة والفن والموسيقى والفلسفة والطب والرياضيات والفيزياء؛ وغيرها من أدوات الحضارة.

هكذا إذن هي اللغة العربية تقتحم المجتمعات، فتأسرها بجمالها الأخاذ، مدينة تلو الأخرى، فلا يكاد يصل إنسان ينطق اللغة العربية إلى مدينة حتى يتهافت نحوه شيبها وشبابها، راجين تعلمها والتزين بها في حديثهم

وقد كان للغة العربية دورٌ كبيرٌ في تطور الحضارة الإنسانية عندما كانت هي لغة الأدب والعمارة والفن والموسيقى والفلسفة والطب والرياضيات والفيزياء؛ وغيرها من أدوات الحضارة، وذلك في الفترة التي حمَل فيها المسلمون قيم التسامح والعدالة والرحمة إلى المجتمعات التي فتحوها، تهيئة لاستقبال قيم الحضارة الإنسانية الإسلامية، وبذلك مكَّنت اللغة العربية الإنسانية من الوصول إلى مستوى عالٍ من التطور، في حين كانت أوروبا – ذات اللسان اللاتيني- في الفترة نفسها منقادة للكنيسة التي أعطت لنفسها الحق في بسط نفوذها الثقافي والسياسي، وبثه في قوالب جامدة باعتباره قانوناً ينظم حياة الفرد والجماعة، ليس للعقل فيه مجال، وإنما بوصفه مظهراً من مظاهر إرادة الله

> تتميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأخرى بوفرة ألفاظها وتنوع أساليبها، علاوة على كونها تتمتع بمرونة فائقة وقدرة عالية على التكيف وفقاً لمقتضيات العصر.

ومن الجدير في هذا السياق أن نشير إلى حديث الأمين العام للأمم المتحدة (أنطونيو غوتيريش) في اجتماع جامعة الدول العربية المنعقد مؤخراً في المنامة 16/ مايو/ 2024م، إذْ يقول: (ولدت في لشبونة، وهي مدينة كانت لقرون جزءاً من الأندلس، في ذلك الوقت الذي كانت فيه قرطبة مركز الثقافة والحضارة في شبة الجزيرة الأيبيرية، مثلما كانت بغداد مركز الثقافة والحضارة في العالم، وكانت آثارها ممتدة من حدود الصين إلى سواحل المحيط الأطلسي) وبذلك يتبين لنا أنَّ اللغة العربية لغة المعرفة، وأنها قادرة أن تكون قالباً مناسباً وجديراً بالتبادل المعرفي على مستوى المجموعة العربية والعالم

وبصفتي باحث في النقد الأدبي في اللغة العربية، وقد نشأت في طفولتي على أصوات لغة أخرى، وهي السقطرية، فهي لغتي الأم، ثم اكتسبت العربية من خلال قاعات الدرس، وها أنا ذا أستخدم أدواتها النقدية في دراسة الأدب السقطري، وللأمانة لم أجد صعوبة في توظيف قوالب النقد العربي لدراسة الأدب السقطري، الذي كتب بلغة مختلفة عن العربية، إذ تنتمي السقطرية إلى عائلة لغوية غير التي تنتمي إليها اللغة العربية

وإذا كنا نعتقد أنَّ عالم اللغة السويسري دي سوسير محق عندما يرى أنَّ المدلول سبق الدال، فإنه من الصواب أيضاً أنْ نرى أنَّ اللغة العربية تتميز عن غيرها من اللغات الأخرى بوفرة ألفاظها وتنوع أساليبها، علاوة على كونها تتمتع بمرونة فائقة وقدرة عالية على التكيف وفقاً لمقتضيات العصر

ومن هنا بات من الضروري أن تضطلع الدول العربية ومؤسساتها التعليمية والثقافية في تمكين اللغة العربية في كافة ممارساتها وأنشطتها في إطار مؤسساتها، وجعلها في صدارة اللغات الحاملة للمعرفة والثقافة على مستوى العالم، لأنه إلى الآن ما من توجه عربي جاد في هذا الاتجاه

د. أحمد محمد التريهي

الموقف الثقافي - اللغة العربية

كيف نجعل اللغة العربية أساساً للتبادل الثقافي؟

د. صالح زيّاد

ناقد وكاتب - السعودية

لا تقتصر وظيفة اللغة على التواصل المجرَّد، لأنها تحمل في طياتها ثروة ثقافية من الأدب والتقاليد والقيم والمفاهيم والتصورات والخبرة الإنسانية ضمن سياق تاريخي اجتماعي معين. وهذه ليست صفة اللغة العربية وحدها بل كل اللغات، لكن اللغة العربية أوضح دلالة على هذا المعنى بسبب علاقتها بالدين الإسلامي وامتدادها التاريخي على ما يزيد على ألف وخمسمئة عام زاخرة بالتراث العربي الإسلامي والإنتاج الثقافي والمعرفي والتجارب الإنسانية والاختلاط والتمازج بين الثقافات

لغتنا العربية ليست ضعيفة في ذاتها، ولكنها في حاجة إلى الاستناد إلى شعور حقيقي بالقوة الحضارية والثقافية في المجتمعات العربية.

وقد تجلّى أثرُ اللغة العربية ودورُها في التبادل الثقافي منذ القديم في ثقافات المجتمعات والشعوب الإسلامية، سواءٌ تلك التي استحالت لغتها إلى العربية، كما في الشام أو في شمال إفريقيا، أو التي صارت لغاتها تحمل ما يتجاوز النصف أو حوله من المفردات العربية، مثل الأردية والفارسية والتركية. فضلاً عن أثرها في اللغات الأوروبية نتيجة لنقلها تسميات معرفية وثقافية أو عينية، انتقلت مع المعارف والآداب والتقاليد التي دخلت إلى أوروبا في مؤلفات أمثال ابن رشد والفارابي وابن سينا والرازي وغيرهم، أو في منتجات أدبية مثل ألف ليلة وليلة والمقامات وغيرها مما تُرجم إلى اللاتينية وبعض اللغات الأوروبية

وإذا كان التبادلُ الثقافي عبر اللغات، يستند، فيما يستند، على القوة المادية مثلما يستند على القوة

الحضارية والثقافية، فقد كان الاستعمارُ فيما مضى وسيلة فرض لثقافة المستعمِر على الثقافات الأهلية، وكان الشعور بالهزيمة الحضارية، وما تقترن به المجتمعات ذات القوة والهيمنة من صورة برّاقة ومبهرة لثقافتها ولغتها في العالم، أهمَّ الأسباب التي تحيل التبادل الثقافي من التلقائية والطوعية والاختيار إلى التغالب والصراع، بل إلى الإخضاع المباشر أو غير المباشر الذي يظهر في تقليد المغلوب للغالب، كما برهن ابن خلدون قديماً، والإعجاب به وتضاؤل الذاتية الخاصة في مقابل ذاتيته

جلُّ معارفنا الجديدة اليوم يستند على ما نترجمه أو نعرِّبه، وعلى رغم ذلك فإنَّ ما يُترجَم عربياً ليس في الحجم المطلوب.

وهكذا يمكن لنا أن نشخِّص بصورة مبدئية دورَ اللغات في هذا التبادل الثقافي. فلغتنا العربية الآن ليست ضعيفة في ذاتها، ولكنها في حاجة إلى الاستناد إلى شعور حقيقي بالقوة الحضارية والثقافية في المجتمعات العربية. وأريد هنا بالشعور الحقيقي، الشعور الذي لا يرتكز على الإيديولوجيا والذاتية وحدها، بل على قوة واقعية، تتمثل في إنتاج المعرفة والفنون وتطويرها إلى مستوى القدرة على المنافسة والتأثير.

وإلى ذلك فإنَّ وسائل الاتصال والتواصل عظيمة الأثر في هذا الصدد، فالمجتمعات المنغلقة لا تستطيع الارتقاء بلغتها ولا التأثير بها. ولذلك فإنَّ الاهتمام بالسياحة والارتقاء بها عاملٌ لا يقل أهمية عن تطوير صناعة الأفلام والمسرح والموسيقى والمتاحف وكل ما يصور ذاتنا الثقافية تصويراً أصيلاً ومتطوراً في الوقت نفسه

وكما أنَّ اللغة قناةٌ للتبادل الثقافي فإنها أيضاً وسيلةٌ للتبادل المعرفي، أي تبادل الأفكار والفلسفات والنظريات والمناهج والمفاهيم المعرفية. وإذا كان للفلسفة والعلوم التطبيقية والدراسات اللغوية

والأدبية قديماً سيرورة في اللغة العربية فلا يوجد في العصر الحديث ما يُعجز العربية عن احتوائها والتعبير عنها. والعجز هنا هو في تدنّي الطاقات الفلسفية والعلمية عربياً وانحسار قدرتها على الإنتاج المعرفي المتجدد، فجلُّ معارفنا الجديدة اليوم يستند على ما نترجمه أو نعرّبه، وعلى رغم ذلك فإنَّ ما يُترجَم عربياً ليس في الحجم المطلوب

وبالطبع، يمكن لنا أنْ نجعل لغتنا العربية وسيلةً أساسيةً للتبادل المعرفي، وأنْ تستعيد حضورها القوي في هذا الصدد، حين تستطيع النخب العربية في المجالات المعرفية المختلفة إنتاج معرفة جديدة بلغتها العربية فضلاً عن الإساغة للمعارف التي تحتويها اللغات الأجنبية باللغة العربية

وأتصور أنَّ الدور الملقى على عاتق مؤسسات التعليم والبحث والثقافة والترجمة في الدول العربية، لا ينفصم عن الدور الذي تحمله المؤسسات الاقتصادية وشركات السياحة والإنتاج الفني. فمهمة الاهتمام بالعربية مهمة حضارية شاملة وليست جزئية

كيف نجعل اللغة العربية أساساً للتبادل الثقافي؟

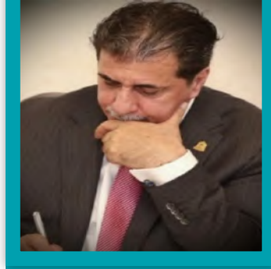

عامر طهبوب

روائي وكاتب - الأردن

من أين نبدأ في رثي ثوب العربية التي ما انفكَّ لفظها عصياً على التآكل والتأرجح في خضم حرب اللغات التي تستعر وفق مقتضيات العولمة والتحول الرقمي المتسارع، وقد ظلّت لغتنا العربية المحفوظة والمحفوفة بالإحاطة الإلهية قادرة على المواكبة الحاصلة في قنوات الاتصال والتواصل مع متطلبات العصر وصيحاته، وخير دليل على ذلك جهود المعجميين العرب حيث تمكنوا من تدشين

> أدَّى التنوع اللهجي في العربية بسبب ليونتِه وبعده عن المعيارية القواعدية، إلى اقترض مصطلحات من لغات أخرى وإدخالها في نسق عامي غير فصيح.

مستويات معجمية جديدة في نسق الحرف العربي، وفي دلائلية تستطيع أن تشير لكل معنى وإن أضمر في بطون الكلمة وإشاراتها

وعلى ذلك لم تكن العربية بخيلةً؛ فباب الترجمة ظلَّ مشرعاً منذ زمن العصر العباسي، وكانت الترجمة وقتذاك تتم بالتقابل المعرفي الذي لا يسمح بالاقتراض اللغوي بقدر ما يسمح بتلاقح معرفة تتطلَّب الجدة والاجتهاد من علماء الحقول العلمية المجرَّدة العرب بالتوازي مع علماء اللغويات في العالم

قلت من أين نبدأ الرَّثي، فهل ازدادت الثقوب في ثوب لغتنا. الجواب إن العربية قادرة وبسبب قابلية قانونها الاشتقاقي على الاسترسال في نحت الكلمات والمصطلحات الجديدة تبعاً لتغير مقتضيات علم الديموغرافيا البشري، ولعلي أقصد اللغة البيضاء، أو تنوع لهجوي وقع نتيجة لما ذكرناه، غير

أنَّ هذا التنوع في اللهجات، وبسبب ليونتِه وبعده عن المعيارية القواعدية، اقترض مصطلحات من لغات أخرى وأدخلها في نسق عامي غير فصيح، وصارت نتيجة لذلك دارجةً على ألسنة أبناء جيل معاصر تأثر إذ ذاك بوسائل تواصل رقمي انتهجت اللغة الإنجليزية كلغة وسيطة وعالمية، واكتسحت بدورها حقولاً معرفية وتواصلية كثيرة من بينها حقول التجارة والتواصل الدبلوماسي والدولي على السواء، بيد أن خطورتها كمُنَت في أنها أصبحت قناة الاتصال الأولى بما في ذلك التواصل اليومي، وهو ما جعل النص العربي الأصيل مستغلِقاً وعصياً على الفهم والاستيعاب في أذهان الجيل الجديد البعيد عنها

> تتطلب التحديات التي تواجهها العربية تأسيساً مختلفاً من ناحية تدريب المعلمين وفق تلك التحديات الجديدة، والوقوف على كل مظاهر التعثر اللغوي التي تنوعت أسبابها في ألسنة أبنائنا.

وبالتوازي مع ذلك، أدركت المؤسسات العربية في وقت ليس مبكراً خطورة الأمر، وأعادت تعليم العربية الفصحى على الأقل في المدارس التي تلقى الرعاية الحكومية المباشرة، لكن الأمر مع هذا النوع من التحدي يتطلَّب تأسيساً مختلفاً من ناحية تدريب المعلمين وفق تلك التحديات الجديدة، والوقوف على كل مظاهر التعثر اللغوي التي تنوعت أسبابها في ألسنة أبنائنا

من هنا، ولكي نسهم في مواجهة هذا الانحسار الذي تواجهه العربية في ميادين النشر العلمي والثقافي، ينبغي الوصول إلى قواعد بيانات ونشر علمي تعتمد العربية كلغة بحث علمي من خلال التوسع في دعم الباحثين العرب وإيصال منشوراتهم العلمية إلى كل دور النشر والمعاهد والجامعات في العالم، فحتى دور النشر تواجه تحدياً صعباً سببه الكتاب المسموع ومنصَّات البحث الإلكترونية التي يسهل الوصول اليها بكل يسر وسهولة، هذا لو قورن الأمر بالكتاب الورقي الذي بات يحتضر اليوم ولأسباب يصعب حصرها هنا

اللغة العربية لها ثقافتها وشأنها الذي يجعل أبناءها قادرين على مقارعة الباحثين بلغات أخرى، بغية إيجاد مكانة محسوسة للعربية من خلال أناقة مجازها وبلاغتها التي حققت لها جمالية ليست على مستوى التراث المادي وحسب، بل وعلى مستوى إيقاعها الغنائي وإعجازها القرآني، فالحراك الثقافي العربي ومنتدياته ومهرجاناته أحدثت انجذاباً عالمياً مقبولاً يشهد عليه الجميع، لكنها تطالب اليوم أبناءها بأن يعيدوا تموضعها في القنوات الاتصالية الرسمية والشعبية من خلال تفعيل قوانين حماية اللغة العربية التي تبنتها مجامع اللغة العربية. وهنا لا بد من الإشارة إلى هذا الدور الكبير لهذه المجامع التي نجحت في الكثير من مشاريعها الناهضة بالعربية، فتشكر لقاء ذلك لكنها مطالبة بمواصلة هذه المواكبة عبر جعل الفصيحة لغة حجاجية إقناعية يومية خالية من الشوائب غير الملائمة لها

وبعد هذا وذاك، فإن اللغة كائن حي، تتقدم بتقدم أصحابها، وتتخلف بتخلفهم، فلا يمكن الحديث عن اتساع رقعة استخدام العربية كلغة عالمية، في ظل تخلف العلم والمعرفة والتقانة والاقتصاد والمنعة للناطقين بهذه اللغة، وفي ظل شعور البعض بنكوص العربية من أبناء العرب، تراه للأسف يدعو أحياناً لغيرها، وربما نصطدم بحقيقة أن بعض هؤلاء، هم من أولئك الذين يفترض أن يأخذوا على عاتقهم دفع العربية إلى الارتقاء والانتشار والتطور، لتصبح بحق لغة عالمية في مختلف الأروقة والمحافل الدولية

كيف نجعل اللغة العربية أساساً للتبادل الثقافي؟

عبد الوهاب بن منصور

كاتب وروائي – الجزائر

تحظى اللغة العربية بأهمية بالغة، سواءً عند العرب والمسلمين أو غيرهم، نظراً لإمكانياتها الحضارية والثقافية والتواصلية. وقد اعتلت مكانة عالمية مرموقة بين لغات العالم الحيّة كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية لقدرتها على التفاعل الخلّاق والتأثير الإيجابي في هذه اللغات وغيرها بإثراء قواميسها وعلومها، إضافة لقدرتها على التعبير عن القيم الإنسانية المشتركة

كانت العربية لغة حضارة عريقة لقرون عدّة لامتلاكها مزايا كثيرة، فمثّلت لغة التبادل المعرفي والإنتاج العلمي والأدبي والفني، وأهدت الإنسانية الكثير في مجال العلم والفلسفة والأدب والفن والدين.

وإنتاج المعارف

ولأنَّ اللغة العربية، أو أيّ لغة، تكون دوماً بحالة مواجهة دائمة مع تحديات مختلفة، فإنه من الحري بها أن تتسمَ بالتطوّر والتجدّد لمسايرة كل العصور، وهذا ما نجحت فيه العربية دون الإخلال بكيانها وجذورها العميقة.

لقد كانت العربية لغة حضارة عريقة لقرون عدّة لامتلاكها مزايا كثيرة، فمثلت لغة التبادل المعرفي والإنتاج العلمي والأدبي والفني، وأهدت الإنسانية الكثير في مجال العلم والفلسفة والأدب والفن والدين، وهو ما تقوم به لحدّ الآن بمستويات مختلفة نتيجة تأثيرات سياسية ودينية

لقد عمد بعض المستشرقين المنضوين تحت عباءة سياسية ودينية، بعد فشل الحروب الصليبية، إلى تشويه صورة العربي والمسلم وتقديمه في أبشع الصور، وتقديم اللغة العربية باعتبارها لغةً رجعيةً لا نفع فيها، مع التشكيك في قدرة العقل العربي والإسلامي على الإبداع والنبوغ. وهي الأفكار التي تبنّاها بعض العرب، مؤكدين أنَّ اللغة العربية لا يمكن بأيّ حال

مشاريع دعم التبادل الثقافي والمعرفي باللغة العربية صارت ضرورة ملحة وأصبح من الواجب تأطيرها وتحديد مداخلها ومخارجها وتيسير الوصول إليها.

فصلها عن حمولتها الثقافية والدينية.

والحقيقة، أنّه يمكننا الجزم، أنها اللغة الوحيدة في عالم اليوم، التي تملك هذه الخاصية ولا زالت تحافظ عليها. هذه الخاصية، التي تميزها عن غيرها، تجعل منها لغة أولى للتبادل المعرفي بين مسلمي العالم على الأقل، الذين يفوق عددهم مليار ونصف المليار، كما كان الحال إبان الحضارة الإسلامية.

فرضت اللغة العربية نفسها في الثقافة الإنسانية العالمية بوسائل التواصل المتاحة كالكتب والمجلات والفن التشكيلي والسينما والمسرح وغيره، فكانت من بين اللغات الأكثر انتشاراً وتشاركاً، ودخلت مجال التكنولوجيا والإنترنت، الذي جعل من العالم قرية صغيرة، على اختلاف خدماته، خاصة وسائل التواصل الإجتماعي التي صارت بوابة مفتوحة للتبادل الثقافي وتقديم منتوج عربي خالص المقومات من محتوى ولغة. لذلك فإنَّ مشاريع دعم التبادل الثقافي والمعرفي باللغة العربية صارت ضرورة ملحة وأصبح من الواجب تأطيرها وتحديد مداخلها ومخارجها وتيسير الوصول إليها

إنَّ اللغة العربية، التي تمكّنت من توحيد شعوب المنطقة العربية على اختلاف لهجاتهم المحلية وثقافاتهم المختلفة التي تشكل فسيفساء عجيبة التناسق، بإمكانها أنْ تكون لغة التبادل المعرفي

بين هذه الشعوب، وذلك بتنميتها من خلال رفع مستوى الوعي المعرفي لدى الأفراد والجماعات وحتّى المؤسسات، ثمّ من خلال مشاريع عربية رائدة وموحدة

وقد يكون لتوثيق هذه التجارب بلغة فصحى دور في ترسيمها كلغة تبادل قائمة على مصطلحات ومفاهيم موحدة لتجاوز الاختلاف أو الالتباس، الذي تخلفه هذه المفاهيم والمصطلحات من نفور المتلقي وضياع الباحث حتّى في البلد الواحد

إنَّ اللغة، أيّ لغة، لا يمكنها استقطاب جمهور من خارج حدودها الجغرافية الطبيعية إلا إذا كانت لغة إنتاج تكنولوجي وعلمي وثقافي، وبالتالي فإنَّ إعادة اللغة العربية إلى وهجها الأول الذي عرفته بعد قيام «بيت الحكمة» يستلزم جهوداً من الدول العربية ومؤسساتها. ولذلك، تقع المسؤولية على كل دولة عربية لنشر العربية، وتعزيز حمايتها بسنّ القوانين لحفظها واستعمالها في كلّ الميادين والمجالات

كما أنَّه يقع على عاتق المؤسسات التعليمية المختلفة في الدول العربية، كالجامعات والمعاهد المتخصصة، مسؤوليةُ تطوير العربية وتنميتها بتشجيع البحث العلمي والمعرفي بها. ومن خلال سفارات وقنصليات الدول العربية يمكن أيضاً فتح ورشات قصيرة وبعيدة المدى لتعليمها لغير الناطقين بها

كثيرة هي المبادرات التي تعمل على حماية وحفظ اللغة العربية وتعزيز مكانتها، وزيادة الوعي بأهميتها للتبادل الثقافي والمعرفي العربي كمبادرة «علماء العرب» و«خوالد» عن مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية. أمَّا في سبيل تشجيع ودعم التبادل الثقافي العالمي فمبادرة «العربية للجميع» تستحق التنويه والدعم لأنها جعلت من تعليم اللغة العربية أمراً متاحاً للجميع، ودعمت كلّ مؤسسة، في أيّ مكان من العالم، تقاسمها هذا الهدف النبيل

د. قيس كاظم الجنابي

ناقد وباحث - العراق

إنَّ مجرَّد مبادرة مثل هذه هو نوع من المراجعة لتأسيس حوار فكري حول أهمية اللغة العربية وتوسيع انتشارها بسبب الترابط بينها وبين القرآن الكريم، كتاب الإسلام والمسلمين، تعد مبادرة مهمة، بحيث يبدو الاتصال بين العروبة والإسلام قائماً على أسس ثابتة

وإذا تحدثنا عن دور اللغة العربية في التبادل الثقافي على الصعيد العالمي، فإنني أرى أننا لا نستطيع تماماً القول إن دور اللغة العربية في التبادل الثقافي أصبح كبيراً ومهماً، فبسبب عوامل الاتصال السريعة والرغبة في إيثار اللغة الإنجليزية لأنها لغة عالمية في التخاطب عبر وسائل الاعلام والاتصال الحديثة، صارت اللغة العربية تتأثر تأثراً بالغاً، وتدخلها يومياً العشرات من المفردات الجديدة بلفظها ومعناها من دون استئذان، أو من دون أنْ تمر بالمرشِّحات الضرورية لتنقيتها وتأهيلها من قبل المقوم العربي أو اللغوي المعجمي، وهذا ما يولد إرباكاً، ويعطي الفرصة للشباب للتعويل على الدخيل بسرعة فائقة، لضيق الزمان المتاح أمام المتلقي من أجل تمحيص ومراجعة الوافد إليه من مفردات وصور دخلت التداول السريع.

> إنَّ اللغة، أيّ لغة، لا يمكنها استقطاب جمهور من خارج حدودها الجغرافية الطبيعية إلا إذا كانت لغة إنتاج تكنولوجي وعلمي وثقافي، وبالتالي فإنَّ إعادة اللغة العربية إلى وهجها الأول يستلزم جهوداً من الدول ومؤسساتها.

يدخل إلى اللغة العربية يومياً عشرات من المفردات الجديدة بلفظها ومعناها من دون استئذان، أو من دون أنْ تمر بالمرشِّحات الضرورية لتنقيتها وتأهيلها

هذا بدوره يقلل من الفرص أمام اللغة العربية في أداء دورها اليومي والتداولي، وربما ينتج لغة ثالثة تستعيض عن اللغة العربية، لا سيما وهي تواجه دعواتٍ مريضة تستهدف صمودها وتحرض على خضوعها لمنطق الحاجة والقبول بالأمر الواقع، وتجنب الخوض بأنها على صلة وثيقة بالقرآن الكريم الذي حفظها من الضياع والتشتت؛ وهذا بالتالي يقلل أو سيقلل حتماً من دور اللغة العربية في التبادل الثقافي في ظل دعوات مشبوهة مناهضة للعروبة والعربية في آن واحد لها وسائل مدروسة، منها:

-التخلي عن اللغة الفصحى واللجوء إلى اللهجة العامية، أو الإكثار من الحوارات بها في وسائل التواصل والاتصال

-تشجيع كتابة الشعر خاصة والأدب عامة تحت ستار مصطلح خاطئ هو الأدب الشعبي، والهدف تشتيت الهوية العربية

> اللجوء إلى اللهجة العامية، والإكثار من الحوارات بها في وسائل التواصل والاتصال، وتشجيع كتابة الشعر والأدب الشعبي، مظاهر للقضاء على اللغة العربية السليمة

-إنشاء مراكز ثقافية ومحطات للتواصل والاتصال والبحث والترويج للثقافة المتدنية بذرائع شتى تحت مسميات (الذاكرة، الهويات، العودة الى الأصول والحضارات كالسومرية

والسريانية والآكدية والعبرية)

وهذا ينقلنا إلى القضية الثانية، وهي كيف نجعل من العربية لغة رئيسة للتبادل المعرفي؟ وكيف تستعيد اللغة العربية حضورها في مشهدها الوطني والعربي أولاً؟

في رأيي فإنَّ تفعيل منظومة للترجمة السريعة من اللغات العالمية إلى اللغة العربية، والتصدي للمؤثرات الخطيرة واليومية سيقلل من حجم الاختراق الداخلي، بحيث يسمح لنا بمعالجة الأضرار الخارجية، وذلك بالاعتماد على اللغة العربية في المؤتمرات ونشر المؤلفات، من خلال تثمين وتشجيع الاستعمال اليومي للغة العربية، واستثمار علاقة القرآن الكريم باللغة العربية، في تشجيع الكتابة عن

هذه العلاقة ودورها الإيجابي في صمود اللغة العربية بوجه التحديات، لمواجهة الكتابات والدعوات المضادة للقرآن التي تهدف إلى التشكيك في فحواه، ونزع الصفة الإلهية عنه، مع المطالبة بأن تكون اللغة العربية واحدة من اللغات المعتمدة في المؤتمرات والندوات المختلفة في الهيئات الدولة والعربية والوطنية

ويمكن تشجيع دراسة اللغة العربية في العالم، وخصوصاً في العالم غير الإسلامي بإنشاء المعاهد والمكتبات (الورقية والإلكترونية)، مع العمل على إعطاء صورة جيدة عن الإسلام ومحاولة نزع العلاقة التي افترضها الغرب وأعوانه بين الإسلام والإرهاب

العمل على تكوين مجموعات وقنوات متعددة للاتصال داخل المجتمع العربي لتشجيع الكتابة باللغة العربية الفصحى، والتقليل من استخدام اللهجات العامية، وكبح جماح الثقافة الهابطة في المشهد الثقافي بشكل عام في السينما والمسرح والكتابات الأخرى التي تشجع ذلك بذرائع مختلفة، كالمناسبات الدينية والشعائر والأعياد، لأنها جزء من أدوات التخريب الثقافي المتبعة حالياً

يجب تفعيل منظومة الترجمة من اللغات العالمية إلى اللغة العربية، مع المطالبة بأن تكون اللغة العربية واحدة من اللغات المعتمدة في المؤتمرات والندوات الدولة

بالنسبة للدور المناط بالدول والمؤسسات العربية لنشر اللغة العربية دولياً، وتقييم المبادرات المبذولة في هذا الصدد، فأرى أنّه يمكن للدول والمؤسسات أنْ تقدم الشيء الكثير من خلال مراجعة خطابها الإعلامي والتربوي والتعليمي والثقافي والاتصال الشعبي المتاح، وإعداد برامج تخدم استعمال اللغة العربية الفصحى، وإنشاء منظومة ترجمة سريعة وإجراء حوارات وندوات ومؤتمرات وإصدار المطبوعات والصوتيات المسموعة والمرئية التي تدعو إلى ذلك، لتقليل التخريب الثقافي اليومي لمواجهة الإعلام الهابط والهادف إلى تغيير أهمية الفصاحة، في مبادرة إلى حملة واسعة عربية للوقوف بوجه المد العامي الذي تقف خلفه جهات متعددة

كيف نجعل اللغة العربية أساساً للتبادل الثقافي؟

د. محمد سليمان السعودي

الجامعة الأردنية - الأردن

تعدّ العربية اليوم إحدى اللغات الستّ المعتمدة لدى هيئة الأمم المتحدة، وعندما نقول: هيئة الأمم المتحدة، فإننا نتحدث عن شرعية دولية اعتمدت العربية لغةً عالميةً منذ أكثر من خمسين عاماً؛ استثمرنا نحن العرب هذا القرار في البدء بإدخال العربية إلى العالمية بعد ضمور أصابها قروناً؛ فازدهرت مؤسسات عربية رائدة قدَّمت المؤلَّف الجديد والعالِم الحاذق والمبدع المدهش فواكبت العصر مصطلحاً وعلماً وإبداعاً، واستطاعت أن تستدرك كثيرًا من المشاريع في التعليم العام والعالي، وقد نجحت في ذلك؛ فباشرت باستحداث القوانين والأنظمة والتعليمات لإدخال العربية في حياة الناس من خلال التعليم

وقد ركَّزت هذه المنظومة على أنْ تكون العربية هي لغة التدريس ولغة البحث ولغة الصناعة، وهذا طموح كبير ومشروع عربي عميق إلا أنه لم يكتمل، ودليلُ ذلك حال العربية اليوم بين الأمم وبين أبنائها أيضاً

> ما زالت المشاريع والمبادرات العربية مقطعة الأوصال في أوطاننا، لا رابط بينها ولا قرار يجمعها، فهي جهود فردية، لها قيمتها على المستوى المحلي العربّي فقط.

ويبدو لجلي النظر أنّ فرصتنا الحاضرة أقرب للتحديث والتطوير وأسرع؛ فشبكات التواصل الاجتماعي والمنصَّات العالمية والذكاء الاصطناعي دروبٌ حديثةٌ تستنهض الهمم،

فالترجمة مثلاً بابٌ واسعٌ للتواصل ومعرفة العالم، وما زالت هذه المشاريع الذكية والمبادرات العربية مقطعة الأوصال في أوطاننا، لا رابط بينها ولا قرار يجمعها، فهي جهود فردية، لها قيمتها على المستوى المحلي العربّي، لكنّ هذه القيمة قد تتضاءل مع الزمن إنْ لم تتّسق وتأتلف مع المشاريع الكبرى في المنطقة العربية والعالم.

وهذا يدفع الأمة إلى توسيع مشاركتها البحثية على المستوى العالمي في المؤتمرات، وكتابة ملخص لكل دراسة أو بحث باللغة العربية لنشرها ورفع محتواها على الشبكة العالمية (الإنترنت)، ووضع أطر عامَّة لتعليم العربية للناطقين بغيرها، وبناء مناهج تعكس الواقع الحضاري لهذه اللغة ولأبنائها ودورهم الفاعل في التقديم المستمر في نهضة الإنسان.

> يجب استحداث امتحان يليق بالعربية على مستوى العالم يُعنى بالناطقين بغيرها، على هيئة امتحانات التوفل (TOEFL) والآيلتس (IELTS) في اللغة الإنجليزية.

كما يدعو إلى استحداث امتحان يليق بالعربية على مستوى العالم يُعنى بالناطقين بغيرها، ويُبنى على أسس معرفية واسعة ومدركِة لتطور حركة الإنسان ويؤمن بالتجديد المتدفق للبشرية على هيئة امتحانات التوفل (TOEFL) والآيلتس (IELTS) في اللغة الإنجليزية مثلاً؛ امتحانات تُبنى على المهارات اللغوية المعتمدة عالمياً، فتخرج بنا من فوضى المزاج الذي تعاني منه العربية في تعليمها، ولا ينتظم هذا إلا بامتحان آخر لأهل اللغة أنفسهم يعتمد فيه على مناهج لغوية جديدة تركز على مهارة اللغة للمتحدث لا على التّزمت للقاعدة النحوية

وما نحتاجه اليوم هو مشروع عربيّ خالص يجمع هذا الجهد العربي الكبير المبعثر تحت لواء واحد، هدفه تقديم العربية على المستوى العالمي ترجمة ومصطلحاً وتعليماً وفكراً، لتكون قوة ناعمة

تردف السياسي والاقتصادي في تقديم الحلول للمنطقة ونشر الفكر العربي الجديد القائم على الحفاظ على مصالح العرب ومستقبل أجيالهم.

ولا أظن أنَّ شخصاً يعارض هذا على مستوى أوطاننا الصغيرة أو عالمنا العربيّ الكبير، ولا أعتقد أيضاً أنْ يُكتب النجاح لهذه المشاريع وهي بعيدة عن المؤسسات الرسمية، مثل: مجامع اللغة العربية، والجامعات ووزارات الثقافة والإعلام والخارجية، بحيث تنتظم تحت مظلة واحدة تتبع لجامعة الدول العربية؛ لتكون قراراتها ملزمة للدول الأعضاء، وحتى لا نبقى كما نحن اليوم تحت قرارات فردية يتخذها مسؤول ثقافي لننتظر آخر جديد يلغيها في أول توقيع له، بل نريدها مشاريع نهضوية تتّسم بالديمومة والتفرّد ضمن خطط سنوية؛ تُلزم هذه المؤسسات بعالمية البرامج، وتنفيذ خطط لها أطر زمنية معلومة؛ فيشعر العربيّ بعزته في المحافل الدولية وفي امتزاجه مع الثقافات الأخرى.

اللغة العربية اليوم باب جديد للاستثمار المادي وتطوير الأعمال من خلال حوسبتها وتقديمها للعالم، فهل نرى جديدها الذي ينسجم مع حضورنا وواقعنا؟!

نريدها مشاريع نهضوية تتّسم بالديمومة والتفرّد ضمن خطط سنوية، ولا تبقى قيد رحمة القرارات الفردية المتأرجحة بين مسؤول وآخر

كيف نجعل اللغة العربية أساساً للتبادل الثقافي؟

د. وليد محمود خالص

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة - العراق

يطرح مركز الخليج للأبحاث الموقّر أسئلة جوهرية بشأن اللغة العربية، ومكانتها، وآفاق نشرها داخل الوطن العربي، وخارجه. وهي، عند التأمل، أسئلة يتواشج بعضها ببعض، بل يتلاحم، بحيث يؤدي أولها إلى ثانيها، وهكذا. ولذلك عند فحص تلك الأسئلة فحصاً متأنياً، وبعد استخلاص رحيقها، نراها تنضوي تحت ثلاثة محاور:

أولها: مكانة العربية عند أهلها؛ لأنَّ هذه المكانة هي الأساس الذي سيُبنى عليه المحوران الآخران. وترتبط هذه المكانة بواقعة حضارية هي (التقدم)، وتضمّ بين جنباتها مفرداتٍ أخرى هي العولمة، والتقنية، والنظرة العلمية في تفسير الظواهر. وهذه مشدودة العرى بعضها ببعض أيضاً.

> أهمية اللغة العربية من مكانتها عند أهلها، وترتبط هذه المكانة بحجم تقدمها وتخلفها.

ويقف في مقابلها، ظاهرة (التخلف)، وهي ذات انتشار ملموس في العالم العربي، وهنا تكمن الإشكالية. ولانقصد بالتقدم هنا، الجانب المادي منه، فهذا حاضر في كثير من البلدان العربية، ممثّلاً بسائر مرافق المجتمع الحياتية، بل نريد به العامل الفعّال، والمستتر الذي تمكّن من إنتاج ذلك كله.

فهذا الجانب، أي المادي، ليس سوى القشرة الخارجية، وهي المتوفرة عندنا. أمَّا ذلك المستتر، القارّ فهو المُفْتَقَد إلى مدى كبير. ومن هنا وصف كثيرٌ من علماء الاجتماع، واللسانيين المجتمعاتِ العربيةَ بأنَّها (مجتمعات تابعة)

> بات الفوز بالوظائف يكاد يقتصر على من هو متخرّج في جامعة غير عربية، وينال المتحدث بلغة غير العربية مكانة كبيرة، وزادت وسائل التواصل الاجتماعي الأمر سوءا بالكتابة بما يعرف بالعربيزي

وقد انعكست هذه التبعية على مكانة اللغة العربية بامتياز في الداخل. وليس ما سنذكره سوى مظاهر لهذه التبعية: انتشار الرطانات، واللغات الأجنبية بحيث تأخذ مركز الصدارة بدل العربية، والعجز عن التواصل بعربية مفهومة، مأنوسة، وانتشار المدارس، والجامعات الأجنبية، والتدريس في الجامعات الحكومية، والخاصة بلغات غير العربية. وكان التدريس بها، أي اللغات الأجنبية، مقتصراً على الكليات ذات الصبغة العلمية، وانتقل، بعد ذلك، حتى إلى الكليات الإنسانية.

والفوز بالوظائف يكاد يقتصر على من هو متخرّج في جامعة غير عربية، وينال المتحدث بلغة غير العربية مكانة يُدلّ بها على غيره فتفتح أمامه الأبواب. وزادت وسائل التواصل الاجتماعي الطين بلّة، كما يقال، فإضافة إلى ما تنشره من أخبار غير موثوق بها، وآراء تنمّ عن ضحالة معرفية، نرى أغلب ذلك مكتوباً بلغة ظاهرها عربي، وباطنها أبعد مايكون عنها، وليست (العربيزي) سوى شاهد واحد

فإذا كان هذا هو الواقع الملموس، فما وسائل التعامل معه؟ من الضروري التأكيد على أنَّ التأخر، والعولمة، وما إليهما، ليسا قدراً محتوماً، لايمكن الفكاك منه، وفي تجارب الدول الأخرى، وبعض الدول العربية أيضاً، شواهد على هذا التخلص، وهو البداية الحقيقية، والفاعلة لكي تأخذَ العربيةُ مكانتها اللائقة بها، من حيث احترامها، وإعادة الهيبة لها، وفسح الطرق أمامها لكي تكون مجالاً للاختبار في مواكبة الجديد من جهة، ودخولها المعترك المحلي، والدولي من جهة أخرى، بحسبان أن العالم كلّه يشهد، منذ زمن، ما يُطلق عليه (حرب اللغات) ، وهو عنوان الكتاب القيّم للساني (لويس جان كالفي).

وليس ما مرّ سابقاً سوى تمهيد للنفاذ إلى المحور الثاني: وهو دور الدول، والمؤسسات العربية لنشر العربية دولياً. ولم نقل ما قلنا إلا بالاتكاء على قانون منطقي، وهو أنَّ إصلاح الداخل هو الذي

يمهّد لجعل العربية لغة (نشر)، بدلاً من أن تظل لغة (حصر). وتكاد الدول، والمؤسسات العربية تنفردان بالتعامل مع هذه الإشكالية العسيرة.

فبيدها المفاتيح، وعليها المعوّل من حيث إصدار (التشريعات اللغوية)، وإلزام الأخذ بها، وتطبيقها، واتخاذ العربية لغة المكاتبات الرسمية، والخاصة، ولغة الإعلام، والإعلان، وهي المخوّلة وحدها بعقد الاتفاقيات مع

على الدول العربية إصدار (التشريعات اللغوية)، وإلزام الأخذ بها، وتطبيقها، واتخاذ العربية لغة المكاتبات الرسمية، والخاصة، ولغة الإعلام، والإعلان.

الدول الأخرى، وإنشاء المراكز الثقافية، ومدارس تعليم العربية في تلك البلدان، وتؤدي دوراً مهما في نشر الثقافة العربية عموما، والعربية خصوصاً.

كما ينضوي تحت دور الدول، والمؤسسات تنظيم، وتشجيع حركة الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى، ولا تفوت الإشارة إلى حركة (التعريب) التي نشطت في أوقات سابقة، وكانت عاملاً مهماً في نشر العربية، على المستوى المحلي، والخارجي معاً، وهي التي خبت جذوتها شيئاً فشيئاً بعد هذا. ويفرض الواجب العلمي، والمنهجي التصريح هنا بأنَّ نشاطاً ملحوظاً شمل كلّ ماتقدَّم من مفردات، غير أنّه محتاج إلى مزيد من الدعم، والاستمرار.

وحين تصنع الدول، والمؤسسات هذا، فإنّما تحافظ فيه على هويتها، بل على استقلالها، بحسبان أنّ اللغة شعار الهوية، وعلامة الاستقلال. واضطلاع الدول، والمؤسسات بهذا العمل مهمة وطنية مخلصة بلا شك

ويجدر بالمحور الثالث أن نطلق عليه محورَ (التكامل)، ويراد بهذا التكامل، تعاضد الداخل مع الخارج، فهما حلقتان في سلسلة واحدة، لا تنفصمان، فإذا انحلّت الأولى سقطت الثانية بانحلال الأولى.

فإن كنّا نرى نشاطاً في (التشريع اللغوي)، فهو محتاج إلى تطبيق، وليس التطبيق سوى الذي يُطلق عليه الدكتور أحمد محمد الضبيب (الأنياب، والأظافر)، أي إلزام المجتمع الأخذ به. وإن كنّا نلمس تحرّكاً من لدن الدول، والمؤسسات العربية في عقد الاتفاقيات، وإنشاء المراكز، والمدارس لنشر العربية، فهذا يتطلب متابعة، وتطويراً. وإن كنّا نتابع هذه المحاولات الجادّة لحضور العربية على الشبكة العنكبوتية حضوراً ملموساً، تنافس فيه الشبكات الأخرى، فهذا، بدوره، طالبٌ للمزيد من الإضافات، والتزويد الدائم

ولن يتحقّق ذلك كلّه بالتمنيات، والركون إلى (التفضيل الديني للغة العربية)، على حدّ مقولة أمين الخولي، في كتابه (مشكلات حياتنا اللغوية)، فهذا ممّا يتميز به القرآن الكريم وحده، أمّا العربية، فهي لغة كسائر اللغات محتاجة إلى تخطيط، وبذل جهد، وسعي للحفاظ عليها، وإبقائها نضرة، عامرة بالحياة. وهنا يبرز دور (الداخل) أيضاً في إعلاء شأنها، والحفاظ على هيبتها، واحترام المتحدّثين بها، لتكونَ لغةَ الحياة، لا لغة المتخصصين، وغرف الدراسة وحدهما، فهذا سيؤثر حتماً على الخارج بتأثيرات متنوعة.

ولايذهبنَّ الظن إلى أنّ هذا التوجه يرمي إلى انفراد العربية بالمشهد، وغلق الأبواب أمام اللغات الأخرى، فهذا، إضافة إلى كونه محالاً في ظلّ هذا الفضاء المفتوح اليوم. إضافة إلى ذاك، فإنّ تعلّم اللغات الحية الأخرى وسيلة لاغنى عنها للتواصل مع العالم، وإنّما المقصود هو تفضيل العربية، وهي في وطنها، على ماسواها من اللغات،

لن تتقدَّم العربية بالركون إلى (التفضيل الديني للغة العربية)، فهذا ممّا يتميز به القرآن الكريم وحده، أمّا العربية، فهي لغة كسائر اللغات محتاجة إلى تخطيط، وبذل جهد، وسعي للحفاظ عليها، وإبقائها نضرة، عامرة بالحياة.

أسوة بما يصنعه غيرنا. مع الشكر والتقدير لمركز الخليج للأبحاث على اضطلاعه بهذا الموضوع الوطني المستحقّ

د. عقيل عباس

أكاديمي وباحث ثقافي - العراق

من أجل فهم واقعي بخصوص اللغة العربية ودورها المستقبلي في التواصل، لا بد من الإقرار ببعض الحقائق المهمة التي يتم تجاهلها عادةً في الحيز العام، أو لا تؤخذ بنظر الاعتبار من جانب المؤسسات المختصة. وفي رأيي، يُعيق هذا الإنكار تنمية اللغة العربية واستخدامها في السياقات المناسبة لها والمرتبطة بالحياتين العربية والإسلامية، تراثاً وثقافةً.

الحقيقة الأولى هي أنَّ اللغة العربية ليست اللغة الأم لأي مجموعة سكانية اليوم (وثمة شكوك أنها كانت ذات يوم اللغة الأم لأي مجموعة بشرية). حسب علم اللسانيات، تُعَرَّف اللغة الأم على أنها اللغة التي يتعلّمها المرء طفلاً من البيت في سياق طبيعي. يعني هذا أنَّ اللغات المحلية، التي نسميها خطأً باللهجات، كالمصرية والسورية والجزائرية والعراقية، وتمتلك بخلاف الشائع أيضاً قواعدَ وأنظمة صرف خاصة بها متأثرة بمقادير مختلفة باللغة العربية الكلاسيكية، هي لغتنا الأم، فيما العربية هي اللغة الثانية، التي نتعلمها في المدارس عبر سنوات من الدرس، والجهد، وارتكاب الأغلاط، وتصحيحها

أمَّا الحقيقة الثانية، فهي أنَّ اللغة العربية، بما أنَّها ليست لغة حياتنا اليومية التي نعيشها عبر اللغات المحلية، فهي تتطور وتنمو حصرياً، هذه الأيام، عبر الترجمة من اللغات الأجنبية، فضلاً عن اشتقاقات محدودة جداً يأتي بها بعض المختصين والمجامع اللغوية

تساعد هاتان الحقيقتان في تحديد نوعية الاستثمار في اللغة العربية، بوصفها لغة التراث والثقافة، الذي ينبغي أن نوليه عنايتنا. فالصحيح إعادة صياغة برامج تعليم اللغة العربية للأجانب لتعكس هاتين الحقيقتين وما ينشأ عنهما.

فعلى سبيل المثال، المناسب والفعال في هذا الصدد هو تعليم اللغة العربية لأغراض القراءة والاستماع فقط، وليس لأغراض الحديث، إلى جانب تعليم إحدى اللغات المحلية لأغراض الحديث في الوقت نفسه (وهي التجربة التي نعيشها كأفراد في العالم العربي: نتحدث لغة محلية ثم تالياً نتعلم اللغة العربية الكلاسيكية كتابةً وفهماً)

« رأي على رأي »

كيف نجعل اللغة العربية أساساً للتبادل الثقافي؟

ينبغي أيضاً أن تتضمن إعادةُ صياغة هذه البرامج التخفيفَ من قبضة القواعد لمصلحة الاستخدام، أي أن الهدف هو تحقيق الفهم والقدرة على التواصل عبر اللغة، وليس تطبيق القواعد كمعيار للإتقان. ما الجدوى مثلاً من تعلُّم همزات الوصل والقطع والممنوع من الصرف والرفع والنصب والجر إذا كانت القدرة على فهم المعنى تتم دون الحاجة الى معرفة هذه القواعد؟!

من المبالغ فيه تصور أنَّ العربية ستصبح لغةً عالمية بالمعنى الشائع للعالمية، أي تعلُّمها كجزء من الثقافة العامَّة للمرء المرتبطة بمعرفة أفضل للعالم، كما هو الحال في الإنجليزية والفرنسية والإسبانية التي هي لغات عالمية فعلاً، بعكس العربية التي هي لغة إقليمية، وعلى الغالب، ستستمر هكذا لأنَّ العالم العربي ليس صانع الأحداث والرفاه والمعارف والاكتشافات ومقصد السياح عالمياً بحيث يغدو عدم تعلم لغته نقصاً في ثقافة المرء، كما هو الحال في الإنجليزية مثلاً.

وبالتالي، فإنَّ التركيز يجب أن يكون على الجماعات الديموغرافية والمهنية التي لها صلة ما بالعربية بحكم حياتها واهتماماتها ومصالحها، كالمسلمين غير العرب، والمستثمرين الذين يعملون في العالم العربي أو الطامحين للعمل فيه، والمحللين والكتاب والصحافيين الذين يشتغلون على نحو شبه مستمر على القضايا المرتبطة بالعالم العربي أو الدين الإسلامي. في هذا السياق، ينبغي التفكير على نحو جدي بإعطاء منح وفرص دراسية لهؤلاء تتضمَّن العيش في دولة عربية تتيح لهم التفاعل مع لغة محلية في الوقت نفسه الذي يتعلمون فيه اللغة العربية

يحتاج ترويج اللغة العربية إلى فهم واقعي لها وللجمهور الذي يمكن أنْ يهتمَّ بتعلُّمها والتركيز على هذا الجمهور بدلاً من تشتيت الجهود والموارد في المواضع الخطأ

هناك مشهد ثقافي متحرك يبزغ فيه شبان سعوديون حققوا الإنجازات المحلية والعالمية، وأصبحوا محركين للنقاش الثقافي والعام في الفضاء السيبراني، هؤلاء لا يجب أن تضيق بهم القوالب الحالية

وحول تجربة «الشريك الأدبي» فأرى أنها لا زالت في بدايتها، والأهم أن تتحول الثقافة إلى خبز يومي وأن تندمج في حياة الناس، الشريك الأدبي يوفر منصة تفاعلية ملتصقة بالجمهور ويقرّب الأديب للناس. المهم أيضاً أنْ تتوسع هذه المبادرات لتشمل العروض المسرحية والفنون التشكيلية والصالونات الأدبية الأهلية مع فسح المجال للمشاركين طبعاً

كيف نجعل اللغة العربية أساساً للتبادل الثقافي؟

خلاصة:

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج الآتية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء الثقافة من مقترحات وسياسات لمعالجة وضع اللغة العربية في داخل الدول العربية، وتعزيز فاعليتها في التبادل الثقافي الدولي:

أولاً: أن تعمل النخب العربية في المجالات المعرفية المختلفة على إنتاج معرفة جديدة بلغتها العربية فضلاً عن الإساغة للمعارف التي تحتويها اللغات الأجنبية باللغة العربية

ثانياً: التكامل بين جميع مؤسسات الدول العربية سواء التعليمية أو غير التعليمية في العمل على نشر العربية وتعزيز حضورها الدولي، فالدور الملقى على عاتق مؤسسات التعليم والبحث والثقافة والترجمة في الدول العربية، لا ينفصم عن الدور الذي تحمله المؤسسات الاقتصادية وشركات السياحة والإنتاج الفني، ذلك أنَّ مهمة الاهتمام بالعربية مهمة حضارية شاملة وليست جزئية

ثالثاً: توسيع المشاركات البحثية على المستوى العالمي في المؤتمرات، وكتابة ملخص لكل دراسة أو بحث باللغة العربية لنشرها ورفع محتواها على الشبكة العالمية (الإنترنت)

رابعاً: استحداث امتحان يليق بالعربية على مستوى العالم يُعنى بالناطقين بغيرها، على غرار امتحاني التوفل (TOEFL) والآيلتس (IELTS) في اللغة الإنجليزية مثلاً؛ وأن يبنى هذا الامتحان على المهارات اللغوية المعتمدة عالمياً وعلى مناهج لغوية جديدة تركز على مهارة اللغة للمتحدث لا على التّزمت للقاعدة النحوية

خامساً: إيجاد مشروع عربي موحَّد هدفه تقديم العربية على المستوى العالمي ترجمة ومصطلحاً وتعليماً وفكراً، لتكون قوة ناعمة تردف السياسي والاقتصادي، على أنْ ينتظم هذا المشروع تحت مظلّة واحدة تتبع لجامعة الدول العربية؛ لتكون قراراته وتشريعاته اللغوية ملزمة للدول الأعضاء

سادساً: تفعيل منظومة للترجمة السريعة من اللغات العالمية إلى اللغة العربية، وتشجيع الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى، مع الاهتمام أيضاً بحركة التعريب، وتنسيق الجهود بين الدول العربية في هذا المجال للحد من ظاهرة تعدد المصطلحات وتداخلها

سابعاً: استثمار علاقة القرآن الكريم باللغة العربية، في تشجيع الكتابة عن هذه العلاقة ودورها الإيجابي في صمود اللغة العربية بوجه التحديات، مع التنبه في هذا الصدد إلى ضرورة عدم الركون إلى "التفضيل الديني للغة العربية"، فهذا ممّا يتميز به القرآن الكريم وحده، أمّا العربية، فهي لغة كسائر اللغات محتاجة إلى تخطيط، وبذل جهد، وسعي للحفاظ عليها، وإبقائها نضرة، عامرة بالحياة

ثامناً: التقليل من استخدام اللهجات العامية، وكبح جماح الثقافة الهابطة في المشهد الثقافي بشكل عام، لا سيما في السينما والمسرح والكتابات الأخرى التي تشجع ذلك بذرائع مختلفة، مع إلزام المؤسسات ذات الصلة باتخاذ العربية لغة المكاتبات الرسمية، والخاصة، ولغة الإعلام، والإعلان

تاسعاً: تشجيع دراسة اللغة العربية في العالم، وخصوصاً في العالم غير الإسلامي بإنشاء المعاهد والمكتبات (الورقية والإلكترونية)، مع إيلاء عناية خاصة بالجمهور المهتم بدراسة اللغة العربية من باحثين ومستثمرين وصحافيين، وإعطائهم منحاً وفرصاً دراسية تتضمَّن العيش في دولة عربية

عاشراً: إعادة تأهيل معلمي اللغة العربية وفقاً للتحديات الجديدة التي تواجهها اللغة العربية والوقوف على كل مظاهر التعثر اللغوي التي تنوعت أسبابها في ألسنة الأجيال الجديدة

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

كيف نجعل «التاريخ» قوة دافعة للأمام؟

العدد السادس - التاريخ

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
يونيو - 2024

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل نصف شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية.

إخلاء مسؤولية:

الأراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد تمثل الكتاب والمثقفين المشاركين ولا ينبغي أن تنسب إلى مركز الخليج للأبحاث.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الموقف الثقافي

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

(الأندية الادبية، اللغة العربية، الفنون التشكيلية، التعليم، المسرح، السينما، معارض الكتاب، التاريخ، الاعلام، الثقافة والمثقف)

المدخل

يمثل التاريخ بما يعنيه من دلالة مادية ومعنوية، وما يعكسه من مضامين، أحد أهم المعارف والعلوم الإنسانية، حيث يشكل قوة دافعة ومصدراً غزيراً لفهم وإدراك كثير من الأحداث، وبذلك يصبح التاريخ بمضمونه وأحداثه مادة أصيلة يُعتمد عليها حال الرغبة في إحكام السيطرة على منطقة ما، وحين الاحتكام إلى موضوع معين، وحال تجذير مفاهيم معنوية خاصة كالنقاء العرقي أو ما شابه، وهكذا يمكن القول بأن القادر على ربط حاضره بتاريخه الذي يريد، يكون قادراً على فرض سيطرته، وتحقيق مراده، ومن يمتلك المعلومة التاريخية يكون قادراً على صناعة محتوى الذاكرة الجمعية، وهو أحد مصادر القوة الناعمة.

من أجل ذلك فقد وضح سعي الغرب الدؤوب لامتلاك مقومات وشواهد التاريخ، ليعمل على دراستها وتحليلها وإعادة بنائها بالصورة التي تتناغم مع توجهاته في المنطقة؛ وكان مؤدى ذلك أن احتلت أقسام التاريخ لديهم مرتبة متقدمة بعد الأقسام العلمية من حيث الكثافة الطلابية

إذن هو التاريخ الذي يُشكل عنوانا رئيسا في خارطة المعرفة، وهو محور الصراع القادم في منطقة الشرق الأوسط تحديداً، فمن يملك القدرة على كتابة التاريخ والتحكم في محتوى صندوق الذاكرة، سيخط بثبات وثيقة انتصاره حضارياً، إذ أخطر ما تواجهه أي أمة كامن في تغييب ذاكرتها الوطنية والقومية، وهو ما يُسهم في تكريس حالة الاستلاب، ويُعطي الآخر القدرة على السيطرة الذهنية وتسيير الإنسان في الإطار المقترح له دون وعي أو إدراك.

ومع كل هذه الأهمية لمادة وموضوع التاريخ إلا أننا كمجتمع قد ألفنا النظر إليه بعدم اهتمام، حتى بات هامشاً في ثقافتنا، تقليدياً في ذهننا، موبوءاً بروايات ضعيفة، وقصص وحكايات غريبة، يتناولها بالسرد عبر منصات التواصل المجتمعي كل أحد، ودون حسيب أو رقيب، والأدهى حين لم يعد التاريخ حاضرا في دوائر صنع القرار العربي بوجه عام.

ورغبة من البرنامج الثقافي والإعلامي في مركز الخليج للأبحاث في استكشاف هذه القضية ضمن سياقنا العربي، ومعرفة واقع «التاريخ» سواءً بوصفه تخصصاً أكاديمياً، أو بوصفه جزءاً من المقاربة الاستراتيجية للدول العربية حال تعاطيها مع الأوضاع والتطورات الجيوسياسية؛ استطلع المركز رأي نخبة من المثقفين العرب موجهاً لهم بعض التساؤلات على النحو الآتي:

كيف يمكن أن نجعل من «التاريخ» قوة دافعة إلى الأمام؟

كيف يصبح «التاريخ» مصدراً من مصادر القوة الناعمة؟

هل يهتم السياسي العربي بموضوع التاريخ مادة وموضوعا؟ وإن لم، فلماذا لا يهتم؟

ما تقييمك لواقع «التاريخ» كتخصص أكاديمي في الجامعات العربية؟ وكيف يمكن تطويره بما يخدم الأهداف والسياسات الاستراتيجية للدول العربية؟

إلى أي حد يمكن احتواء بعض الآثار السلبية للوقائع التاريخية على الحياة المعاصرة؟

وفيما يلي نورد إجابات من شاركنا من المثقفين

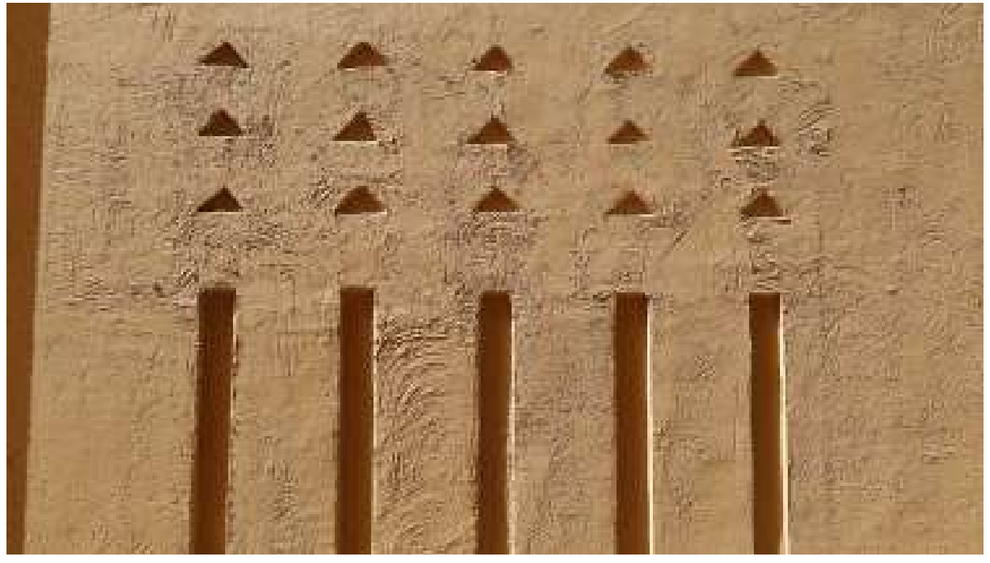

بدر بن سالم العبريّ

كاتب وباحث – سلطنة عمان

التّاريخ بحسناته وسلبياته، وبتقدّمه وتأخره، جزء من التّراث الإنسانيّ الكبير، كما أنّه يحمل ذاكرة الأمم والأعراق والأقطار، ولقد قلت في أكثر من مناسبة إنّ تاريخ أيّ أمّة كانت، في قراءته لا يخرج عن العناصر الثّلاثة: الماضويّة البشريّة المطلقة، والظّرفيّة التّأريخيّة، والسّننيّة الكونيّة المجتمعيّة، فهو ماض من حيث الأصالة، قد تستمر بعض آثاره إن كانت قريب الذّاكرة، إلّا أنّه يُقرأ في تلك الظّرفيّة التّاريخيّة، وبملابسات ذلك الحدث، فالحدث لا يخرج عن اقتضاءات أدّت إليه، وفضاءات سمحت بحدوثه، قد لا يتناسب مع اقتضاءات أخرى، ولو كان المحدث للأول والثّاني يحملان ذات الرّغبة في حدوث الحدث ذاته

وعليه هناك سننيّة كونيّة مجتمعيّة قائمة بين جوهر الحدث، ومصاديق الحدث ذاته، فالجوهر المرتبط بفكر الحدث أقرب إلى الإطلاق؛ لأنّ الفكرة عابرة للزّمكانيّة، وأمّا مصداق الفكرة لأيّ حدث داخل في محدوديّة الزّمكانيّة، فنحن بحاجة إلى دراسة وتفكيك جوهر الحدث؛ لأنّ له تأثيراً في الواقع، سواء أكان التّأثير إيجاباً أم سلباً، فما تقوم به مثلاً بعض الجماعات المتطرفة هو محاولة لاستنساخ تجارب سابقة بظرفيّتها الّتي لا تتناسب مع ظرفيّة الواقع، وذلك لأنّ جوهر الفكرة لم يتعرض للتفكيك والنقد، فكانت حاضرة في الأدبيات، ممّا أدّى إلى محاولة استنساخها، وهذا ممّا يجعل التّأريخ إذا أخذنا بحرفيّته المطلقة، دون قراءته قراءة ظرفيّة سننيّة؛ يؤثر سلباً في الواقع، بينما إذا تعاملنا مع جوهره تعاملاً سننيّاً؛ بلا شك سيكون أداة نافعة للواقع، ومصدراً مهمّاً في تطوّر المجتمعات الإنسانيّة

ثمّ لا يمكن تقديس التّاريخ، أي بوضعه في الخانة اللّاهوتيّة المغلقة، فجميع أحداث التّاريخ هي أحداث بشريّة، وطبيعة البشر الخطأ والصواب، نعم قد ينطلقون في تبرير أحداث واقعهم من منطلقات دينيّة، إلّا أنّ مصداق الحدث الواقع منهم لا يخرج عن خطّه الإنسانيّ والبشريّ. وإذا حدث تقديس للتّأريخ، وجعله في خانة الأديان مساوياً للنّصّ المقدّس؛ فنحن هنا أمام استنساخ أحداث ظرفيّة ماضويّة لا من حيث جوهر الحدث المتناسق مع واقع اليوم وسننيّة الاجتماع البشريّ، بل مع الحدث ذاته في صورته الماضويّة، فيولد عن ذلك حالة من الانغلاق الثقافي والحضاري، كما سيؤدي إلى الصراع المجتمعي، وخلق ثنائيات تؤدي إلى تكفير الآخر، وإعاقة تطوّر المجتمعات المعاصرة وفق ظرفيّتها الراهنة.. أيضاً لا يمكن بحال القطيعة مع التّاريخ، بوصفة حالة ماضويّة انتهت بانتهاء الماضي ذاته، فالتّاريخ كما أسلفت إمّا أن يكون ماضياً انتهى بالكليّة من حيث الحدث؛ لكنّه من حيث القيم المطلقة الكامنة فيه، أو من حيث الفكرة المتبلور عنها؛ لا يزال باقياً وإن ذهبت صورة الحدث، فمحاكمته من حيث القيم المطلقة، وقراءته وفق ظرفيّته لا ظرفيّة واقعنا، ومحاولة إعادة قراءة أفكاره المتبلور عنها بما يتناسب مع واقعنا، وهذا يجعلنا نمايز بين الحدث والشّخوص، فنحن نهتم بالحدث ذاته، لا أنْ نتصارع وفق شخوص ذهبت إلى باريها، فلسنا مسؤولين عنهم، وإنّما نقرأ الحدث بما وصلنا في

إذا أخذنا التاريخ بحرفيّته المطلقة، دون قراءته قراءة ظرفيّة سننيّة؛ فإنه سيؤثر سلباً في الواقع، بينما إذا تعاملنا مع جوهره تعاملاً سننيّاً؛ فبلا شك سيكون أداة نافعة للواقع، ومصدراً مهماً في تطوّر المجتمعات الإنسانيّة

صورته الظّرفيّة البشريّة، على أنّ هذا الحدث ذاته نسبيّ من حيث النّسبة والحدوث؛ لأنّه عادة قلّما يكتبه – سلفاً – أصحاب الحدث ذاته، وإنّما يكتبه إمّا محبّ مغال، أو كاره له، فيدور بذاته في دائرة النّسبيّة الظّنيّة

وإمّا أنْ يكون التّاريخ ماضياً بسيطاً، بمعنى أنّه أقرب إلى الذّاكرة، فهو وإن انتهى من حيث الماضي كحدث، إلّا أنّ تأثيره لا يزال باقياً، وهذا لا يختلف عن ذاك، في قراءته وفق الواقع المعاش، حتّى لا نقع في دائرة القداسة المطلقة للذّات، وبالتّالي نعيش في حالة الجمود السّلبيّ الذي يعوق تطوُّر الإنسان والبلدان والعمران، فقراءة التّاريخ قراءة بشريّة إيجابية، ومحاكمته وفق قيم التّقدّم، وفي الوقت ذاته مراجعة أفكاره وقراءتها وفق الواقع، يقودنا إلى جعل التّاريخ حالة إيجابيّة لتقدّم الأمم لا تأخرها وانغلاقها في ماضيها

لا يمكن تقديس التّاريخ أي بوضعه في الخانة اللّاهوتيّة المغلقة، فجميع أحداث التّاريخ هي أحداث بشريّة، وطبيعة البشر الخطأ والصواب

الموقف الثقافي - التـــــاريـخ

كيف نجعل «التاريخ» قوة دافعة للأمام؟

د. بهية العذوبية

باحثة في التاريخ الحديث والمعاصر – سلطنة عمان

عند الحديث عن كيفية جعل التاريخ قوة دافعة للأمام، أرى أنه بإمكان التاريخ أن يصبح أداة مهمة لتشكيل المستقبل، باعتباره سجلاً مهماً للماضي، فهو يمثل قوة دافعة ومهمة لفهم الأحداث، إذ أن ربط حاضرنا بتاريخنا، ومحاولة فهمه بطريقة صحيحة قد يكون مفتاحاً مهماً لتحقيق أهدافنا

ومن هذا المنطلق فإن التاريخ يحمل في طياته دروساً من شأنها أن تكون دافعاً مهماً للمستقبل، وليس أدل على ذلك من نظرية الحركة الدائرية الخلدونية التي شكلت مثالاً واقعياً لذلك، وعليه إذا ما قمنا بتحليل الفشل والنجاحات التاريخية، فإن ذلك من شأنه أن يجنبنا تكرار أخطاء الماضي، وهذا بدوره سيساعد أصحاب القرارات في بناء قرارات مستقبلية أفضل

> تشجيع الفحص النقدي للأحداث التاريخية سيسهم في تنمية المهارات التحليلية التي بدورها ستسهم في تبني قرارات مستنيرة

كما أنَّ تشجيع الفحص النقدي للأحداث التاريخية سيسهم، بما لا يدع مجالاً للشك، في تنمية المهارات التحليلية التي بدورها ستسهم في تبني قرارات فردية وجمعية مستنيرة، ومن شأن تسليط الضوء على الإنجازات والتقديم التاريخي أن يكون ملهماً ومحفزاً للمجتمعات نحو تحقيق نجاحات مشابهة، ولا ننسى أنَّ فهم السياق التاريخي للقضايا التي يعاني منها العالم اليوم ومعرفة جذورها وأسبابها سيقود إلى حلول أكثر نجاعة، كما أنَّ تضمين وجهات نظر وأصوات متنوعة في السرد التاريخي بإمكانه أن يعزز الشمولية والتعاطف والتماسك الاجتماعي، وكذلك فإنَّ تعليم التاريخ في ظل المسؤولية المدنية بإمكانه أن يمكن الأفراد من المشاركة الديموقراطية وتطوير المجتمع

وأخيراً في ضوء توجه العالم نحو عالم ابتكاري تقني يمكن الاستفادة من المعرفة التاريخية كنقطة ارتكاز للاكتشافات والأفكار السابقة الذي بدوره سيؤدي إلى تقدم تكنولوجي وثقافي مجتمعي

> أعلت التأثيرات الرأسمالية من سطوة السلوك النفعي المادي، وأدَّت لانحسار الروحي في الفنون المعاصرة.

وأعتقد بأنه يمكن للتاريخ أن يصبح أداةً فاعلة لتعزيز القوة الناعمة، والذي بدوره سيسهم في بناء علاقات دولية أقوى وأكثر إيجابية، وذلك من خلال تبني التاريخ

بطرق عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- إبراز الجوانب المميزة للثقافة والتراث التاريخي التي من الممكن أن تعزز من صورة الدولة في الساحة الدولية.
- نشر المعرفة والوعي التاريخي وتوفير موارد تعليمية ذات جودة عالية، مما يعزز من التعاون الثقافي والأكاديمي الدولي.
- تنظيم الفعاليات والأيام الثقافية والمعارض التاريخية التي ستسهم في بناء علاقات قائمة على التفاهم والاحترام المتبادل.
- الاستفادة من قصص النجاح والشخصيات التاريخية الملهمة وإنتاج أفلام وثائقية في تحسين صورة الدولة وتعزيز قوتها الناعمة.

ومن المناسب القول إنَّ التاريخ السياسي يشكل مجالاً مهماً في الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، وعليه فإنَّ مستوى الاهتمام بالتاريخ مادةً وموضوعاً يختلف من سياسي لآخر ومن دولة لأخرى، فهو مرهون بعوامل عديدة سياسية واجتماعية واقتصادية، فبعض السياسيين يعتمدون على التاريخ لتعزيز شرعيتهم السياسية، والاستفادة من التاريخ لاستخلاص الدروس التي من الممكن أن تسهم في صنع القرار السياسي والتخطيط الاستراتيجي، في حين يتجاهل البعض الآخر التاريخ لنظرتهم المحدودة نحو المستقبل، في ظل تبنيهم للقضايا الحالية والتحديات الراهنة، هذا فضلاً عن التغييرات الكبيرة والسريعة التي يشهدها العالم، والتي قد تشكل عاملاً سلبياً لتركيز الاهتمام نحو التاريخ

ويعد الملك فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله من أبرز الأمثلة لسياسيين عرب استفادوا من التاريخ حيث درس تاريخ الجزيرة العربية واستفاد من تجارب أجداده في الحكم وتطوير المملكة، وكذلك السلطان قابوس بن سعيد يرحمه الله الذي كان قارئاً وناقداً متمحصاً في التاريخ وتمكن بفضل نظرته الشاملة للماضي والحاضر من إحداث تحولات مهمة في البنية الاقتصادية والاجتماعية لعُمان

وبذلك فيعتبر التاريخ مادة ضرورية لفهم السياسة وتطور المجتمعات، وعليه ينبغي أن يكون هناك توجهٌ أكبر نحو تعزيز الوعي بأهمية دراسة التاريخ وتطبيقه في السياسة

يعتبر التاريخ مادة ضرورية لفهم السياسة وتطور المجتمعات، وعليه ينبغي أن يكون هناك توجهٌ أكبر نحو تعزيز الوعي بأهمية دراسة التاريخ وتطبيقه في السياسة.

وبشكل عام فإن تقييم واقع التاريخ بوصفه تخصصاً أكاديمياً في الجامعات العربية من شأنه أن يكون معقداً، فهناك تباينات كبيرة نحو درجة الاهتمام من دولة لأخرى ومن جامعة لجامعة أخرى، ولذلك واجه تخصص التاريخ تحديات كبيرة، فعلى سبيل المثال؛ إن التاريخ الغني والمتنوع لشبه الجزيرة العربية من شأنه أن يوفر مادة دراسية غنية ومثيرة للاهتمام للباحث التاريخي، ورغم ذلك لم يحظَ بالمستوى المطلوب من الاهتمام من الجامعات العربية على الرغم من وجود كليات وأقسام متخصصة في دراسة التاريخ.

لم يحظَ التاريخ الغني والمتنوع لشبه الجزيرة العربية بالمستوى المطلوب من الاهتمام من الجامعات العربية على الرغم من وجود كليات وأقسام متخصصة في دراسة التاريخ.

كما أنَّ المساقات والمقررات الأكاديمية بحاجة إلى تحديث لتعزيز التفكير النقدي والتحليلي، هذا فضلاً عن تعرض الدراسات التاريخية في كثير من الأحيان للرقابة والتحيزات السياسية التي من شأنها أن تؤثر على حرية البحث الأكاديمي، وعليه يمكن القول إنَّ تخصص التاريخ في الجامعات العربية يمتلك إمكانيات كبيرة للتطور والتحسين

وبناءً على ما سبق، يمكن اتباع عدة استراتيجيات لتطوير التاريخ كتخصص أكاديمي يخدم سياسات الدول العربية الاستراتيجية؛ منها تضمين تاريخ المنطقة العربية بكافه جوانبه، وتوسيع نطاقه ليشمل التاريخ العالمي، وتعزيز البحث العلمي والشراكات الأكاديمية ومنح الزمالة، وربط التاريخ بالسياسات الاستراتيجية من خلال التركيز على التراث الثقافي والاستفادة من التاريخ في صنع السياسات، وتحفيز الاهتمام المهني، وتشجيع التفكير النقدي والتحليل من خلال تنمية المهارات التحليلية والنقاشات والحوارات الأكاديمية، وأخيراً استخدام التاريخ كأداة دبلوماسية

احتواء الآثار السلبية للوقائع التاريخية على الحياة المعاصرة يتطلب جهوداً متعددة الجوانب.

وحول كيفية احتواء الآثار السلبية للوقائع التاريخية وأثرها على الحياة المعاصرة فذلك يتطلب جهوداً متعددة الجوانب، تشمل:

- **وضع مناهج تعليمية شاملة.**
- **تنشيط الحوار المجتمعي الذي من شأنه أنْ يشجع على عمليات المصالحة والمسامحة بين الفئات المجتمعية المتأثرة سلباً بالوقائع التاريخية الذي من شأنه أن يعزز السلام الاجتماعي.**
- **إصدار تشريعات تسهم في تحقيق سياسات العدالة الانتقالية.**
- **دعم البحث العلمي والدراسات الأكاديمية.**
- **تشجيع الإعلام الهادف على التوعية العامة.**
- **التفسير السياقي للوقائع التاريخية، وإطلاق مبادرات مشتركة مع الدول الأخرى لتسليط الضوء على التاريخ المشترك وتجاوز الصراعات القديمة.**

من خلال هذه الجهود المتكاملة يمكن التخفيف من الآثار السلبية للوقائع التاريخية على الحياة المعاصرة وتعزيز التفاهم والتعاون لبناء مستقبل أفضل للجميع

الموقف الثقافي - التـــــاريخ

كيف نجعل «التاريخ» قوة دافعة للأمام؟

د. حسن السعدي

أستاذ التاريخ والآثار بجامعة الإسكندرية - مصر

عندما يواجه المرء من أهل الفكر والاختصاص تساؤلاً غاية فى التعقيد عن كيفية جعل التاريخ قوة دافعة للأمام، عليه أنْ يواجهه بسؤال تقابلي عن ما الذي جعل التاريخ أحياناً قوة "ارتجاعية" –إن جاز التعبير-، بحيث يمكن حال الوقوف على معالم هذه القوة أنْ نصل إلى قوة التاريخ الدافعة للأمام.

والواقع فإنَّ حصر التاريخ في الماضوية بكل مفرداتها يؤدي في المقابل إلى إعاقة الرؤية الاستشرافية التي هي عماد الدفع المستقبلي. ويزيد الطين بلة إذا ما اكتنفت هذه الماضوية حالةٌ من حالات القداسة الأسطورية أو التابوهات السياسية والدينية التى تتحكَّم في موضوعية الرؤية التاريخية أياً ما كانت، لا سيما إذا ما اعتبره البعض بمثابة الإرادة الربانية وأن الإنسان أداتها فى التحقق.

كما تأتي السردية التقريرية لتنتقص من تأويلية السرد، بحيث يصبح الطرح التاريخي في ضوء القراءة الوثائقية حالة من الأرشفة الممنهجة لا تمت للمعرفة التاريخية إلا بالإطار المعلوماتي. و أخيراً فإنَّ التخلي عن دعاوى الأبوة الحضارية والبنوة بالتبعية التى عرفها التاريخ الإنساني

> حصر التاريخ في الماضوية بكل مفرداتها يؤدى فى المقابل إلى إعاقة الرؤية الاستشرافية التي هى عماد الدفع المستقبلي.

منذ الهيمنة الرومانية، وحتى القوى العظمى في العصر الحديث، من شأنه أن يجعل من التاريخ عنصراً محرراً من قيود التبعية حتى لو كانت بصيغة "الدولة الأولى بالرعاية".

أمَّا عن كيفية جعل التاريخ مصدراً من مصادر القوة الناعمة فذلك يتوقف على عدم تناوله كعلم تفاؤلي يقتصر على الأخبار الطيبة – حسبما يرى البعض-، إذْ إنَّ حفظ التعديات لا سيما الجرائم الإنسانية

من تصفية عرقية أو استخدام أسلحة محرمة أو دعاوى التصفية المعنوية قبل الجسدية وغيرها، من شأن توثيقها واستخدامها كأوراق ضغط دبلوماسية أن تكون عنصر قوة في المفاوضات والمعاهدات بما يفضي إلى الاعتذار أو التعويض بأشكاله المختلفة.

> من شأن توثيق التعديات لا سيما الجرائم الإنسانية، أن يكون عنصر قوة في المفاوضات والمعاهدات بما يفضي إلى الاعتذار أو التعويض بأشكاله المختلفة.

بيد أنه في هذا الصدد نجد السياسي العربي لا يهتم بهذا النوع من القوة داخلياً لا سيما حيال المعارضة المشروعة فى العمل السياسى. بحيث باتت مقولة حكم التاريخ بمثابة شعار خالي المضمون، لا سيما في ضوء تزييف الوعي بكتابة تاريخ يتفق ومعطيات مرحلة بعينها أو العكس. وهو ما يفسر ضعف الإقبال على كتابة السير الذاتية للمسؤولين، فضلاً عن تعثر كتابات "التاريخ من أسفل"، فى ضوء الخلط بين التاريخ والسياسة في عالمنا العربي

وإذا ما نظرنا لواقع التاريخ في المؤسسات البحثية والأكاديمية العربية لوجدناه متأثراً بكافة آفات البحث العلمي، بدءاً من ضعف البنية العلمية للأفراد من جانب، وانتهاءً بقضية التمويل لكل مفردات الدراسة. حتى ظهرت بعض الأصوات التى بدأت تنال من القيمة العملية للتاريخ مقارنة بالطب والهندسة، غاضين الطرف عن الطبيعة الخاصة لكل علم، خاصة بعد محاولة ربط التخصصات الأكاديمية أياً ما كانت، بمفهوم سوق العمل على إطلاقه، ومن ثم فإنَّ إعداد مؤرخين

وباحثين في المؤسسات الأكاديمية يتطلّب، في المقام الأول، التركيز على إعلاء قيمة دراسة التاريخ على المستوى المجتمعي، وتذليل كافة العقبات التي تعيق ذلك الهدف.

وتأتي مسألة نجاح قضية خدمة الأهداف الإستراتيجية للدول العربية من خلال مضمون الدراسات التاريخية حال التزام الموضوعية العلمية والاتساق مع البعد الوطني الذي يذكي قيمة المواطنة والانتماء، ويعلي أيضاً من قيمة النقد والتحليل، فضلاً عن الرؤية المستقبلية الاستشرافية التي تستند على مفهومي "التوسم" و "التأريخ التخيلى".

إعداد مؤرخين وباحثين في المؤسسات الأكاديمية يتطلّب التركيز على إعلاء قيمة دراسة التاريخ على المستوى المجتمعي، وتذليل كافة العقبات التي تعيق بلوغ الهدف

ونعني بهذين المفهومين استرجاع الحدث وفق قدراتٍ ذهنية منهجية والالتزام بطرح السؤال حياله بالاستفهام "لم لا؟" وهي توجهات كفيلة بأنْ تجعل من أحداث التاريخ قوة دافعة إيجابية، وتحجيم سلبيات المواجهة للكثير من العقد التاريخية المركبة، فضلاً عن تقديم رؤى استشرافية أو رؤى توافقية تقرب بالتاريخ ما قد تفسده السياسة في حياتنا المعاصرة، أملاً في أجيال أكثر عروبية وأوقع عالمية، ترى في تاريخ الأوطان مسؤولية ذاتية، وفي تاريخ البشرية مسؤولية جمعية

د. حسـن بن علي بن عـون الشـريف

باحث في التاريخ - السعودية

لا شك أنَّ التاريخ يعدُّ من أهـمِّ المعارف والعلوم الإنسانية التي تشكل دافعاً قوياً للأمم حتى تتقدَّم نحو الأمام، وذلك من خلال المضامين المادية والمعنوية التي يحتوي عليها، حيث يمكن فهم كثير من الأحداث المعاصرة من خلال ربط الحاضر بالماضي، فالتاريخ كما يقال يعيد نفسه من خلال الأحداث، والعبرة تؤخذ منه متى عرفنا أسباب الأحداث ومساراتها ونتائجها، والجو السياسي العام الذي ارتبطت به والظروف التي ساعدت على ظهورها، فيكون للأمَّة معرفة بماضيها حتى يمكن لها التعامل مع واقعها والتخطيط لمستقبلها

> إذا عرفت الأمة ماضيها تمكَّنت من التعامل مع واقعها والتخطيط لمستقبلها .

بل إنَّ التاريخ يعدُّ مصدراً للقوة الناعمة التي لا بد من دمجها في الإستراتيجيات الدولية ليُشكل ثقافة التفاهم والحوار للوصول إلى الإقناع والتأثير على الرأي الاجتماعي العام بدون إكراه

ويجدر بالسياسي الاهتمام بالتاريخ مادةً وموضوعاً ويجعله ضمن الأولويات التي يعتمد عليها في اتخاذ القرارات ورافداً من روافدها، حيث أنَّ الملاحظ هو عدم إعطاء التاريخ ما يستحقه من الاهتمام، وهذا راجع إلى إهمال بعض المتخصصين في التاريخ لما يمكن أن نسميه فقه التاريخ بحيث يجب دراسة التاريخ من خلال عرض أحداثه بطريقة يمكن الاستفادة منها مباشرة بخلاف السرد التاريخي القصصي، وذلك بإعمال الفكر في الأحداث التاريخية وربط رواياتها ببعض والتدقيق والتمحيص ومعرفة الأسباب والدوافع للأحداث ومراحلها المختلفة وعرض نتائجها بأسلوب علمي

ومعلوم أنَّ التاريخ لا يخلو من بعض الوقائع السلبية التي تؤثر على الحياة المعاصرة غير أنَّ الدراسات التاريخية الجادَّة هي تلك التي يكون فيها للباحث القدرة على استخدام أدوات النقد للروايات مثل الأخذ و الرد، والإثبات والنفي، كما هو حال بعض الدراسات الحديثة التي نصَّت على تصحيح الأخطاء التاريخية بأسلوب علمي رصين.

> ما أحوجنا إلى أنْ يدرس المتخصصون فقه التاريخ بعيدا عن وتيرة السرد التاريخي.

الموقف الثقافي - التـــــاريـخ

كيف نجعل «التاريخ» قوة دافعة للأمام؟

سيف بن عدي المسكري

باحث في التاريخ – سلطنة عمان

وُصف التاريخ بكونه علماً مستطيلاً أي طال جميع العلوم، فحين الخوض في أي فن لا مجال لتجاوز نشأته وأطواره، وهذا هو التاريخ في أنصع تجلياته، وبتعاضده مع اللغة والدين يشكل جوهر هوية أي أمة من الأمم، لذا يحرص صانعوا المناهج والرؤى والسياسات التعليمية والثقافية على إيلائه أهمية خاصة، وهذا ما نلحظه عند غالب الأمم شرقيها وغربيها، وقوة الدفع لهذا العلم تكمن في مقاربته بمنهجية تشخص جوانب الضعف ومواطن القوة، لتجاوز الأولى وتعزيز الثانية، وجميع ذلك لا يتم دون حرية الابداع والتفكير

> أصبحنا نجد اختلاقاً لكيانات أو لنظم استناداً على مرويات تاريخية مضخمة تكرسها آلة إعلامية وتدعمها الفنون البصرية من الأفلام والرسوم والنحت والتصوير.

والحديث عن كونه مصدراً للقوة الناعمة متشعب، كونه داخل فيما يُعبَّر عنه بصراع السرديات وحروب الذاكرة، حيث لكل طرف روايته التي يسعى لتثبيتها وتعميمها سواء تعلق الأمر بجانب حضاري أم بصراعات معاصرة، فبتنا نجد اختلاقاً لكيانات أو لنظم استناداً على مرويات تاريخية مضخمة، تكرسها آلة إعلامية، وتدعمها الفنون البصرية من الأفلام والرسوم والنحت والتصوير، وعبر ذلك توظف المدونة التاريخية إبرازاً لأمر وطمساً

لآخر. والسياسي العربي في تعاطيه مع التاريخ انتقائي كما هو شأن السياسة في غالب أمرها، بيد أن المطلوب اتكائه على التاريخ ومتخصصيه ليكونوا رافداً في تقييم القضايا ورصد التطورات وصناعة القرار

وواقع التاريخ في الأكاديميا العربية يحتاج لإعادة نظر، بالابتعاد عن اجترار الأحداث والتصورات إلى إعمال المنهجيات الحديثة، فالتاريخ في ماهيته كما عبر عن ذلك ابن خلدون: نظر وتحقيق وليس مجرد أخبار ومرويات، والتماس معه يكون موضوعياً وليس لهدف الافتخار والاعتزاز، والتوسل لذلك عبر الكوادر المدربة والمراكز البحثية والأرشيفات

وحتى نكون منصفين فإنَّ جزءاً لا بأس به متحقق من ذلك في بقاع مختلفة من أرضنا العربية، غير أنّنا نتطلّع للمزيد، فنحن نرى العديد من الباحثين، والمشتغلين بالتاريخ العرب يتصدرون المنابر العلمية في أرقى الجامعات العالمية، فهم يبدعون حين يتحقق المناخ الملائم والداعم، وتتسيد القراءة النقدية والصرامة المنهجية

يبدع المنشغلون بالتاريخ من الباحثين العرب حين يتحقق المناخ الملائم والداعم، وتتسيد القراءة النقدية والصرامة المنهجية.

إنَّ هذا الصندوق الضخم المسمى بالتاريخ مليء بالكثير سلباً وإيجاباً، وما يؤسف له أنْ ييتم التعاطي معه كسلاح لتأجيج الصراعات المعاصرة، عوضاً عن فهم الحاضر وتجاوز مشكلاته، في المقابل هنالك من يعيش في التاريخ ونراه يتنفَّس غبار معاركه غير قادر على تخطيها، ويجترُّ في كل شاردة وواردة أحداثها لكأنه مقيَّد إليها بأغلال لا فكاكَ منها، والتعقُّل يقود للنظر بعين التجرد وفهم اشتراطات التاريخ وملابسات الأحداث، وقراءته عمودياً بمحاورته ومناقشته ونقده.

ونميز هنا بين الذاكرة والتاريخ حيث يذهب المؤرخ الفرنسي بيير نورا لكون الذاكرة تمثل ما تبقى من الماضي في أذهان الناس أو تصورهم لذلك الماضي، ويغلب عليها الشفاهية والانتقائية والاحتفالية، في حين يقوم التاريخ على المنهجية في المقاربة والسعي للتأويل والتفسير بأكبر قدر ممكن من الموضوعية.

الموقف الثقافي - التـــــاريـخ

كيف نجعل «التاريخ» قوة دافعة للأمام؟

د. مروان شحادة

كاتب وباحث - الأردن

تتأثر الهوية الثقافية الجوهرية للفرد بعدة مكونات ساهم في تشكيلها والتعبير عن مواقفها المختلفة من الآخر على مستوى الفرد والجماعة – المجتمع- والدولة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: اللغة، والدين، والتاريخ، حيث يسهم كل مكون في تشكيل الهوية الوطنية والقومية والدينية، بحسب تأثيره على الفرد في تنشئته الاجتماعية والثقافية، والظروف التي عاشها في الماضي القريب، والحاضر

وأحياناً تتشكل هويات فرعية، تكون محور سلوك الأفراد والجماعات في المجتمعات التي تغلب عليها الانتماء للقبيلة أو لأثنية أو طائفة معينة

وبغض النظر عن طبيعة الهوية الثقافية سواءً كانت الجمعية أم الفرعية، فإنها تتأثر بالمكونات الأساسية التي تسهم في بناء شخصية ثقافية واضحة المعالم، تتضح بشكل أكبر لدى فئة المثقفين من النخبة التي تطلع على تجارب الشعوب وتكتسب خبرات من التاريخ البعيد والقريب، تساعد الأفراد والمجتمعات، على تجاوز التحديات والعقبات التي تقف أمام تقدمها وتطورها، وتجنبها حالة الصراع والصدام مع الحضارات الأخرى

الاستفادة من التاريخ القديم لتجارب شعوب حضارة معينة، وطبيعة العادات والتقاليد وسلوك هذه الشعوب في حالتي السلم والحرب، تساعد أي مجتمع أو دولة في اختيار الأسلوب والطريقة المناسبة للتعامل مع هذه الدولة أو تلك في الحاضر والمستقبل.

لذلك؛ ففي تقديري فإنَّ الاستفادة من التاريخ القديم لتجارب شعوب حضارة معينة، وطبيعة العادات والتقاليد وسلوك هذه الشعوب في حالتي السلم والحرب، تساعد أي مجتمع أو دولة في اختيار الأسلوب والطريقة المناسبة للتعامل مع هذه الدولة أو تلك في الحاضر والمستقبل، وأحياناً تساعد في بناء التحالفات والعلاقات الاقتصادية والثقافية وتنميتها وتطويرها والاعتماد على بعضهم البعض في جوانب متعددة، وبخاصة أثناء الاستفادة من الجوانب الإيجابية للتجارب السابقة والابتعاد عن الجوانب السلبية

وعليه؛ يمكن القول بأن الإطلاع على تاريخ الأفراد والجماعات والدول، في الماضي والحاضر، يعتبر قوة دافعة إيجابية تحدد معالم العلاقات فيما بين المجتمعات الانسانية، وتجنبها حالة الصدام والصراع

وإنَّ معرفة مواطن القوة والضعف لأي شعب ودولة بما يتوفر من معلومات تاريخية لسلوك معين، تساعد إلى حد كبير في تحديد القرارات المناسبة الموضوعية خلال التعامل مع تلك الشعوب والدول، لأنَّ من يملك المعلومة يملك القوة الناعمة والصلبة في كثير من الأحيان

ومما لا شك فيه، فإنَّ اهتمام السياسي العربي بموضوع التاريخ على مستوى المحتوى والسلوك، ليس على وتيرة واحدة، ويختلف من شخص لآخر ومن مجتمع لغيره، ومن دولة لأخرى، وربما تحدده طبيعة المكان الذي ارتضاه هذا الشخص أو الدولة ليكون فيه، وأقصد بذلك هل يكون تابعاً وحليفاً استراتيجياً مع جهة ما، أو يكون مستقلاً يمتلك قراره وإرادته السياسية والثقافية، وبخاصة أننا نشهد في عصر العولمة والعلمانية حالة من الاستقطاب الثقافي الذي يمكن وصفه في الوقت الراهن بالاستعمار الثقافي الذي يهدد هويتنا في الحاضر والمستقبل

من يملك المعلومة يملك القوة الناعمة والصلبة في كثير من الأحيان.

لذلك؛ ففي تقديري فإنَّ الاستفادة من التاريخ القديم لتجارب شعوب حضارة معينة، وطبيعة العادات والتقاليد وسلوك هذه الشعوب في حالتي السلم والحرب، تساعد أي مجتمع أو دولة في اختيار الأسلوب والطريقة المناسبة للتعامل مع هذه الدولة أو تلك في الحاضر والمستقبل، وأحياناً تساعد في بناء التحالفات والعلاقات الاقتصادية والثقافية وتنميتها وتطويرها والاعتماد على بعضهم البعض في جوانب متعددة، وبخاصة أثناء الاستفادة من الجوانب الإيجابية للتجارب السابقة والابتعاد عن الجوانب السلبية

وعليه؛ يمكن القول بأن الإطلاع على تاريخ الأفراد والجماعات والدول، في الماضي والحاضر، يعتبر قوة دافعة إيجابية تحدد معالم العلاقات فيما بين المجتمعات الانسانية، وتجنبها حالة الصدام والصراع

وإنَّ معرفة مواطن القوة والضعف لأي شعب ودولة بما يتوفر من معلومات تاريخية لسلوك معين، تساعد إلى حد كبير في تحديد القرارات المناسبة الموضوعية خلال التعامل مع تلك الشعوب والدول، لأنَّ من يملك المعلومة يملك القوة الناعمة والصلبة في كثير من الأحيان

ومما لا شك فيه، فإنَّ اهتمام السياسي العربي بموضوع التاريخ على مستوى المحتوى والسلوك، ليس على وتيرة واحدة، ويختلف من شخص لآخر ومن مجتمع لغيره، ومن دولة لأخرى، وربما تحدده طبيعة المكان الذي ارتضاه هذا الشخص أو الدولة ليكون فيه، وأقصد بذلك هل يكون تابعاً وحليفاً استراتيجياً مع جهة ما، أو يكون مستقلاً يمتلك قراره وإرادته السياسية والثقافية، وبخاصة أننا نشهد في عصر العولمة والعلمانية حالة من الاستقطاب الثقافي الذي يمكن وصفه في الوقت الراهن بالاستعمار الثقافي الذي يهدد هويتنا في الحاضر والمستقبل

من يملك المعلومة يملك القوة الناعمة والصلبة في كثير من الأحيان.

من هنا يتباين اهتمام السياسي العربي بموضوع التاريخ، تبعاً لموقعه الذي اختاره وأصبح التسليم للأمر الواقع القريب هو المحرك الأساس لمخططاته وقراراته، وربما لا نبالغ إذا ما قلنا بأنه لا يكترث بالمستقبل، لأنه يريد أنْ ينجح في إدارة شؤونه على المدى القريب دون منغصات ومشاكل تعصف بموقعه وتهدد كيانه

من الملاحظ أنَّ هناك حالة من العزوف في الجامعات العربية عن دراسة تخصص "التاريخ"، من قبل الشباب العربي، بشكل عام، وربما يؤثر معدَّل مجموع العلامات التي حصَّلها الطالب في الثانوية العامَّة في اللجوء لدراسة هذا التخصص، لعدم حصول الطالب على قبول جامعي في تخصص آخر يرغبه، وهذا نابع عن عدم اهتمام "الدولة" العربية بهذه المادة من حيث تخصيص أرشيف تاريخي للدولة يؤرخ لخطابات رئيس الهرم للدولة، بل يتعداه لتغطية كافة الجوانب الثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية، وغيرها من تلك الجوانب، وما نحن بحاجة إليه اليوم هو إعادة النظر في هذا الجانب وإيلائه أهمية وتوفير الوظائف المناسبة لخريجي هذا التخصص، فحينها قد نساعد في الإقبال على دراسة "التاريخ" القديم والمعاصر، وتأهيل بعض المتفوقين للتخصص في دراسات استشراف المستقبل، للمساهمة في بناء دولة متقدمة.

لا شك، بأنَّ الرواية التاريخية السلبية القديمة، الأحداث السلبية التي عاشتها أي أمة تساهم إلى حد كبير فيمن يلتفون حول أيديولوجيا أو طائفة أو مذهب بعينه، في تشكيل مواقفهم السلبية أيضاً من الآخر، ويعيشون في حالة من عدم الخروج من الماضي وتجاوز تلك الأحداث، بل ربما تكون هذه الأحداث هي محور سلوكهم العنيف مع الآخر، يمكن وصف ذلك بـ" التطرف"، الذي لا يمكن الخروج منه إلا بترك تلك الجوانب السلبية المظلمة، ويقع على عاتق النخبة من قادة الرأي تسليط الضوء على الجوانب الإيجابية، لإيجاد حالة من الوعي لبناء مستقبل واعد لأي أمة

> ضمور قيمة التاريخ راجع إلى عدم اهتمام "الدولة" العربية بهذه المادة، ونحتاج إلى أرشيف تاريخي يؤرخ لخطابات رئيس الهرم للدولة، ويتعداه لتغطية كافة الجوانب الثقافية والدينية والسياسية والاجت

"

د. مروان شحادة

الموقف الثقافي - التـــــاريـخ

كيف نجعل «التاريخ» قوة دافعة للأمام؟

مفلح العدوان

كاتب وباحث - الأردن

ثمّة مقولة متوارثة في أنَّ "من لا تاريخ له، لا حاضر له"، والأمة التي لا تعرف تاريخها لن تحسن صياغة مستقبلها، ذلك أنَّ التاريخ هو الحافز الدافع للإنسان لأن يتقدم، حيث إنَّ الهدف الأسمى من دراسة التاريخ هو أخذ العبرة من الماضي لفهم الحاضر واستشراف المستقبل، وعليه فمن الواجب على الأفراد والمؤسسات امتلاك المعرفة والوعي في التاريخ، وتوظيفه في رسم خريطة القادم من الأيام

ولعلَّ العالم العربي في هذا العصر الموسوم بالعولمة، التي تروّج لمفهوم نهاية عصر الأيدولوجيات أو نهاية التاريخ وصدام الحضارات، هو أحوج ما يكون لتحصين نفسه وتقوية كينونته باستلهام التاريخ، ووعيه، وإعادة قراءته، والإفادة منه، وفق مقولة أرنولد توينبي عن "التحدي والاستجابة"، تلك النظرية التي تركز على تاريخ الجماعات من خلال الثقافة التي أنتجتها، على أساس أنَّ الحضارات العريقة لا تندثر، بل تبقى كامنة، إلى أن تجد من يستفيد منها في بناء نهضة جديدة تقوم على التوازن بين الأصالة التاريخية، والتفاعل مع الحضارات الكونية الجديدة والمتجددة

العالم العربي في عصر العولمة بحاجة لتحصين نفسه وتقوية كينونته باستلهام التاريخ، ووعيه، وإعادة قراءته، والإفادة منه.

وحيث إنَّ الوعي بالتاريخ وقراءته والاتعاظ بما فيه من أحداث وشخصيات، يعتبر أحد أهم القوى الناعمة، ذات البعد الروحي والمعرفي، التي تحرك أفراد المجتمع وتحدد أفعالهم، وتضيف قيمة عليا

لحياتهم، صار لزاماً على الأفراد والمؤسسات استحضار هذا التاريخ، والتقدم به نحو المستقبل، في مواءمة بين الأصالة والمعاصرة، وفق قواعد متفق عليها، في سبيل خدمة المجتمعات والعيش الحر الكريم، والاندماج الإيجابي مع الإنسانية

ومن المهم في الوقت الحاضر دراسة التاريخ، وتطوير مناهجه في المؤسسات التعليمية والمعاهد والجامعات، والانفتاح على الإفادة من توثيق التاريخ الشفوي وتحقيقه، لتقوية وتمكين الذاكرة الوطنية، وتحصين المجتمعات، تعزيزاً لمعاني الانتماء والتضحية، وبناء الثقة الداخلية، والقوى الرادعة، في مواجهة الهجمة العالمية على الهوية العربية، والحواضر الثقافية والتعليمية

وإذا كان الحاضر هو نقطة الانطلاق إمَّا إلى الماضي أو إلى المستقبل، ففي هذه اللحظة الآنية يكون فيها تعانق مع الماضي والمستقبل أيضا، لذا فقد صار لزاماً أن يتم ملء الواقع بما يثرية قيمة

من المهم في الوقت الحاضر دراسة "التاريخ"، وتطوير مناهجه في المؤسسات التعليمية والمعاهد والجامعات، والانفتاح على الإفادة من توثيق التاريخ الشفوي وتحقيقه، لتقوية وتمكين الذاكرة الوطنية.

ومعنى، لتكون الحياة الحاضرة مبدعة في حالة انفتاح على المستقبل، مع الالتفات إلى الماضي/ التاريخ من حيث استحضار التجارب الملهمة الضرورية منه لبناء حياة خلّاقة للدول والمجتمعات والأفراد

وعليه، فإنه وفي هذا السياق، لا تكون قراءة التاريخ دعوة إلى الماضوية والحالة المتحفية، بل تأتي

في سياق شحذ القوى، واستحضار التجربة والوعي الأعمق بالواقع، واستنهاض النموذج الأفضل، استعدادا للمستقبل، حيث يصبح التاريخ هنا محفزاً ومسنداً للحظة الراهنة، لا عبئاً ثقيلاً يسحبنا بسلاسله إلى عصور ماضية نترحم عليها كأنها صناديق مغلقة

تبدو الحاجة ملحة في هذا العصر، أكثر من أي فترة ماضية، لتطوير علم التاريخ عند العرب، والإفادة من وفرة الوثائق، ومناهج توثيق التاريخ الشفوي، وتوسع وسائل الإعلام والنشر والتقنيات الحديثة، كلها عناصر قوة يجب استثمارها في إعادة قراءة التاريخ والإفادة منه، مع ضرورة أن يعي السياسي العربي أهمية هذه المادة التاريخية، لتكون مفتاحاً لاجتراح خريطة طريق، في سبيل صياغة واعية لكثير من المفاهيم السياسية والمجتمعية، كمفاهيم الديمقراطية والعقلانية والمواطنة والتنوع

ينبغي ألا تكون قراءة التاريخ دعوة إلى الماضوية والحالة المتحفية، بل تأتي في سياق شحذ القوى، واستحضار التجربة والوعي الأعمق بالواقع.

والتراث الحضاري وغيرها من مصطلحات العالم الحديث، ولكن وفق رؤية لها خصوصية فيها استفادة من التاريخ العربي وانفتاح على الفضاء الإنساني، وهنا يشكل التاريخ ذخيرة ثرية وقوية بيد السياسي، للتغيير الإيجابي، فيه وعي متماسك بالذات، وحجة ونموذج مقنع، عند التعامل والحوار مع الآخر، كخطوة مهمة لتحقيق نهضة عربية جديدة تعيد للعرب موقعهم على الساحة الإقليمية والعربية

الموقف الثقافي - التـــــاريـخ

كيف نجعل «التاريخ» قوة دافعة للأمام؟

أ.د هند غسَّان أبو الشعر

أديبة وأكاديمية - الأردن

بالنسبة للسؤال الأول، وهو: كيف يمكن أن نجعل من التاريخ قوة دافعة إلى الأمام، ففي رأيي هذا هو سؤال العصر بالنسبة لنا في دول الشرق الأوسط، وهو سؤال منهجي يتحدَّى فكرنا وتطلعاتنا المستقبلية

لقد اعتدنا أن نسمع التهمة الجاهزة بأن التاريخ سببٌ في تخلفنا، وربما يعود هذا إلى منهجية الجيل الذي كتب التاريخ في العصر الحديث بأسلوب تعبوي، في محاولة لبناء حالة مواجهة تقف أمام التسلط الغربي الاستعماري والفكري معاً، ولم يستطع الصمود أمام تحديات العالم وتقنياته وأطماعه

> علينا أنْ نعرف يقيناً أنَّ منطقة الشرق الأوسط يحركها المشروع الصهيوني القائم على محاولة بناء تاريخ لجماعات غريبة على أرضنا.

وباعتباري أستاذة للتاريخ أَدْرُسُه وأُدَرِّسُه أرى أنَّ علينا أنْ ننظر إلى التاريخ باعتباره العلم الذي يحفز الأمة، ويعطي صاحب القرار المعرفة بالأرض والأحداث التي يديرها، وهذه المعرفة هي القوة الدافعة والمحفزة، لا نريد تاريخاً يشعرنا بالشوفينية ولا بالدونية، لكن علينا أنْ نعرف يقيناً أنَّ منطقة الشرق الأوسط يحركها المشروع الصهيوني القائم على محاولة بناء تاريخ لجماعات غريبة على أرضنا، إذاً علينا أنْ نواجه هذا الصراع في منطقتنا والذي يقوده المشروع الصهيوني القائم على تزوير التاريخ، وهذا ليس خيارنا، علينا أنْ نعطي لهذا العلم موقعه الرصين في خارطتنا المعرفية، وبهذا نجعله القوة الدافعة لأجيالنا القادمة

وحول الكيفية التي نجعل من التاريخ مصدراً من مصادر القوة الناعمة، فأرى بأنه إذا كانت الذاكرة الجمعية هي التي توحدنا، فإنَّ كيفية صناعة هذه الذاكرة وتدوينها وحفظها، هي الأرضية الصلبة التي نبدأ بها. كذلك فإن فيعد الاهتمام بالمراكز التوثيقية ونشر الثقافة التي تحترم التوثيق وتحافظ على مصادره، من الأمور التي يجب علينا أن نرسخها بين كل القطاعات، وأريد أنْ أذكر هنا بأننا في الوطن العربي نقوم بإحراق وتمزيق أرشيف المؤسسات بعد مرور زمن عليه قد يصل إلى خمسين عاماً، والآن ونحن في عز انتشار التقنيات التي تحفظ كل شيء بلمحة بصر وبكبسة زر، أظن أنَّ بناء الذاكرة الجمعية بطريقة ذكية تناسب رؤية الجيل المستقبلي تجعل من التاريخ هو القوة الناعمة، دون أن نفرض على هذا الجيل فكرنا القسري، فهم يمثلون حالة جديدة، ولا يمكننا أن نقولبهم كما نريد نحن. علينا أن نحرص على حفظ ذاكراتنا الجمعية وتسليمهم إياها، لا نريد أن نكون أوصياء، علينا أنْ نحترم نظرتهم المستقبلية

وحول ما إذا كان السياسي العربي يهتم بموضوع التاريخ مادة وموضوعا؟ وإن لم، فلماذا؟ فحوابي هو أنني لا أعمم، ولكني مع الأسف لا أجد أنَّ أصحاب القرار في العالم العربي يقرؤون ما نكتب من تاريخ أمتنا بطريقة علمية ومنهجية، ولا أدري كيف يتم صنع القرار بعيداً عن المعرفة بالأرض ومن عليها، ذلك أنَّ صنع القرار السياسي يجب أن يبنى على معرفة، وأنا أحس أننا جزر معزولة، السياسي لا يعرف تاريخه، والمؤرخ لا يسهم في تقديم المعرفة للسياسي

> أشعر بأننا نعيش في جزر معزولة، فالسياسي لا يعرف تاريخه، والمؤرخ لا يسهم في تقديم المعرفة للسياسي.

أما باالنسبة لتقييمي لموقع التاريخ كتخصص أكاديمي في الجامعات العربية، وكيف يمكن تطويره بما يخدم الأهداف والسياسات الاستراتيجية للدول العربية؟ فهذا سؤال يقلقني شخصياً، لأني كنت في قلب العمل الأكاديمي، وشغلت منصب رئيسة لقسم التاريخ في جامعة آل البيت، ثم كنت عميدة للآداب والعلوم، وأيضاً عميدة للآداب والعلوم الإنسانية، وشغلت منصب مديرة مكتبة الجامعة الأردنية، وكلها مواقع تصنع القرار، أو هكذا أفهمها، ومن المؤسف أن الطلبة الذين تقبلهم الجامعات في قسم التاريخ هم الأدنى معدلاً، وهم عادة يدرسون هذه المادة من دون اختيار، فماذا نتوقع منهم؟ هم يحملون في النتيجة شهادات بأنهم أنهوا الساعات المطلوبة، وغالبيتهم يذهبون للعمل بالتعليم، وهنا الطامة الكبرى، لأنهم يحفظون معلومات ويكررونها. هذا ما نفعله في جامعاتنا ومدارسنا.

كتبت مقالات كثيرة ونشرتها في الصحافة الأردنية أعترض فيها على هذه السياسة، وكنت عضواً في مجلس التعليم العالي ورفعت صوتي أنبه لهذا الواقع، ولا شيء تغير لا هنا ولا في أي جزء من وطننا العربي المشرقي والمغربي، وما لم نعد الاعتبار لهذا العلم، وما لم نتعامل مع هذا التخصص بكيفية واعية، سيظل عبئاً علينا

لقد كان أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الكريم غرايبة يقول لنا إنَّ التاريخ "مادة خطرة، أخطر من قنبلة هيروشيما، لأنَّ القنبلة تركت أثرها في جيلين أو أكثر، أمَّا التاريخ فأثره في الشعوب لا ينتهي.. إنه المسؤول عن كل الحروب والمصائب إن كتبناه بطريقة شوفينية"، ولا أضيف أكثر.

علينا أن نعود إلى الروايات وأصولها وإلى أهواء الرواة، ونعيد دراسة الحدث بناءً على هذه المنهجية السليمة، وبهذا نصل إلى إعادة كتابة التاريخ بوعي وفهم.

أمَّا بالنسبة لمسألة إلى أي حد يمكن احتواء بعض الآثار السلبية للوقائع التاريخية على الحياة المعاصرة؟ فهذا أيضاً من الأسئلة الصعبة التي لا يمكن الإجابة عليها بكلمات مقننة، لأنني من الذين درسوا في رسالة الماجستير أحداثاً كبيرة في تاريخنا، ومنها (معركة صفين) مثلاً، والحرب بين "أهل الشام" و"أهل العراق"، وهي من الوقائع التاريخية التي أنتجت أحداثاً سلبية، فكيف نقدمها لطلبتنا؟

أعتقد أنَّ الحلّ بسيط ومنهجي، فقط علينا أن نعود إلى الروايات وأصولها وإلى أهواء الرواة، ونعيد دراسة الحدث بناءً على هذه المنهجية السليمة، وبهذا نصل إلى إعادة كتابة التاريخ بوعي وفهم، علينا أن نعيد كتابة هذه الأحداث السلبية بروح العلم والمنهج، تاريخنا يحتاج لعقول مبنية بناء غير مُسيَّر، نريد عقولاً تنويرية واعية تقود خارطة الفكر وتضع علم التاريخ في موضعه اللائق

الموقف الثقافي - التـــــاريـخ

كيف نجعل «التاريخ» قوة دافعة للأمام؟

خلاصة:

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج الآتية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء الثقافة من مقترحات وسياسات لمعالجة وضع التاريخ في الدول العربية سواءً بوصفه تخصصاً أكاديمياً أو بوصفه عنصراً أساسياً في المقاربات الاستراتيجية للدول، وبالتالي تعزيز دوره في بناء القوة الناعمة:

أولاً: إبراز الجوانب المميزة للثقافة والتراث التاريخي التي من الممكن أن تعزز من صورة الدول العربية في الساحة الدولية؛ بالإضافة إلى نشر المعرفة والوعي التاريخي وتوفير موارد تعليمية ذات جودة عالية، مما يعزز من التعاون الثقافي والأكاديمي الدولي؛ مع الاستفادة من قصص النجاح والشخصيات التاريخية الملهمة وإنتاج أفلام وثائقية في تحسين صورة الدولة وتعزيز قوتها الناعمة

ثانياً: تنظيم الفعاليات والأيام الثقافية والمعارض التاريخية التي ستسهم في بناء علاقات قائمة على التفاهم والاحترام المتبادل

ثالثاً: تضمين تاريخ المنطقة العربية بكافه جوانبه، وتوسيع نطاقه ليشمل التاريخ العالمي، وتعزيز البحث العلمي والشراكات الأكاديمية ومنح الزمالة، وربط التاريخ بالسياسات الاستراتيجية والاستفادة منه في صنع السياسات

رابعاً: احتواء الآثار السلبية للوقائع التاريخية على الحياة المعاصرة من خلال مقاربة متعددة الجوانب تشمل التعليم والحوار المجتمعي الذي من شأنه أنْ يشجع على عمليات المصالحة والمسامحة بين الفئات المجتمعية المتأثرة سلباً بالوقائع التاريخية، إضافة إلى السياسات الحكومية، ودعم البحث العلمي والدراسات الأكاديمية، وتشجيع الإعلام الهادف على التوعية العامة، وتعزيز التفسير السياقي للوقائع التاريخية، وإطلاق مبادرات مشتركة مع الدول الأخرى لتسليط الضوء على التاريخ المشترك وتجاوز الصراعات القديمة

خامساً: إيلاء عناية أكبر بـ"فقه التاريخ"، أي دراسة التاريخ من خلال عرض أحداثه بطريقة يمكن الاستفادة منها مباشرة، بخلاف السرد التاريخي القصصي، مع التركيز على إعمال الفكر في الأحداث التاريخية وربط رواياتها ببعض والتدقيق والتمحيص ومعرفة الأسباب والدوافع للأحداث ومراحلها المختلفة وعرض نتائجها بأسلوب علمي

سادساً: تجنب التعاطي مع التاريخ بوصفه سلاحاً لتأجيج الصراعات المعاصرة، عوضاً عن فهم الحاضر وتجاوز مشكلاته، والدفع باتجاه دراسة "التاريخ" بعين التجرد وفهم اشتراطات التاريخ وملابسات الأحداث، وقراءته عمودياً بمحاورته ومناقشته ونقده.

سابعاً: إعادة النظر في التاريخ بوصفه تخصصاً أكاديمياً، وإيلائه أهمية أكبر وتوفير الوظائف المناسبة لخريجي هذا التخصص، لتعزيز الإقبال على دراسة "التاريخ" القديم والمعاصر، وتأهيل بعض المتفوقين للتخصص في دراسات استشراف المستقبل، للإسهام في بناء دول متقدمة

ثامناً: تطوير مناهج التاريخ في المؤسسات التعليمية والمعاهد والجامعات، والانفتاح على الإفادة من توثيق التاريخ الشفوي وتحقيقه، لتقوية وتمكين الذاكرة الوطنية، وتحصين المجتمعات، وبناء الثقة الداخلية، والقوى الرادعة، في مواجهة الهجمة العالمية على الهوية العربية، وحواضرها الثقافية

تاسعاً: إيلاء عناية خاصة بالمراكز التوثيقية، ونشر ثقافة احترام التوثيق والمحافظة على مصادره، والأرشفة، مع الاستعانة بالتقنية الحديثة، وذلك لحفظ ذاكرتنا الجمعية في العالم العربي، ونقلها إلى الأجيال المستقبلية

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الموقف الثقافي

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

(الأندية الادبية، اللغة العربية، الفنون التشكيلية، التعليم، المسرح، السينما، معارض الكتاب، التاريخ، الاعلام، الثقافة والمثقف)

الموقف الثقافي

هل أدى الإعلام دوره في تسويق المنجز الوطني؟

العدد السابع - الإعلام

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
اغسطس - 2024

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل نصف شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية.

إخلاء مسؤولية:
الأراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد تمثل الكتاب والمثقفين المشاركين ولا ينبغي أن تنسب إلى مركز الخليج للأبحاث.

المدخل

يعدُّ الإعلام أحد محاور القوة الناعمة، وأداة مهمة للتعريف بالمنجز الوطني سواء كان ثقافيا، أو سياسيا، أو اقتصاديا، علاوة على الجوانب العلمية والسلوك الاجتماعي، فبدون إعلام فعَّال ومبادر، سيبقى المنتج الوطني، بمختلف أشكاله، إمَّا مجهولاً أو محصوراً في دوائر معينة، لا تتجاوز المهتمين والمتخصصين في الموضاعات والقضايا التي يلامسها ذلك المنتج.

ولا شك أنَّ هذا الدورَ المناطَ بالإعلام يتطلَّبُ وجود إعلام فعَّال ومؤهل معرفياً لاستيعاب المنجز الوطني وتقديمه بصورة احترافية ومهنية. وإلى جانب التأهيل المعرفي، فإنَّ القيام بهذا الدور أيضاً على الوجه الصحيح يتطلب وجود إعلام مؤسساتي بتقاليد راسخة وقدرة على العمل من منظور شمولي واستراتيجي وعلى أكثر من مستوى وقضية وبأهداف بعيدة المدى تتجاوز الاجتهادات الفردية

وهذا الدور المناط بالإعلام في نقل صورة أمينة وصادقة عن المنجزات الوطنية يعد أكثر أهمية حالياً من أي وقت مضى، وذلك في ظل رؤية المملكة 2030 ببرامجها ومبادراتها التي أصبحت محل اهتمام الجمهور الإقليمي والعالمي.

ورغبة من البرنامج الثقافي والإعلامي في مركز الخليج للأبحاث في استطلاع رأي النخب الثقافية والإعلامية تجاه هذه القضية، والخروج بمقترحات لتعزيز فاعلية الإعلام الوطني في هذا المجال، فقد وجهت الأسئلة الآتية إلى عدد من خبراء الإعلام والثقافة:

- **هل قام الإعلام بدوره الواجب في التعريف وتسويق المنجز الوطني السعودي بشكل عام في الوقت الراهن؟ وما ملامح ذلك في حال الإيجاب أو النفي؟**
- **كيف تنظر إلى ضمور المؤسسات الصحفية وتراجعها عن دورها في الوقت الراهن؟ وما السبيل لتفادي ذلك حاضرا ومستقبلا؟**
- **هل تستطيع منصات التواصل المجتمعي القيام بدور المؤسسات الإعلامية؟**
- **كيف تنظر إلى مستوى الإعلام الثقافي في المملكة؟ وهل عكس الإعلام واقع المنجز الثقافي بوجه خاص؟ وما أبرز التحديات التي يواجهها؟**

وفيما يلي نورد إجابات هؤلاء المثقفين والخبراء مرتبة أبجدياً:

عبدالإله القحطاني

صحافي

بالنسبة للسؤال المتعلق بقيام الإعلام بدوره الواجب في التعريف وتسويق المنجز الوطني السعودي بشكل عام في الوقت الراهن؟ وما ملامح ذلك؟ أعتقد أنَّ الإعلام السعودي طوال السنوات الماضية كان رافداً مهماً في التعريف بالمنجز الوطني ومحاولة تسويقه ومتابعة أبعاد المشاريع وآثارها، ناقلاً صوت المواطن للمسؤول والعكس كذلك، لكن التحدي الذي يواجهه الإعلام هو في تحقيق الأثر، حيث إنَّ تأثير استعراض المنجزات الوطنية في الإعلام المحلي ضعيف وغير مؤثر بالمقارنة مثلاً مع أي قنوات وصول للجمهور أخرى مثل الإعلام الدولي ومواقع التواصل الاجتماعية

تأثير استعراض المنجزات الوطنية في الإعلام المحلي ضعيف وغير مؤثر بالمقارنة مثلاً مع أي قنوات وصول للجمهور أخرى مثل الإعلام الدولي ومواقع التواصل الاجتماعية

ويأتي في طليعة أسباب هذا التأثير الضعيف برأيي، تراجع مستوى الموثوقية لدى المتابع لبعض وسائل الإعلام المحلية لاعتيادها على نمط واحد من المحتوى الموجَّه والمباشر، بل وفي كثير من الأحيان الاعتماد على البيانات الرسمية التي ترد من الجهات الحكومية ونشرها دون متابعة صحفية وعقد مقارنة للأرقام والحقائق وتقريب المعلومة للمشاهد، ولأن المحتوى مباشر جداً ولا ينشر بقوالب صحفية ذكية، فهو لن يخرج عن إطار منجزات الجهات دون وضع موقف متوازن للحديث عن التحديات التي واجهت هذا المنجز حتى تم.

وهناك سبب آخر جوهري وهو غياب المسؤول الرسمي كثيراً عند الحديث عن المنجز الوطني؛ والحقيقة أنَّ الجمهور لديه قابلية أكثر للاستماع إلى التصريحات الشفافة من المسؤولين عن المنجزات والتحديات والاستماع لكل الأسئلة والإجابة عليها، ولذلك كان توجيه سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان

منذ سنوات للوزراء والمسؤولين بضرورة عقد المؤتمرات الصحفية دورياً لمناقشة مستجدات أعمال الحكومة، وهذا يعزز نهج التواصل الحكومي الفعال بين المسؤول والمواطن

من المحتوى الموجَّه والمباشر.

وفيما يتعلق بقدرة منصات التواصل المجتمعي على القيام بدور المؤسسات الإعلامية، أعتقد أنَّ الصحافة هي الصحافة، لا تتبدل مهما كانت قنوات البث والنشر، سواءً كانت جريدة ورقية أو موقع الكتروني أو حساب في منصة تواصل اجتماعي، والعمل الصحافي اليوم أصبح رشيقاً لا يتطلب وجود مؤسسات ضخمة تدير العمل الصحفي اليومي، فلدينا صحفيون مستقلون يقومون بعمل صحفي استقصائي مميز غير موجود في صحافتنا المحلية بأكملها

لم يعد تحدي المؤسسات الإعلامية اليوم متمثلاً في تجاوز خسارة السبق الصحفي مع وجود منصات التواصل المجتمعي، وإنما يتمثل التحدي في قدرتها على المتابعات لما وراء الأخبار من كواليس وتصريحات والإجابة على الاستفهامات وتقديم تقارير صحفية وتحقيقات وكذلك إعطاء مجال لكتاب الرأي

> يأتي في طليعة أسباب التأثير الضعيف للإعلام تراجع مستوى الموثوقية لدى المتابع لبعض وسائل الإعلام المحلية لاعتيادها على نمط واحد

لكن يجب ألا نغفل أنَّ المؤسسات الإعلامية اليوم تتمتع بدرجة عالية من الموثوقية والاحترام لدى الجمهور أكثر من حسابات منصات التواصل المجتمعي ومشاهيرها خصوصاً عند الخبر الصحفي، ولذلك حين تحصل الأحداث المهمة، يعود الناس إلى منصاتهم التقليدية للحصول على الخبر الموثوق مثل ما حصل خلال فترة كورونا على سبيل المثال، إذْ تم تقديم المعلومة الإعلامية بالطريقة التقليدية البحتة عبر مؤتمر صحفي يومي وبمتابعة ميدانية للمؤسسات الإعلامية من صحف وقنوات بعيداً عن الحسابات المليونية للمؤثرين مثلاً

وعن مستوى الإعلام الثقافي في المملكة وهل عكس هذا الإعلام واقع المنجز الثقافي بوجه خاص وأبرز التحديات التي يواجهها؟ ففي رأيي فإنَّ الإعلام الثقافي مرَّ بمراحل مختلفة ونجاحه كان نسبياً بحسب كل وسيلة إعلام بل وبحسب كل صحافي مهتم بالقسم الثقافي، ولكن بدون شك فإنَّ المنجز الثقافي السعودي بحالة أفضل صحياً من الإعلام الثقافي وحتى الآن لم يتم عكس المنجز الثقافي بما يستحقه، وأعتقد أنَّ أمامنا فرصاً ممتازة جداً مع اهتمام وزارة الثقافة بتقديم منصات ثقافية إعلامية مختلفة مثل قناة "الثقافية"، وأعتقد أنَّ التحدي في قدرتها على تقريب الثقافة للناس، وكذلك ربط الناس بالمنجزات الثقافية باعتبارها ممثلاً لجانب مهم من هويتنا كسعوديين

> لم يعد تحدي المؤسسات الإعلامية اليوم متمثلاً في تجاوز خسارة السبق الصحفي مع وجود منصات التواصل المجتمعي، وإنما يتمثل التحدي في قدرتها على المتابعات لما وراء الأخبار من كواليس وتصريحات وتقديم تقارير صحفية وتحقيقات وكذلك إعطاء مجال لكتاب الرأي.

الموقف الثقافي - الإعـــــلام

هل أدى الإعلام دوره في تسويق المنجز الوطني؟

عبدالعزيز بن فهد العيد

المشرف العام على القناة الثقافية السعودية وكبير مذيعين سابقاً

أظن أنَّ الإعلام لا يزال يحاول الحديث عن المنجز الوطني، ومواكبة التغيرات من خلال رؤية 2030 وبرامجها المتجددة كل يوم، لكن ملاحقته تحتاج إلى تركيز أقوى من خلال كُتَّاب محتوى مختصين في كل حقل، ومتابعة دقيقة لكل ما يستجدُّ من برامج، وتحديد الجمهور المستهدف في الداخل السعودي وخارجه

والإعلام نفسه يحتاج إلى أنْ يعرض نفسه للتقييم الشفاف من قبل الجمهور بشكل عام، من خلال استطلاعات رأي موثوقة، وللعاملين في الإعلام بشكل خاص، وأنْ يرى صورته المتشكلة، ومدى اقترابها أو ابتعادها عن الحديث عن المنجز الوطني وتسويقه للجمهورين المحلي والخارجي

> يحتاج الإعلام إلى خطة إستراتيجية محكمة تقوم على مؤشرات أداء وتُقسَّم إلى مراحل زمنية معينة، ويتم تقييمها من قبل أشخاص أكفاء لدعم المسار أو تعديله.

وأحسب أنَّ الأمر يحتاج إلى خطة إستراتيجية محكمة تقوم على مؤشرات أداء وتقسَّم إلى مراحل زمنية معينة، ويتم تقييمها من قبل أشخاص أكفاء لدعم المسار أو تعديله. والجهود القائمة حالياً، مبنية على وعي القائمين على الأجهزة الإعلامية بحسب خبرتهم وحسهم الإعلامي فقط، فالصحف الورقية تقريباً كلها تحتضر بنسب متفاوتة، ولم تسعفها حتى مواقعها الإلكترونية التي تجتهد في تحديثها ومسايرتها لإيقاع الخبر السريع وآلية نشره في تفادي الخروج من دائرة اهتمام القارئ أو المتابع عموماً

أمَّا بالنسبةً للإذاعات الحكومية فهي تجتهد في الحديث عن المنجز الوطني وتتابعه خبرياً وتحليلياً، وأخصُّ بالذكر إذاعة الإخبارية التي أراها متقدمة في هذا الشأن، إلى جانب شقيقاتها في الشق

الحكومي التي تشتغل كذلك بنسب أقل. أمَّا التلفزيونات الحكومية، فتتصدرها بلاشك قناة "الإخبارية" التي لا تكاد نشراتها أو برامجها تخلو من الحديث عن المنجز الوطني في شتى الحقول

في القنوات الخاصة الإذاعية والتلفزيونية، يحتل المنجز الوطني حيزاً جيداً في القنوات المتخصصة في الرياضة والاقتصاد بشكل خاص، ويضعف في القنوات الأخرى ذات الصبغة الترفيهية

يحتل المنجز الوطني حيزاً جيداً في القنوات المتخصصة في الرياضة والاقتصاد بشكل خاص، ويضعف في القنوات الأخرى ذات الصبغة الترفيهية.

فيما يتعلّق بالمؤسسات الصحفية فهي تحتضر، كما قلت، وفي طريقها للزوال، إذا لم تتدخل وزارة الإعلام بشكل مباشر لـ:

- **تقديم رؤية جديدة لمجالس إداراتها، تتضمن تجديد دمائها بوجوه شابة، وتغييراً في آلية عملها.**
- **هيكلة نظامها بشكل يضمن المنافسة الشريفة في دخول المجالس، وإلزامها برؤية إستراتيجية لكيفية عملها في المستقبل.**
- **على ضوء هذه الرؤية الإستراتيجية، تُعقَد جمعيةٌ عمومية، ويدخل رأسمال جديد، يكون مساهماً في عملها من جديد، ثم في مرحلة لاحقة، يمكن تهيئتها لدخول سوق الأسهم في الشق الإعلامي.**

هذه الخطوات ضرورية ومهمة جداً، لأنه لايمكن أن أتصور وطني دون صحافة وطنية متقدمة ومتطورة تلبي متطلبات العصر بآليات حديثة، وتشبع اهتمامات القارئ المحلي والعربي

بالنسبة لوسائل التواصل الاجتماعي، أعتقد أنَّها لا يمكن أنْ تقوم بدور المؤسسات الإعلامية، لأنها خبريةٌ في الأساس وتعتمد آلية الاختصار، ولاتشبع نهم القارىء في الصيغ المقالية، أو التحقيقات، أو التغطيات الموسَّعة للأحداث المحلية والعربية والدولية

ومع ذلك فقد أصبحت وسائل التواصل واقعاً الآن في ظل منطق "عصر السرعة" وتفضيل الجمهور العام للاختصار، وهذا ما جعل متابعة الناس خبرية فقط، فلم يعودوا يقرؤون الأدبيات العميقة في اللغة والفلسفة، التي كانت تزخر بها الصحف الورقية سابقاً، وما توفره المقالات المتخصصة والملاحق الأدبية والثقافية والاقتصادية وغيرها

أمَّا الإعلام الثقافي، فيقع على عاتقه دورٌ كبيرٌ في متابعة النشاط الثقافي إخبارياً وتحليلياً في الصحافة الورقية والإلكترونية، وكذلك في المحطات الإذاعية والتلفزيونية الحكومية والخاصة

وقد كانت الصحف والمجلات الورقية، في فترة ازدهارها السابقة، تقوم بدور كبير، عبر صفحاتها وملاحقها، في رفد المنجز الثقافي وواقع حاله، بنسب متفاوتة في الجودة. ولأنَّ الصحافة الورقية لم تتطور تطوراً يتناسب مع سرعة المتغيرات، فقد خبت تغطياتُها.

أمَّا بالنسبة للإذاعات والتلفزيونات فهي تحرص على طغيان المادة الترفيهية، جلباً للإعلانات، واستجابةً لمتطلبات السوق، ولأنَّ خططها في الأساس لاتعتمد الثقافة ركناً في محتوياتها، فلا إنجاز لها في هذا السياق. وبالتالي، بقي لدينا "الثقافية"، القناة التلفزيونية التي بدأت بثها قبل عام، وهي تابعة لمجموعة الإم بي سي، بدعم من وزارة الثقافة. وقد اجتهدت القناة في صنع برامج ومسابقات ثقافية بجوائز مليونية، ولكنها

لا يمكن لوسائل التواصل الاجتماعي أنْ تقوم بدور المؤسسات الإعلامية، لأنها خبريةٌ في الأساس وتعتمد الاختصار، ولاتشبع نهم القاريء في الصيغ المقالية، أو التحقيقات، أو التغطيات الموسَّعة للأحداث المحلية والدولية.

لم تنجح، حتى الآن، في صنع قاعدة شعبية عريضة، وأعتقد أنَّ من الواجب على مسيري برامجها مراجعة الخطط، وإعادة النظر في توجهها وأساليب تغطياتها للأحداث والفعاليات الثقافية السعودية، بشكل يجعلها الاختيار الأنسب للوسط الثقافي والمثقفين والجمهور العربي

اجتهدت القناة في صنع برامج ومسابقات ثقافية بجوائز مليونية، ولكنها لم تنجح، حتى الآن، وأعتقد من الواجب على مسيري برامج قناة "الثقافية" مراجعة الخطط، وإعادة النظر في توجهها وأساليب تغطياتها للأحداث والفعاليات الثقافية السعودية.

علي القاسم

مدير إذاعة جدة

من المعلوم أنَّ الإعلام هو وعاءُ الثقافة الناقل لها إلى أوسع شريحة جماهيرية، وبما أنَّ المملكة العربية السعودية شهدت في السنوات الأخيرة حراكاً كبيراً وإنجازات ضخمة على كافة الصعد الاقتصادية والفنية والعلمية والثقافية والرياضية، فإنَّ من المشروع السؤال عن دور وسائل الإعلام السعودية في تسويق هذه الإنجازات وإبراز ذلك الحراك.

هذا التساؤل بديهي لأنَّ وسائل الإعلام تندرج تحت مفهوم القوة الناعمة، نظراً لدورها الحيوي في توجيه الرأي العام وتشكيل الوعي الوطني، ورسم الصورة الذهنية، لذلك فإنَّ من الضروري أن تقوم هذه الوسائل بأداء دورها بشكل محترف ومهني، وأن تكون مسؤولة في نقل الأخبار والإنجازات بدقة ووضوح، دون تحريف أو تزييف للحقائق

واذا ما أردنا الإجابة عن هذه الأسئلة، و تسليط الضوء على مواكبة الإعلام السعودي للحراك الكبير الذي تشهده الجغرافيا السعودية تحت مظلة رؤيتها التنموية المعروفة برؤية 2030، فإنَّ المراقب يمكنه الجزم بوجود مواكبة إعلامية، والقول، في الوقت نفسه، إنَّ التسويق غائب أو في حدوده الدنيا!

يمكن التأكيد على وجود حراك تشهده الساحة الإعلامية السعودية التي تأثرت كغيرها من المجالات والساحات بتفاعلات رؤية 2030

بداية يمكن التأكيد على وجود حراك تشهده الساحة الإعلامية السعودية التي تأثرت كغيرها من المجالات والساحات بتفاعلات رؤية 2030، وهنا يمكننا الحديث عن مستويين من التفاعل:

المستوى الأول: على صعيد البنى التشريعية والتخطيط الإستراتيجي، ويمكن رصد مؤشرات إيجابية من شأنها تطوير الإعلام وتهيئة بيئة العمل فيه ليواكب النهضة الحالية التي تعيشها المملكة، ولِنقول للعالم إنَّ لدينا قصةً تستحق أن تُروى

وعلى هذا المسار تبرز الإستراتيجية التي أطلقتها وزارة الإعلام، والتي يُرَادُ لها أن تكون بمثابة خارطة طريق نحو إعلام المستقبل، وأن تسهم في تعزيز القطاع الإعلامي، ورفع الجاذبية الاستثمارية، وتعزيز كفاءة الكوادر الوطنية، والعمل على تحديد التوجه الإستراتيجي الشامل لمنظومة الإعلام في المملكة، وتحسين حوكمة وكفاءة قطاع الإعلام

دفع الحراك الحكومي، عبر المؤتمرات والفعاليات، وسائل الإعلام الحكومية التقليدية إلى التفاعل معه من خلال تغيير الأجندة الخبرية، حيث أصبح الشأنُ المحلي يشكل ما نسبته 95٪ من نسبة الأخبار التي تُعْرَض على شاشة القنوات التابعة لهيئة الإذاعة والتلفزيون

وتعتمد هذه الإستراتيجية على ثلاث ركائز وهي:

- **تمكين هيئة الإذاعة والتلفزيون من النمو وتعزيز تنافسية الأعمال، وتطوير الكوادر والمواهب الإعلامية، إضافة إلى صناعة محتوى متميز يصل إلى المنصات الرقمية العالمية، ويستهدف تعزيز الصورة الذهنية للمملكة.**
- **تتمثل الركيزة الثانية في زيادة فاعلية وكالة الأنباء السعودية (واس) عبر تطوير شبكتها ومكاتبها ومراسليها حول العالم، وتقديم محتوى إعلامي يتواءم مع تطلعات الجمهور والاتجاهات الحديثة في صناعة الإعلام.**
- **تتمثل الركيزة الثالثة في «واحة الإعلام»، التي تنظمها وزارة الإعلام بالتزامن مع استضافة المملكة ومشاركتها في القمم والمناسبات الكبرى.**

المستوى الثاني من مستويات التفاعل الإعلامي مع رؤية 2030 وإنجازاتها الكبيرة، يكمن في الجانب المهني، وهنا سنتوقف عند مسارين، يتمثل الأول في المواكبة الخبرية لهذا الحراك، وهذا يتضح من خلال نقل الفعاليات والمؤتمرات التي تعقدها الجهات الحكومية وغير الحكومية

وقد دفع هذا الحراك الحكومي وسائل الإعلام الحكومية التقليدية إلى التفاعل معه من خلال تغيير الأجندة الخبرية، فقد أصبح الشأنُ المحلي يشكل ما نسبته 95٪ من نسبة الأخبار التي تعرض على شاشة القنوات التابعة لهيئة الإذاعة والتلفزيون السعودية، وتحديداً قناة الإخبارية التي شهدت تطوراً ملموساً على صعيد المواكبة الإخبارية، حيث بات مراسلوها يغطون جميع مناطق المملكة بمهنية عالية على مستوى نقل العواجل أو صناعة التقارير الإخبارية.

إعداد مؤرخين وباحثين في المؤسسات الأكاديمية يتطلَّب التركيز على إعلاء قيمة دراسة التاريخ على المستوى المجتمعي، وتذليل كافة العقبات التي تعيق بلوغ الهدف

وفي إطار مواكبة الحراك الذي يشهده القطاع الاقتصادي، وتحديداً على صعيد المؤتمرات والمعارض والمحاضرات، أطلقت الهيئة قناة «السعودية الآن»، التي تقوم بنقل أهم المؤتمرات والمعارض التي تقام في المملكة. وهنا تجدر الإشارة إلى أنَّ المملكة تشهد تنظيم أكثر من 4 آلاف فعالية في العام

وفي اعتقادي الشخصي، فإنَّ مسارَ المواكبة الإخبارية يُعدُّ لحظياً ويزول أثره بسرعة، ولا يثري الجانب المهني عند العاملين في الوسيلة الإعلامية، وهذا يقودني إلى المسار الثاني المتمثل في «المواكبة الاستقصائية» للمنجز الوطني، وهنا يمكن القول إنَّ حضور الاعلام الرسمي على مسار هذه المواكبة يعيش غياباً شبه تام، ويعكس ضعفاً مهنياً يعاني منه الإعلام السعودي بمختلف أنواعه التقليدي والرقمي وبمختلف مستوياته الرسمية وغير الرسمية

ونتوقف قليلاً عند مسألة غياب مفهوم الصحافة الاستقصائية، إذْ أجزم أنَّ هذا الغياب وعدم قدرة الإعلام السعودي حتى اللحظة على الانتقال من مهمة نقل الخبر إلى صناعة الخبر، كل ذلك عجَّل بضمور المؤسسات الصحفية السعودية التي اعتمدت طيلة تاريخها على نقل الخبر ومواكبته عبر موظفي العلاقات العامة في الوزارات والمؤسسات الحكومية.

وإذا أردنا توسيع دائرة الحديث عن التسويق المنجز الوطني، فإننا سنتساءل عن دور وسائل الإعلام الرسمي التقليدي والرقمي في توصيل هذا المنجز للمقيمين في المملكة العربية السعودية والذين يتجاوز عددهم 13 مليون إنسان عدد كبير منهم ليسوا من العرب، وهنا يصبح السؤال من أين يستقي هؤلاء معلوماتهم عن المملكة ومنجزاتها؟ وأيضاً يمكن السؤال في هذا الصدد عن دور وسائل الإعلام في تحقيق مفهوم جودة الحياة للمقيمين في ظل عجزها حتى اللحظة عن دمجهم في المجتمع حيث تعد وسائل الإعلام أهم أدوات هذا الدمج، وبالتالي تحقيق مفهوم جودة الحياة التي تعد من أهم محاور رؤية 2030 والتي لم تفرق على هذا الصعيد بين المواطن والمقيم، بهدف الوصول إلى أن تصبح المملكة بيئة جاذبة للاستثمار

وعند هذه الجزئية تنداح العديد من الأسئلة على صعيد دور الإعلام في دمج الوافدين، فهل نقل الإعلام قصص نجاح الوافدين والإسهامات الإيجابية التي يقدمها الأجانب لبناء المجتمع؟ وهل قام الإعلام بنقل رسائل تعزز الاندماج والتعايش السلمي بين جميع أفراد المجتمع؟ وهل ركز الإعلام على قيم التعددية واحترام الاختلاف، والتشجيع على التفاهم والتعاون المشترك؟

مسار المواكبة الإخبارية يعد لحظياً ويزول أثره بسرعة، ولا يثري الجانب المهني عند العاملين في الوسيلة الإعلامية

يجب أن يكون الإعلام شريكاً فاعلاً في تعزيز عملية دمج الأجانب في المجتمع، من خلال تناول قضاياهم بشكل شامل وإيجابي، فهو يمثل وسيلة حيوية لتعزيز الفهم المتبادل وتعزيز الاندماج الاجتماعي، وبالتالي تحقيق مجتمع متنوع ومزدهر.

أخيراً مما لا شك فيه أنَّ مستوى تفاعل وسائل الإعلام السعودية مع رؤية 2030 ومخرجاتها ما زال بعيداً عن المأمول، ويجب على الإعلام السعودي أن يقوم بدور أقوى في تسليط الضوء على الإنجازات الوطنية، وأن يقوم بأداء دوره بشكل محترف ومهني، وأن ينتقل من المواكبة الإخبارية والنقل إلى أدوار صناعة الخبر، وهذا يتطلب ثورة مهنية تقودها وزارة الإعلام وأقسام الإعلام في الجامعات السعودية، وإلا فإنَّ الإعلام السعودي لن يُسمِعَ إلا نفسه فقط

يتجاوز عدد المقيمين 13 مليون إنسان وعدد كبير منهم ليسوا من العرب، وهنا يصبح السؤال من أين يستقي هؤلاء معلوماتهم عن المملكة ومنجزاتها؟

الموقف الثقافي - الإعـــــلام

هل أدى الإعلام دوره في تسويق المنجز الوطني؟

د. علي القرني

أكاديمي أستاذ الإعلام

لا أعتقد أن المؤسسات الإعلامية السعودية (للإعلام المقروء والمرئي) قامت بواجبها في التعريف وتسويق المملكة خارجياً! أما داخلياً فمن الموضوعية الإشارة إلى أن الإعلام السعودي حقق نجاحات ملموسة. لنأخذ رؤية 2030 وهي أهم مشروع تنموي في المملكة في العقود الأخيرة حيث لعب الإعلام دوراً ملموساً في التعريف بالرؤية داخلياً، لكنه لم يكن فاعلاً على المستوى الخارجي. ونحن جميعنا مدينون لسمو ولي العهد، عراب الرؤية، والذي جعل من الرؤية بأهدافها ومرتكزاتها من أهم المشاريع التنموية على الساحة الدولية في العقود الأخيرة، مما أجبر الإعلام الأجنبي الفاعل على سد الثغرة وتغطية الرؤية ومشاريعها - سلباً وإيجاباً – وذلك ساعد بالتعريف بالرؤية دولياً حتى أصبحت أخبار مشاريعها المختلفة تتصدر وسائل الإعلام الدولية.

كنا نطمح في أن يتم ذلك من خلال وسائل اعلام سعودية ناطقة بلغات مختلفة، للتعريف بمنتجنا الوطني وهويتنا السعودية والإصلاحات الشاملة سواء الاجتماعية أو الاقتصادية. ولا يفوتني هنا أن أنوه بالاستثناء الوحيد وأقصد صحيفة Arab News وما قامت به من جهود ملموسة وموفقة بالتعريف بالمملكة وبرؤية 2030 بلغات مختلفة لاسيما الإنجليزية، والفرنسية، واليابانية، والأوردو.

> تعد رؤية 2030 أهم مشروع تنموي في المملكة في العقود الأخيرة، وقد لعب الإعلام دوراً ملموساً في التعريف بها داخلياً، لكنه لم يكن فاعلاً على المستوى الخارجي

ولعلي أطرح تساؤلا على القائمين على الإعلام في المملكة وهو: ألسنا قادرين على استنساخ تجربة Arab News؟ ما الذي يمنع أن يكون لدينا قناة / قنوات ناطقة بلغات مختلفة؟ لماذا ننفق مئات الملايين لمخاطبة الأشقاء العرب؟ وفي الختام أؤكد بأننا حققنا نجاحات إعلامية خارجية لكنها لا تجير للإعلام السعودي وإنما لأهمية وثقل المملكة سياسياً واقتصادياً.

في سياق المؤسسات الصحفية فواضح بأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة وتوشك أن تدخل في سبات سرمدي، ولا يمكن أن تتفادى ذلك إلا بعملية إنعاشيه يوظف من خلالها أنماط عصرية من التفكير وأدوات الذكاء الاصطناعي والمنصات الرقمية، لتستطيع التماشي مع المرحلة.

> أؤكد بأننا حققنا نجاحات إعلامية خارجية لكنها لا تجير للإعلام السعودي وإنما لأهمية وثقل المملكة سياسياً واقتصادياً

عليك بالنظر في بعض حسابات المؤسسات الصحفية على وسائل التواصل الاجتماعي حيث المحتوى السيء، والغياب الكامل للتحديث، إضافة إلى محدودية التفاعل مع هذه الحسابات نتيجة لقلة المتابعين الناتج أساساً عن غياب المحتوى الجيد والتحديث المستمر.

وفيما إذا كان بمقدور وسائط التواصل المجتمعي أن تحل محل المؤسسات الإعلامية فواقع الحال هي بالفعل تقوم بدورها وهذا ما أشرت إليه في إجابتي السابقة، حيث أرى أن الطريقة الوحيدة لدب الحياة في هذه المؤسسات تكمن في تنشيط حضورها الرقمي على كافة منصات المعلومات وخصوصاً منصات التواصل الاجتماعي.

> واضح أن المؤسسات الصحفية تلفظ أنفاسها الأخيرة وتوشك أن تدخل في سبات سرمدي، ولا يمكن أن تتفادى ذلك إلا بعملية إنعاشيه يوظف من خلالها أنماط عصرية من التفكير وأدوات الذكاء الاصطناعي والمنصات الرقمية، لتستطيع التماشي مع المرحلة

ولتعرف ما إذا كانت المنصات الرقمية ستقوم بالدور نيابة عن المؤسسات ولتعرف أهمية المنصات الرقمية وقوة تأثيرها، عليك بمراقبة ما يقوم به أبناء الملكة من الجيل الجديد بالتعريف بالمملكة ومصادر قوتها الناعمة وبرؤيتها، بل والدفاع عن مواقفها المختلفة وبلغات مختلفة.

هذا جيش من الشباب المتحمس والمحب لبلده وقيادته أدرك أن هذه المنصات هي الطريق الأسرع لإيصال رسالة / رسائل المملكة للعالم الخارجي. هذا أمر يشعرنا جميعا بالفخر والاعتزاز.

علينا استثمار هذا الزخم الإيجابي لأبناء الوطن والتأثير على خطابهم الوطني من خلال إنشاء مركز وطني لصنع الرسائل Messaging System ومن ثم توجيه الرأي العام وعدم ترك الأمور لاجتهادات الشباب والتي قد تنقل رسائل خاطئة قد تؤخذ على أنها مواقف رسمية

علينا فقط استثمار هذا الزخم الإيجابي لأبناء الوطن والتأثير على خطابهم الوطني من خلال إنشاء مركز وطني لصنع الرسائلMessaging System ومن ثم توجيه الرأي العام عموماً، وخطاب أبناءنا الوطني في كافة المجالات وعدم ترك الأمور لاجتهادات الشباب والتي قد تنقل – وبحسن نية - رسائل خاطئة قد تؤخذ على أنها مواقف رسمية.

أخيرا نفتقد إلى إعلام ينقل ثقافتنا للعالم بعيون وبخطاب سعودي. المحزن أن المملكة قفزت قفزات عملاقة في المجال الثقافي وأُنشِئَ وزارة تعنى بالجانب الثقافي - وهي بالمناسبة من أنشط الوزارات - لديها عدد كبير جداً من المبادرات الثقافية في كافة المجالات (الأدب، النشر، المسرح، الموسيقى، الطهي، المتاحف، التراث ...الخ) إلا أن الكثير - ومنهم سعوديون - لا يعرفون شيئا عن هذه المبادرات وذلك بالطبع نتيجة تقصير الإعلام في نقل الثورة الثقافية التي أطلقتها رؤية المملكة 2030.

لدينا مصادر كثيرة ومتعددة لقوة المملكة الناعمة ومنها "ثقافة البلد الجذابة" كما أطلق عليها البروفيسور جوزيف ناي، صاحب نظرية " القوة الناعمة" حيث ربط قوة تأثيرها ونجاحها دولياً بوجود ذراع إعلامي دولي ينقل "ثقافة البلد الجذابة" للآخرين وهذا – مع الأسف - ما نفتقده.

لعل إعادة تدشين القناة التلفزيونية الثقافية خطوة أولى في الاتجاه الصحيح، لكني لازلت أعتقد بأهمية وجود أكثر من ذراع إعلامي وبلغات مختلفة ليس فقط لإيصال رسائلنا المختلفة - ومنها الثقافية - للعالم وإنما للتأثير فيه أيضاً.

أكرر أن رؤية المملكة 2030 هي من أكبر واهم المشاريع التنموية في العقود الأخيرة في العالم، واصبحت هي من يصنع الخبر، وفرضت نفسها على أجندة الإعلام الدولي وهذا ما أنسانا الدور الذي يجب أن يلعبه إعلامنا. ولا يفوتني أن أقدم خالص شكري لكم لتناول هذه القضية الهامة.

الموقف الثقافي - الإعـــــلام

هل أدى الإعلام دوره في تسويق المنجز الوطني؟

د. فايز بن عبدالله الشَهري

أكاديمي وأستاذ الإعلام

من الثابت أنّ وسائل الإعلام يمكن أن تسهم إيجابًا في بناء الصورة الذهنيّة، وكذلك تشكيل المواقف والمعتقدات، وحتى تعديل السلوكيّات شريطة استخدام المنصّة المناسبة وتقديم المعلومات والرسائل بطريقة مقنعة وذكيّة. ومن هنا يمكننا القول بأن الإعلام السعودي – عمومًا- يقوم بدور في التعريف بالمنجز الوطني وتسويقه. الإشكاليّة أنّ الحضور الإعلامي للمنجز الوطني لا يتواكب وحجم المنجز، ومن حيث الأساليب والقوالب الإعلاميّة نجدها في غالبها تسير وفق نهج نمطي ترسّخ وفق مدارس تقليديّة تحتاج إلى كثير من التأمّل.

> الحضور الإعلامي للمنجز الوطني لا يتواكب وحجم المنجز، ونجدها من حيث الأساليب والقوالب الإعلاميّة تسير وفق نهج نمطي ترسّخ وفق مدارس تقليديّة تحتاج إلى كثير من التأمّل

من جهة أخرى يبدو أنّ الممكّنات الإعلاميّة وأساليب تشغيلها تستحق المراجعة، ولا يقصد بالإمكانات هنا فقط مستوى وفرة الموارد الماديّة، والمكنة التقنيّة والانتشار حيث يحظى الإعلام السعودي بنصيب وافر في هذه المجالات. المقصود هنا يأتي ضمن تساؤلات تبحث مدى مواكبة الرؤية الإستراتيجية (الاتصاليّة والإعلاميّة) مع القدرات البشريّة التنفيذيّة بموازاة حجم المنجز الوطني الهائل.

إنّ من المسلّم به أنّ العقول الإعلاميّة الوطنيّة من ذوي العقول اللامعة هي وحدها التي يمكنها تنفيذ الإستراتيجيات والخطط باستثمار مقدرات الإعلام السعودي الهائلة وتوظيفها على نحو مدروس لخدمة المشروع الوطني بعيدًا عن المبالغة المنفّرة، أو التسطيح المخلّ، وهما عاملان مؤثران وطاغيان

بوضوح على المشهد الإعلامي العربي والخليجي على وجه الخصوص

وحتى يمكن الاستفادة من وسائل الإعلام في الترويج للمشاريع والمبادرات الوطنيّة ينبغي أولا تركيز الجهود الإعلاميّة كمّا وكيفا وفق تقويم زمني وموضوعي يُخطط له بعناية بحيث لا تبدو هذه الجهود على هيئة حملات ومنافسات وقودها ردود الأفعال. إنّ الحماس الإعلامي غير المرشد يستثير، ويشتّت الْجُمْهُور العام، ويدفعه إلى الانصراف إلى وسائل أخرى قد لا تكون بالضرورة ممّن يرى، ويعرض المنجز السعودي بعين الإنصاف

> إنّ الحماس الإعلامي غير المرشد يستثير ويشتّت الْجُمْهُور العام، ويدفعه إلى الانصراف إلى وسائل أخرى قد لا تكون بالضرورة ممّن يعرض المنجز السعودي بعين الإنصاف

وبخصوص المؤسسات الصحفيّة ودورها المتلاشي حاليًا فمن الواضح أنّ هذه المؤسسات هي من أهمل قراءة المستقبل في وقت مبكّر، ولم تغتنم اللحظة التاريخيّة مع مطلع الألفيّة الثانية حين ظهرت ملامح التحوّل من الوسائل التقليديّة (المطبوع مثلا) إلى منصّات الفضاء الرقمي. ثم كان الخطأ الثاني متمثّلًا في ضعف حضورها الرقمي نتيجة تقليديّة المحتوى، وعدم مواكبة هذه المؤسسات لمتغيّرات سلوك القارئ (المستهلك) والمعلن خاصة بين الأجيال الجديدة التي ولدت والشاشات الرقميّة أمامها

وحتى يمكن إنقاذ ما يمكن إنقاذه ينبغي فعلًا العمل على:

- **دعم هذه المؤسسات لإعادة اختراع صناعة ووجهة الصّحافة المطبوعة والإعلام التقليدي عموما وفق معطيات العصر.**
- **ضخ دماء جديدة في الجهازين الإداري والتحريري لهذه المؤسسات.**
- **دعم التحوّل الرقمي والمحتوى الجاذب.**
- **الإبداع في تبنّي طرق مبتكرة لاستعادة وجذب جماهير المعلومات والأخبار والترفيه ضمن بيئة حيويّة تتفاعل مع احتياجات شرائح الجماهير المتنوعة.**

في هذا السياق فأشير إلى أنه من المسلّم به في مجال صناعة الإعلام أنّ منصّات التواصل المجتمعي لم تعد خيارًا أو "برستيجا" أمام المؤسسات السُّعُوديّة والعربيّة، وإنما باتت نموذجًا إعلاميا واقتصاديًا (Business Model) مؤثرًا وهائلًا في الصناعة الإعلاميّة اليوم.

والحقيقة الثانية أنّ المنافسة الإعلاميّة على منصّات التواصل الاجتماعي باتت شرسة مع مؤسسات عالميّة راسخة تقدم الخبر والمعلومة والإعلان عبر شبكاتها باللغة العربيّة وبطريقة احترافيّة ومهنيّة باهرة.

إنّ الحماس الإعلامي غير المرشد يستثير ويشتّت الْجُمْهُور العام، ويدفعه إلى الانصراف إلى وسائل أخرى قد لا تكون بالضرورة ممّن يعرض المنجز السعودي بعين الإنصاف

بل إنّ مواقع عالميّة بدأت تتيح الخبر والمعلومة مدعوماً بخدمات الترجمة الفوريّة والذكاء الاصطناعي، مما جعل من الممكن لأي قارئ أن يطالع الصحف والقنوات والمنصّات الإخباريّة بلغته وبحسب توقيته وتفضيلاته

ويكفي أن نعلم على سبيل المثال أنَّ

حساب الأخبار العاجلة لشبكة "سي إن إن" على شبكة X يستقطب قرابة 64 مليون متابع، كما يتابع حساب صحيفة "نيويورك تايمز" ما يزيد عن 55 مليونًا، ويتابع حساب الأخبار العاجلة لشبكة "بي ي سي" قرابة 52 مليون متابع. وهذه الأرقام تشير إلى ثلاثة أبعاد مهمة:

- **الأول: أنَّ الوسيلة التقليديّة إذا توجّهت وأدركت اتجاهات السوق ومتغيّرات التقنية في الوقت المناسب قد تتفوّق حتى على تاريخها من حيث التوزيع وربما العائد.**
- **ثانيًا: أنَّ تاريخ الوسيلة ومصداقيّة المحتوى بما فيه من مهنيّة عوامل مهمّة في بناء السمعة ثَمّ اكتساب ولاء الْجُمْهُور ما يجعل الثقة في المؤسسة الإعلاميّة مرافقة لها في كل تحولاتها.**
- **ثالثًا: أهميّة التحديث ومواكبة الأحداث، وكذلك التفاعل مع متغيرات سلوك الناس والتقنيّة والبيئة الإعلاميّة.**

وبخصوص الإعلام الثقافي في المملكة، فإن الراصد يلحظ كيف انتقل هذا المجال الإعلامي من مرحلة التركيز على الأدب وفنونه مثل الشعر والقصة والرواية ونحو ذلك إلى الانفتاح على الثقافة بمفهومها الإنساني الواسع. وربما يكون من الصعب الحكم على الإعلام الثقافي في صورته الحاليّة حتى تنضج التجربة، ويمكن التمييز بين ما هو من مخرجات التخطيط وما دافعه الحماس غير المرشّد.

يتابع حساب الأخبار العاجلة لشبكة "سي إن إن" على شبكة X قرابة 64 مليون متابع، كما يتابع حساب صحيفة نيويورك تايمز ما يزيد عن 55 مليونًا، ويتابع حساب الأخبار العاجلة لشبكة "بي ي سي" قرابة 52 مليون متابع.

ولا شك سيبرز دور الإعلام الثقافي بوصفه أداة مهمّة لنشر المعرفة وتعزيز الوعي الثقاف ـاصّة مع تشتت الأجيال الجديدة بين الوسائل المختلفة. وحين يقوم الإعلام الثقافي بدوره الـ ن مـ شك سيكون عنصرًا أساسًا في تعزيز الهُوِيَّة الثقافيّة وحفظ التراث الوطني وإشاعة مـ ـيم التعا ش بين الثقافات

ولعل أبرز التحديات التي تواجه الإعلام الثقافي تكمن في:

- الحاجة إلى العناصر البشريَّة المؤهلة كون الإعلام الثقافي يتـ مسـ ى رفيعاً و التعـ ـل الإعلامي.
- يفتح العرض الإعلامي غير المتقن للمنجز الثقافي المحلّي باب المقارنات ا ـسـ ي ا يرى ثقافات العالم على شاشته بما تملك من حضور وإبهار.
- تشابك الثقافات خاصة في العالم العربي نتيجة الأصول الثقافيّة المشتركة، ومن ثـ ـم المحتوى الثقافي الرقمي وتباين بعض أطروحاته، وهذا بطبيعة الحال قد يؤدي إلى صعو تمييز الْجُمْهُور، ولا سيما الأجيال الجديدة بين أصول الثقافة المحليّة والوارد منها.

وهذا الأمر سيصعب أيضا الوصول إلى الْجُمْهُور المعني، وربما سيشكل ضغطاً على مشرفي الوسائل الثقافيّة الذين سيجدون أنفسهم في حِلْبَة تنافس مع مجموعة واسعة من مصادر الترفيه والمعلومات، وكل يسعى لجذب انتباه الجماهير بطريقته

د. فايز بن عبدالله الشّهري

الموقف الثقافي - الإعـــــلام

هل أدى الإعلام دوره في تسويق المنجز الوطني؟

د. محمد بن عبد العزيز الحيزان

أستاذ الإعلام بجامعة الملك عبد العزيز

الإعلام نشاط محوري ذو وظائف متعددة ومسارات متشعبة، ومن خلاله يقدم مستخدموه ذواتهم، ويعرفون بمنجزاتهم، كما يمَكِّنهم من نشر الوعي والمعرفة لدى جمهورهم المستهدف، وذلك على نحوٍ يبرز قيمتهم الحقيقية، ويسهم في ترسيخ مكانتهم المستحقة في محيطهم وخارجه

ولم يكن لهذا الفن الاتصالي أنْ يكتسب هذه الأهمية، وأن يتبلور في تخصص مستقل، لولا الإدراك التام لآثاره الإيجابية التي تجاوزت خدمة الأفراد أو الجهات، إلى كيانات أكبر تشمل الدول دون استثناء، إذْ لم تتردد في العناية به وتهيئة متطلباته؛ لتوظيفه في القيام بواجباته المأمولة في نشر أنشطتها، ومقوماتها وكذا في تسويق منجزاتها، بحيث تكون شاهداً مقنعاً على أدائها، وحجم الجهود التي تبذلها، علاوة على لفت انتباه الآخرين إلى أوجه تميزها، على نحوٍ يسهم في إبرازها على الخارطة الإقليمية والدولية، ويعزز صورتها الذهنية سياسياً وسياحياً وثقافياً، فينعكس ذلك كله على نمائها وقوة اقتصادها

> بكل أسف لم يرق الإعلام المحلي إلى مستوى التغيير الطموح الذي فاق بكل المقاييس إمكانات الإعلام المحلي، ولعل من المفارقة أن يجد الإعلام العالمي في مشاريع الرؤية وبرامجها موادَّ تثري مادته، وتقوي مكانته

ورغم عظم مسؤولية الإعلام في قيامه بالأدوار الوطنية، إلا أنَّ نجاحه في مهمته يرتبط بمدى وجود منجزات حقيقية من شأنها أن توفر مادة ثرية وقيمة لمضامينه ورسائله، وذلك على غرار المشاريع العملاقة والبرامج التنموية الضخمة التي حققتها بشكل ملموس مخرجات رؤية المملكة العربية السعودية 2030، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال يتردد بين فينة وأخرى، حول مدى تمكن الإعلام المحلي من مواكبة نقلات الرؤية النوعية، وقدرته على أداء مهمته حيالها

الإجابة المباشرة عن هذا السؤال هي: أنه لم يرقَ إلى مستوى التغيير الطموح الذي فاق بكل المقاييس إمكانات الإعلام المحلي، ولعل من المفارقة أنْ يجد الإعلام العالمي في مشاريع الرؤية وبرامجها موادَّ تثري مادته، وتقوي مكانته.

وعند البحث في الأسباب، نجد أن الرؤية جاءت في زمن يمر فيها الإعلام المحلي بأضعف حالاته، فقد تزامنت مع مرحلة ارتباكه من صدمات التغيرات التي أحدثها الفضاء الرقمي الجديد؛ إذْ أخفقت معظم المؤسسات الإعلامية في مجاراة تلك الثورة الاتصالية والاستفادة منها، جراء

> لقد كان على مؤسسات الإعلام السعودي أن تكون جزءًا من تكوين الإعلام الرقمي وتشكله، وأن تسهم في تطوير أدواته، ومنصاته، وألا تخسر ولاء جمهورها، وإمكاناتها لصالح إعلام هاوٍ تشكَّل بطرقٍ بدائية من خلال شبكات التواصل الاجتماعي

تمسك الإدارات العليا فيها بصلاحية اتخاذ قرارات خاطئة، وفقاً لثقافة تقليدية متوارثة؛ حيث لم تستوعب - كما فعلت الصحف الرائدة عالمياً - طبيعة التحول التقني والفني الهائل، وخير شاهد على هذا انحسار الصحافة الورقية السريع وإخفاقها في إيجاد بدائل فاعلة.

لقد كان على مؤسسات الإعلام السعودي أن تكون جزءًا من تكوين الإعلام الرقمي وتشكله، وأن تسهم في تطوير أدواته، ومنصاته، وألا تخسر ولاء جمهورها، وإمكاناتها لصالح إعلام هاوٍ تشكَّل بطرقٍ بدائية من خلال شبكات التواصل الاجتماعي.

وهذه الأخيرة رغم قدرتها التنافسية مع تلك المؤسسات في خاصيتي السرعة والتفاعلية على وجه التحديد، إلا أنها ستبقى عاجزةً عن أن تكون بديلاً عنها، لضعفها في الالتزام بالقيم المهنية خاصة المصداقية، والموضوعية والدقة، ويؤكد ذلك عدم اعتماد المتلقين الكلي عليها في الأخبار الرسمية، أو الأحداث الجسام التي تتطلّب تواجد المراسلين في قلب الحدث

وهذا ما يفسر في تلك الحالات، تحول الجمهور إلى الوسائل الرسمية، والعريقة، إذ تجد في المصادر الأصيلة الموثوقية، والرصد المتكامل لزوايا ذات صلة تساعد على فهم الواقع، ورؤية الصورة بتفاصيلها وألوانها الحقيقية.

ولابد من التأكيد على أنَّ نجاح الإعلام وتحقيقه لأهدافه، يظل مرهوناً بدرجة فهم القائم بالاتصال لأدواته وآليات وصولها الفعال للمتلقين، بحيث تُرَاعى فيها كيفية دقائق صناعة المحتويات، وعناصر إحداثه للتأثير المطلوب.

من تلك الدقائق المهنية، إدراك حقيقة أنَّ المادَّة الإعلامية تتباين في مستوى جاذبيتها من مادَّة لأخرى وفقاً لطبيعة موضوعاتها وأحداثها، فمنها ما يستطيع، لعظم إثارته لفضول المتلقين، أنْ يسوِّق نفسه دون الحاجة إلى جهد كبير من صانع القصة الخبرية، وذلك على غرار أخبار الأزمات والكوارث، في حين أنَّ البعض لا يتوافر على تلك الخاصية، كما هو الحال مع المواد الثقافية بشكل عام، مما يعني ضرورة بذل إعلام الثقافة لجهود احترافية أكبر

هذا القول يقود إلى القول بأنه وبرغم وجود العديد من الأنشطة الثقافية في بلادنا، إلا أنَّ إعلامها ليس بمستوى الإنجازات مع أنَّ الإعلام مدينٌ للثقافة منذ نشأته، إذ وُلِد من رحمها، وكان للمثقفين في بدايته دور رئيس لا ينكره أحد

الموقف الثقافي - الإعـــــلام

هل أدى الإعلام دوره في تسويق المنجز الوطني؟

موفق النويصر

رئيس تحرير ومدير عام صحيفة مكة

قبل الإجابة على هذه الأسئلة، يجب معرفة أنَّ الإعلام السعودي في شقه المقروء لا يعيش أزهى عصوره هذه الأيام، وذلك بسبب ضعف مخرجات المؤسسات الصحفية البشرية، باعتبارها الجامعة الوحيدة القادرة على إمداد المؤسسات الإعلامية المختلفة بالكوادر المؤهلة للعمل في المجال الإعلامي، سواءً في شقه المكتوب أو المرئي أو المسموع

وضعف المخرجات البشرية سببه ضعف المداخيل المالية التي تسمح لهذه المؤسسات باستقطاب الشباب وتأهيلهم لسوق العمل، كما كانت تفعل ذلك طوال تاريخها الماضي، وبالتالي أصبح هذا القطاع غير جاذب للشباب للالتحاق به، وتفضيل وظائف أخرى تحقق لهم الاستقرار المالي، ناهيك عن عدم قدرة هذه المؤسسات بسبب أوضاعها الحالية على مواكبة متغيرات الإعلام الجديد

ومع هذا لا يمكن إغفال أن بعض المؤسسات الإعلامية نجحت في التعريف والتسويق للمنجز الوطني، ولكن بشكل فردي، غير أنه وبسبب الأسباب السابقة أصبح تأثيرها محدوداً

على أن أول وأكبر مشكلة تواجه المؤسسات الصحفية هو تغيير النظام الذي تحتكم له اليوم، فهذا النظام وإن

لا تملك المؤسسات الصحفية سوى رخصة لا تمكنها سوى من إصدار صحيفة ورقية، دون أي إلزام لملاكها بتطويرها أو المساهمة في انتشالها من حالة الوفاة الدماغية، بعد أن جنوا خيرها على مدى سنوات طويلة

كان نافعاً في زمن سحيق، إلا أنه لا يواكب النقلة التي تشهدها قوانين وأنظمة البلد في كافة المجالات، وساهمت في تطوير هذه القطاعات، باستثناء المؤسسات الصحفية التي ظلَّت على نظامها العقيم تراوح مكانها، إن لم يكن قد سحبها للخلف، كونها لا تملك سوى رخصة لا تمكنها سوى من إصدار صحيفة ورقية، دون أي إلزام لملاكها بتطويرها أو المساهمة في انتشالها من حالة الوفاة الدماغية، بعد أن جنوا خيرها على مدى سنوات طويلة

وفي زعمي أنَّ الدولة تمتلك القدرة على إحداث التغيير المطلوب، إنْ غيرت القوانين المنظمة لعمل هذه المؤسسات، بحيث يصبح القطاع (الإعلام) جاذباً للاستثمار فيه بكافة أوجهه، وليس الصحف فقط

أمر آخر، لن يصبح القطاع جاذباً طالما ظلَّت مخرجات المؤسسات الصحفية اليوم بالحالة التي هي عليها اليوم، وبالتالي هي بحاجة إلى ضخ مالي، يغير جلد هذه المؤسسات، ويطور مخرجاتها من محتوى مكتوب إلى آخر مرئي أو مسموع أو أي شيء آخر قد يحظى باهتمام عموم الجمهور

في هذا السياق فيجب التفريق بين منصة التواصل لنقل المحتوى ومؤسسة إنتاج المحتوى. المنصات تستطيع نقل ما يوضع فيها من محتوى، بيد أنَّها غير قادرة على إنتاج محتوى. وهنا الفرق. الأمر الآخر، لا يمكن الاعتماد على أفراد لا يمتلكون أخلاقيات العمل الصحفي، ليكونوا بديلاً للمؤسسات الصحفية الرصينة في تزويد الناس بالأخبار والمعلومات

لا يمكن الاعتماد على أفراد لا يمتلكون أخلاقيات العمل الصحفي، ليكونوا بديلاً للمؤسسات الصحفية الرصينة في تزويد الناس بالأخبار والمعلومات

وفيما يتعلق بالإعلام الثقافي فتوجد حالياً عدة محاولات لتقديم إعلام ثقافي محترم، والسبب في وجهة نظري يعود إلى توسيع دائرة المشاركة الثقافية لتشمل الكثير من المناحي الحياتية. يبقى الأهم أن يتولى الإشراف على هذه القطاعات الثقافية كفاءات مارست العمل الصحفي بشكل جيد، وتمتلك الرؤية حيال المستقبل الثقافي، لتكتمل فصول العمل بتقديم منتج يلبي متطلبات المثقف ورغبات الجمهور

الموقف الثقافي - الإعـــــلام

هل أدى الإعلام دوره في تسويق المنجز الوطني؟

خلاصة:

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج الآتية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء الإعلام والثقافة من مقترحات وسياسات لتعزيز دور الإعلام في التسويق للمنجز الوطني، والنهوض بالمؤسسات الإعلامية لمواكبة التطورات المتسارعة في الفضاء الإعلامي الدولي:

أولاً: تمكين العقول الإعلاميّة الوطنيّة في المؤسسات الإعلامية لأن هذه العقول هي وحدها التي يمكنها تنفيذ الإستراتيجيات والخطط باستثمار مقدرات الإعلام السعودي الهائلة وتوظيفها على نحو مدروس لخدمة المشروع الوطني بعيدًا عن المبالغة المنفّرة، أو التسطيح المخلّ

ثانياً: تركيز الجهود الإعلاميّة كمّا وكيفا وفق تقويم زمني وموضوعي يُخطط له بعناية بحيث لا تبدو هذه الجهود على هيئة حملات ومنافسات وقودها ردود الأفعال

ثالثاً: قيام الإعلام المحلي بدور أقوى في تسليط الضوء على الإنجازات الوطنية، وذلك بالتحول من المواكبة الإخبارية والنقل إلى أدوار صناعة الخبر والصحافة الاستقصائية، وهو يتطلب ثورة مهنية تقودها وزارة الإعلام وأقسام الإعلام في الجامعات السعودية

رابعاً: التقليل من ظاهرة الاعتماد في تغطية المنجزات الوطنية على البيانات الرسمية التي ترد من الجهات الحكومية ونشرها دون متابعة صحفية وعقد مقارنة للأرقام والحقائق وتقريب المعلومة للمشاهد، إضافة إلى العمل على تعزيز حضور المسؤول الرسمي عند الحديث عن المنجز الوطني؛ بما يعزز نهج التواصل الحكومي الفعال بين المسؤول والمواطن

خامساً: دعم المؤسسات الصحفية لإعادة اختراع صناعة ووجهة الصّحافة المطبوعة والإعلام التقليدي عموماً وفق معطيات العصر، وضخ دماء جديدة في الجهازين الإداري والتحريري لهذه المؤسسات، وكذلك دعم التحوّل الرقمي والمحتوى الجاذب

سادساً: قيام المؤسسات الصحفية بالإبداع في تبنّي طرق مبتكرة لاستعادة (وجذب) جماهير المعلومات والأخبار والترفيه ضمن بيئة حيويّة تتفاعل مع احتياجات شرائح الجماهير المتنوعة

سابعاً: أن تتدخل وزارة الإعلام بشكل مباشر لإنقاذ المؤسسات الصحفية وذلك من خلال تقديم رؤية جديدة لمجالس إداراتها، وهيكلة نظامها بشكل يضمن المنافسة الشريفة في دخول المجالس، وإلزامها برؤية إستراتيجية لكيفية عملها في المستقبل، إضافة إلى تهيئتها لدخول سوق الأسهم في الشق الإعلامي

ثامناً: رفد الإعلام الثقافي بالعناصر البشريَّة المؤهلة، نظراً لكون الإعلام الثقافي يتطلَّب مستوى رفيعاً من التعامل الإعلامي

تاسعاً: فهم القائم بالاتصال لأدواته وآليات وصولها الفعال للمتلقين، بحيث تُراعى فيها كيفية دقائق صناعة المحتويات، وعناصر إحداثه للتأثير المطلوب، بما في ذلك إدراك حقيقة أنَّ المادَّة الإعلامية تتباين في مستوى جاذبيتها من مادَّة لأخرى وفقاً لطبيعة موضوعاتها وأحداثها، فمنها ما يستطيع، أنْ يسوِّق نفسه دون الحاجة إلى جهد كبير من صانع القصة الخبرية، وذلك على غرار أخبار الأزمات والكوارث، في حين أنَّ البعض لا يتوافر على تلك الخاصية، كما هو الحال مع المواد الثقافية بشكل عام، مما يعني ضرورة بذل إعلام الثقافة لجهود احترافية أكبر

عاشرا: من المهم إنشاء مركز وطني لصنع الرسائل Messaging System لتوجيه الرأي العام وعدم ترك الأمور لاجتهادات الشباب والتي قد تنقل رسائل خاطئة قد تؤخذ على أنها مواقف رسمية.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

منظومة التعليم.. الواقع والمأمول؟

العدد الثامن - التعليم

نحلم ونحقق
اليوم الوطني السعودي 94

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
سبتمبر - 2024

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل نصف شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية.

إخلاء مسؤولية:
الأراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد تمثل الكتاب والمثقفين المشاركين ولا ينبغي أن تنسب إلى مركز الخليج للأبحاث.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الموقف الثقافي

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

(الأندية الادبية، اللغة العربية، الفنون التشكيلية، التعليم، المسرح، السينما، معارض الكتاب، التاريخ، الاعلام، الثقافة والمثقف)

مدخل

يمثل التعليمُ ركناً أساسياً في بناء الدول الوطنية وإرساء مجتمعاتها على أسس متينةٍ من المعرفة تضمن نمو هذه الدول واستمرار رقيها في بيئة عالمية شديدة التنافس، ويعتمد التقدُّم فيها إلى حدٍ كبيرٍ على مستويات توطين المعارف والعلوم والتكنولوجيا واستيعابها في بنيات المجتمع. كما أنَّ التعليم، يعدُّ أهم عناصر عملية "التنشئة الاجتماعية" التي يتم من خلالها غرس الهوية الوطنية وترسيخ القيم الضرورية لتماسك المجتمعات وانسجامها

وانطلاقاً من هذا الموقع المحوري للتعليم، فقد أولته المملكة العربية السعودية عناية بالغة منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه، وجاء هذا العهد الزاهر ليعزز من خلال رؤية المملكة 2030 موقع التعليم في المشاريع الوطنية، حيث جعلت الرؤية من "بناء شخصيات قوية من خلال التعليم" عنصراً جوهرياً في مساعيها إلى "الوصول إلى مجتمع حيوي ليكون الأساس لاقتصاد مزدهر ووطن طموح"

وفي إطار هذا الاهتمام بالتعليم، أطلقت وزارة التعليم خلال السنوات الأخيرة عملية تحديث شاملة للمنظومة التعليمية في المملكة تضمنت إطلاق عدد من المبادرات والبرامج التطويرية، بما في ذلك البرنامج الوطني للكشف عن الموهوبين، والأولمبياد الوطني للإبداع العلمي، إلى جانب تطبيق نظام التسريع في الانتقال عبر السلم التعليمي إلى صف دراسي أعلى، وإطلاق 104 مراكز للعلوم والرياضيات في سائر مناطق المملكة

كما سعت الوزارة أيضاً إلى إيجاد آليات منهجية لرصد مستوى التحصيل العلمي لطلبة المدارس، وتحفيز التنافس الإيجابي بين المدارس ومكاتب إدارات التعليم، وذلك من خلال برنامج الاختبارات الوطنية "نافس" الذي يُنفَّذ بصورة دوية لتقويم التعليم العام. وفي الإطار ذاته، أعادت الوزارة تفعيل "الاختبارات المركزية" التي تشرف عليها الوزارة بذاتها وتستهدف فصولاً ومواد محددة

وشملت العملية التطويرية استعمال طرق تدريس حديثة، من خلال التركيز في التدريس على استعمال الحاسوب وجهاز الآيباد، ورفد المؤسسات التعليمية خصوصًا المدارس بما يلزم من أجهزة حاسوبية وأجهزة عرض للتنوع في عملية التدريس، وتجهيز المختبرات العلمية بكل ما يلزمها من أجهزة وأدوات، وتعزيز تجربة التعليم عن بعد من خلال المنصات الإلكترونية التي تضم وحدات تعليمية متوائمة مع المنهج السعودي وذلك لتوفير التعليم لأكبر عدد من الأطفال عن بعد

وانعكست هذه التحديثات إيجابياً على تقدم المملكة في المؤشرات التعليمية الدولية، حيث احتلت المملكة المركز الثالث في مؤشر إجمالي الإنفاق على التعليم، بحسب تقرير التنافسية العالمي لعام 2022م، وذلك مع وصول إجمالي ميزانية وزارة التعليم إلى أكثر 185 مليار ريال، بما يشكّل 19,4٪ من مخصصات القطاعات في ميزانية الحكومة لعام 2022. وتقدمت المملكة خمس مراتب في مؤشر التنمية البشرية (HDI) الصادر عن تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2022، كما سجل التعليم السعودي نتائج متقدمة في عدد من المؤشرات الدولية لقطاع التعليم، حيث تقدّم في 16 مؤشراً من مؤشرات التنافسية العالمية في قطاع التعليم، وفق الكتاب السنوي للتنافسية العالمية 2022. وأثمرت جهود الوزارة في مجال التعليم المستمر ومحو الأمية عن خفض نسبة الأمية الأبجدية إلى 3,7٪، كما اعتمدت منظمة اليونسكو مدينة ينبع الصناعية مدينة تعلّم دولية، كثاني مدن المملكة بعد الجبيل الصناعية

ومع هذه الإنجازات الكبيرة والتطوير، يمكن القول إنَّه لا يزال هناك مجالٌ للتحسن حتى يصل القطاع التعليمي إلى المستوى الذي يتناسب مع موقع المملكة بصفتها عضواً في مجموعة العشرين لأكبر الاقتصادات العالمية. ولعلّ التغيرات المتسارعة في أنظمة التعليم بمثابة المؤشر الذي يدل على إدراك القائمين على التعليم للتحديات التي تواجه القطاع وضرورة التعاطي معها، سواءً على مستوى المناهج الدراسية، أم على مستوى تأهيل المعلمين، وتوفير بيئة تعليمية وفقاً للمعايير العالمية، وتشجيع روح البحث العلمي والابتكار والإبداع لدى الطلاب، وتزويد الطلاب بالمهارات العملية والوظيفية، ووضع الأطر اللازمة لتعزيز تبادل الخبرات التعليمية إقليمياً ودولياً

ورغبة من البرنامج الثقافي والإعلامي في مركز الخليج للأبحاث في استطلاع رأي النخب الثقافية والإعلامية تجاه هذه القضية، والخروج بمقترحات لتعزيز فاعلية المنظومة التعليمية، فقد طرح الموضوع على عدد من الخبراء في المجال التعليمي راجيا رأيهم المنهجي ومسترشدا بعدد من الأسئلة التأطيرية على النحو التالي:

- **كيف تبدو الأنظمة التعليمية الحالية بالمقارنة مع الأنظمة السابقة؟ وهل هناك جوانب جديدة تميزت بها الأنظمة الحالية عن سابقاتها؟**
- **كيف تنظر إلى الأنظمة التعليمية في المملكة مقارنة بالنظم المميزة على المستويين الإقليمي والدولي؟ مع تقديم نموذج تراه الأفضل من وجهة نظرك.**

- هل تعكس مراتب المعلمين الحالية (مساعد معلم، معلم ممارس، معلم متقدم، معلم خبير) مستوى المعلمين المهني والمعرفي بدقة؟ وهل خدمت هذه المراتب العملية التعليمية؟ وهل غيرت هذه المراتب من نظرة المجتمع للمعلم؟ وكيف نجعل من وظيفة المعلم أيقونة مجتمعية كبيرة؟

- كيف يمكن، برأيك، تحسين وتطوير عملية تأهيل المعلمين؟ وما تقييمك للاختبارات الحالية المخصصة لهذا الغرض مثل اختبار الرخصة المهنية للوظائف التعليمية؟

- كيف تنظر إلى مستوى "البيئة التعليمية"، ولا سيما المباني والمرافق؟ وهل تهيئ، برأيك، جواً ملائماً للتعليم وجاذباً للطلاب؟

- كيف يمكن لتعليمنا أن يصنع إنساناً مثقفاً وقادراً على الإبداع؟

- إلى أي مدى تشجع المنظومة التعليمية على نمو الحالة المعرفية في المملكة؟

وفيما يلي نورد إجابات هؤلاء المثقفين والخبراء مرتبة أبجدياً:

د. عبير بنت عبد العزيز الدغيثر

رئيسة جامعة دار الحكمة

فيما يتعلق بالأنظمة التعليمية الحالية بالمقارنة مع الأنظمة السابقة، وما إذا كانت هناك جوانب جديدة تميزت بها الأنظمة عن سابقاتها؟ لا شك أنَّ الأنظمة التعليمية السابقة هي حجر الأساس لنظام التعليم في المملكة العربية السعودية، وذلك منذ ظهور أول نظام للتعليم بإنشاء مديرية المعارف عام 1344هـ، والتي تطورت إلى وزارة المعارف في عام 1373هـ؛ لإعداد منظومة تعليمية متكاملة تتناسب مع التطور الحضاري والثقافي متضمنة الاستفادة من التجارب التعليمية المتقدمة في البيئة المحلية ونظام البعثات الخارجية التي أنشأها الملك عبد العزيز عام 1356هـ، والتي تخرَّج على إثرها أعلامٌ في مختلف المجالات العلمية، واصلوا خدمة الوطن

تشهد الأنظمة التعليمية الحالية على مستوى العالم وفي المملكة تطورًا سريعًا متميزًا عن الأنظمة التعليمية السابقة، يواكب ما يشهده العالم على المستوى الإقليمي والمحلي من قفزات حضارية متسارعة.

تشهد الأنظمة التعليمية الحالية على مستوى العالم وفي المملكة تطورًا سريعًا متميزًا عن الأنظمة التعليمية السابقة، يواكب ما يشهده العالم على المستوى الإقليمي والمحلي من قفزات حضارية متسارعة. وقد اعتمدت المملكة لذلك خططاً ومشاريع تعليمية متطورة في كل المراحل التعليمية، واستحدثت مراحل مختلفة متدرجة من: الطفولة المبكرة، والتعليم العام، وانتهاءً بالمرحلة الجامعية والدراسات العليا.

كما أولت المملكة الجانب التقني والمهني والصناعي اهتمامًا خاصًا ونوعيا، وشملت منظومة التعليم جميع أفراد المجتمع بمن فيهم ذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن؛ فقد أعدت برامج محو الأمية التي حقق المنتسبون لها نجاحًا كبيرًا. واعتمدت تعليم اللغة الصينية؛ لتفعيل التواصل بين بلادنا والصين، وفتح مجالات تعاون تجارية واقتصادية مختلفة بين البلدين

وتضافرت عددٌ من الاستراتيجيات لإنجاح المنظومة التعليمية الحالية، بدءًا من إعداد مناهج تعليمية رائدة تخضع للتطوير المستمر بما يتناسب مع احتياجات المجتمع، وإعداد معلمين ذوي كفاءة عالية في مجالهم مؤهلين تأهيلًا عاليًا، ودمج التكنولوجيا المتطورة في عملية التعليم في جميع المراحل الدراسية، واستلهام التجارب التعليمية الرائدة، وإعداد بيئة تعليمية مناسبة، ويدعم كل هذه الاستراتيجيات تدريبٌ عالٍ لشركاء العملية التعليمية، وضمان الجودة

أولت المملكة الجانب التقني والمهني والصناعي اهتمامًا خاصًا ونوعيا، وشملت منظومة التعليم جميع أفراد المجتمع بمن فيهم ذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن.

واعتمدت جامعة دار الحكمة منظومة تعليمية متطورة تزود الطلبة بمهارات عالية، قادرة على مواكبة سوق العمل على كافة المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، محققة المراكز الأولى في نسب التوظيف. ولمواكبة التطور الحضاري، فقد تضمنت المناهج التعليمية في الجامعة دراسات اللغات المختلفة التي تفعّل التواصل مع الشعوب المختلفة، ومنها اللغة الصينية

أمَّا بالنسبة للأنظمة التعليمية في المملكة مقارنة بالنظم المميزة على المستويين الإقليمي والدولي والنموذج الذي نراه الأفضل من وجهة نظرنا، فقد شهد التعليم في المملكة تميزًا نوعيًا في أنظمته وجودته ومخرجاته، وقد احتلت المملكة مركزًا متقدمًا في قطاع التعليم قياسًا بمؤشرات دولية. وتُعنى رؤية المملكة 2030 منذ إطلاقها بمواكبة المناهج والنماذج العالمية؛ فقد توالت الجهود الجليّة لتوفير كل ما من شأنه العمل على تطوير العملية التعليمية على أتمّ وجه وبأقل جهد، نتج عنها تحقيق مؤشرات متقدمة في مجال التعليم والمعرفة، مستثمرين ما وصلت إليه نتائج الأبحاث والدراسات المحلية والعالمية، متضمنة نماذج تعليم تُعنى بتطوير الطلبة والكادر التعليمي على حدٍ سواء. فجميع هذه النماذج دون حصر وتحديد لها الأثر البالغ في النهضة التعليمية التي تشهدها المملكة في وقتنا الراهن

أولت المملكة الجانب التقني والمهني والصناعي اهتمامًا خاصًا ونوعيا، وشملت منظومة التعليم جميع أفراد المجتمع بمن فيهم ذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن.

وفيما يتعلق بمدى تمثيل مراتب المعلمين الحالية لمستوى المعلم المهني والمعرفي بدقة، وما إذا كانت هذه المراتب قد خدمت العملية التعليمية؟ فالجواب: نعم، لقد عكست هذه المراتب مستوى المعلم المهني والمعرفي وخدمت العملية التعليمية؛ إذْ شكلت عاملًا مهمًا للتنافس المهني بين المعلمين للتدرُّج والحصول على الرتبة الأعلى، كما أنَّ هذه المراتب تعتبر موجّهًا أكاديميًا من خلالها يحرص المعلم على معرفة دورهِ العلمي والعملي، وعلى أدائه واستيفاء مهمته على الوجه الأكمل. ولا شك أنَّ نظرة المجتمع تغيرت وفق هذه الرتب، ومنها معرفة دور ووظيفة كل مرتبة وما يترتب عليها من مهام ومسؤوليات

كما أنَّ للمعلم مكانة عالية صنعها ديننا وموروثنا الثقافي، فقد كرَّمه الدينُ الإسلاميُّ، وجعل عمله من الأعمال الباقية "علم ينتفع به". ويبدأ تكريم هذه الأيقونة الفريدة من الأسرة التي لابد أن تعزز في أبنائها منذ المراحل الأولى للتعليم دور المعلم في بنائهم وبناء مجتمعهم، وما يجب عليهم من احترامه وتقديره، وإفراد موضوعات خاصة في المناهج الدراسية منذ المراحل الأولى للتعريف بالمعلم ورسالته، وما يجب له من تقدير واحترام. وكذلك يقع على الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي التعريف برسالة المعلم السامية وأنَّ وراء كل منصب ومسمى في المجتمع معلم صنعه.

وفي جامعة دار الحكمة نحرص على ترسيخ وتعزيز هذه المكانة من خلال المناهج والبرامج الثقافية، والأيام المخصصة للاحتفال كيوم المعلم، ويسند للطلاب دور كبير في إعداده؛ الأمر الذي يزيد من تقدير المعلم في نفوسهم

يبدأ تكريم المعلم من الأسرة التي لابد أن تعزز في أبنائها منذ المراحل الأولى للتعليم دور المعلم في بنائهم وبناء مجتمعهم، وما يجب عليهم من احترامه وتقديره.

أمَّا بالنسبة لكيفية تحسين وتطوير عملية تأهيل المعلمين، وتقييمنا للاختبارات الحالية المخصصة لهذا الغرض، مثل: اختبار الرخصة المهنية للوظائف التعليمية، ففي رأيي أن تطوير عملية تأهيل المعلمين تجري من خلال: إعداد تدريب مهني عالٍ ومتخصص - إتاحة دورات تعليمية وتثقيفية - وإعداد زيارات بين المؤسسات التعليمية للهيئة التعليمية لتبادل الخبرات، وإعداد زيارات على المستوى الإقليمي والعالمي للمؤسسات التعليمية الرائدة لاستلهام وتبادل الخبرات التعليمية

وقد أصبحت الرخصة المهنية مطلبًا عالميًا، ويتسم اختبارها بالشفافية والحيادية. وتسعى اختباراتها لقياس كفاءة وجودة المعلمين، ومدى اكتسابهم لمعايير عالية في التعليم تؤهلهم لأداء رسالتهم التعليمية بمنهجية علمية متميزة. كما تزيد من ثقة المعلم بحصيلته الثقافية والعلمية والعمل على تطويرها. هذا إلى جانب تقدير شركاء التعليم بما فيهم الطلاب، وكذلك المجتمع للمعلمين الذين يحملون هذه الرخصة.

وتقدم جامعة دار الحكمة ماجستير القيادة التربوية الذي يركز على تطوير المهارات القيادية للمعلمين والاداريين التربويين وكذلك تنظم الجامعة برنامج تدريبي بعنوان المعلم القدوة لتساهم في تأهيل المعلمين

وبالنسبة لمستوى البيئة التعليمية، ولاسيما المباني والمرافق ومدى تهيئتها جوا ملائما للتعليم وجاذبا للطلاب، فلا شك أنَّ البيئة التعليمية المتميزة والمتكاملة عاملٌ من عوامل النجاح التعليمي، والجذب سواءً للطلاب، أو للهيئة التعليمية والإدارية. فالبيئة الداعمة للنجاح تتكامل فيها المرافق الداعمة للتعليم من معامل حاسب متكاملة ومتطورة، ومكتبة تدعم مراجعها العملية التعليمية والبحثية، وملاعب رياضية لمختلف الرياضات، والأنشطة الترفيهية، وعيادة صحية وسلوكية لدعم الطلاب الذين لديهم صعوبات تعلُّم، ووجود ساحات داخلية وخارجية، ومخارج للطوارئ آمنة، ومواقف للسيارات، ومسرح، ومطاعم مختلفة، وقاعات للاجتماعات والمؤتمرات الثقافية. وقد حرصت الوزارة على وضع مقاييس لجودة البيئة التعليمية تلتزم بها المؤسسات التعليمية من تصميم المباني وتكامل المرافق.

ومن منطلق دور البيئة التعليمية في تحقيق الجودة التعليمية أُسِس مبنى جامعة دار الحكمة ليكون نموذجًا مميزًا من نماذج أبنية التعلم، فقد أُعِدَّ وفقًا لأرفع المقاييس الدولية، ويتميز بهندسة معمارية فريدة. كما عُقِدت شراكة مع وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات لتطوير معمل الابتكار (معمل كود) وفق أحدث التقنيات المتطورة والذي يُسهِم في خدمة الجامعة والمجتمع

وفيما يتعلق بكيف يمكن لتعليمنا أن يصنع إنسانا مثقفا وقادرا على الإبداع، فأقول إنه على المؤسسة التعليمية أن تضع في أولويات استراتيجيتها أن تكون حريصة على أنْ تتسم مخرجاتها بالإبداع والابتكار الذي يساهم في دعم المجتمع ودفع مسيرته الحضارية

البيئة التعليمية المتميزة والمتكاملة عاملٌ من عوامل النجاح التعليمي، والجذب سواءً للطلاب، أو للهيئة التعليمية والإدارية.

وفي هذا الصدد، تركز استراتيجية جامعة دار الحكمة على صناعة المبدعين التي تبدأ من المنهج المتميز الذي يحفز على الإبداع والابتكار ويقدِّمه معلم يتخطى التلقين لإثارة التفكير، وتشجيع العصف الذهني، والعمل ضمن فريق واحد يتناول التحديات المطروحة في القضايا التي تحتاج لمعالجة، ويعمل على تجاوزها وإيجاد حلول لها، وطرح مشاريع إبداعية ومبتكرة وتحفيز الطلاب على تنفيذها، ونبذ فكرة الخوف من الخطأ، وتقديم الجوائز المحفزة للمنجزات التي تتسم بالإبداع والابتكار، كل ذلك في ظل بيئة متكاملة الأركان والمرافق المهيئة للإبداع، وتوفير الدعم المادي للطلاب بما يوفر لهم الموارد المطلوبة لأعمالهم

وكذلك تشجيع البحث العلمي وإقامة المؤتمرات الدولية، وكان آخرها المؤتمر الذي نظمته جامعة دار الحكمة (مؤتمر الإبداع والتكنولوجيا والاستدامة 2024). وسيرًا على نهج تحفيز مكامن الإبداع والابتكار، افتتحت الجامعة معمل الابتكار (معمل كود) الذي دشنه وزير الاتصالات وتقنية المعلومات معالي الدكتور عبدالله بن عامر السواحه في عام 2023م، وتعدُّ دار الحكمة هي الجامعة الوحيدة في المنطقة الغربية التي أُسس فيها معمل كود حيث إن وزارة الاتصالات أنشأت ستة معامل حول المملكة حتى الآن، ويحتضن المعمل المشاريع الرقمية، والبرامج والفعاليات الريادية، وتطويرها بإبداع وابتكار.

أمَّا إلى أي مدى تشجع المنظومة التعليمية على نمو الحالة المعرفية في المملكة، فقد عملت المملكة منذ تأسيسها على تشجيع المنظومة التعليمية وتطوير مراحلها المختلفة، وتوجت ذلك رؤية المملكة 2030 التي عملت على دعم التعليم والاستثمار فيه، وتوفير الدعم المادي والمعنوي لجوانبه المختلفة المنهجية واللامنهجية؛ لتنافس المنظومات التعليمية الإقليمية والعالمية، مؤكدة على

أهمية الاقتصاد المعرفي الذي يركز على تحفيز مكامن الإبداع والابتكار والتفكير النقدي البناء، والبحث العلمي المبتكر في مختلف الجوانب لمواجهة التحديات المستقبلية

كما عزَّز نمو الحالة المعرفية في المملكة إنشاء شراكات وبرامج تعاون دولية، إضافة إلى بعثات التعليم العالي في مختلف التخصصات العلمية، وقد أثرى ذلك المشهد التعليمي المحلي، وزوَّد الطلاب والمعلمين بتجارب وخبرات عالمية مختلفة مكنتهم من التعامل مع وجهات نظر متنوعة وممارسات متقدمة، وجعلت المملكة في طليعة الدول المتقدمة على المستوى التعليمي إقليميًا وعالميًا

تبدأ صناعة المبدعين من المنهج المتميز الذي يحفز على الإبداع والابتكار ويقدِّمه معلم يتخطى التلقين لإثارة التفكير، وتشجيع العصف الذهني.

الموقف الثقافي - التعليم

منظومة التعليم.. الواقع والمأمول؟

د. محمد سالم الغامدي

كاتب وباحث تربوي

التعليم في المملكة العربية السعودية لم يكن في بداياته خاضعاً لمواصفات التعليم الحديث بمكوناته الخمسة المعروفة ضمن نظام شامل كامل بأنظمته ولوائحه، بل كان يتمثل في محاولات نستطيع أن ننسبها لجهود أفراد، وكان ذلك في القرن الثالث عشر الهجري من خلال المدرسة الصولتية عام 1291 هجري، ثم جاءت بعدها المدرسة الفخرية ومدارس الفلاح والمدارس الهاشمية

ثم كانت البداية الحقيقية في عهد الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه عام 1344هـ بعد إنشاء مديرية المعارف حيث بدأ تأسيس المدارس النظامية الحكومية ثم وزارة المعارف عام 1371 هجري، ثم تأسس تعليم البنات، ثم تلتها وزارة التعليم العالي، ثم جمعت في نظام شامل تحت اسم وزارة التعليم.

لعلّ هذا التسارع في عملية تطوير نظام التعليم قد شابه بعض الخلل في كافة مساربه التي لم تخضع للمزيد من التجربة، حيث اعتمد على عمليات الحفظ والتلقين في أغلب أدواته.

ولعلّ هذا التسارع في عملية تطوير نظام التعليم قد شابه بعض الخلل في كافة مساربه التي لم تخضع للمزيد من التجربة، حيث اعتمد على عمليات الحفظ والتلقين في أغلب أدواته، ثم بدأت الوزارة تستجلب الأنظمة التعليمية المستوردة من الخارج كنظام الثانويات الشاملة، ثم الثانويات المطورة، ثم أعيد النظام القديم القائم على الحفظ والتلقين، وخلال العقدين الماضيين بدأت الوزارة تتجه إلى استيراد الأنظمة الإدارية بدلاً من أنظمة التعليم التقليدية في محاولة لمسايرة الحركة التقنية العالمية

ونتيجة لكل ذلك التجاذب المتسارع، تناست الوزارة توطيد الأساس الفكري والمهاري للطلبة (بنين وبنات) من حيث برامج تنمية المهارات والقدراته الفكرية، فطلابنا، وللأسف الشديد، أصبحوا لا يجيدون الكثير من المهارات الرئيسة كالكتابة والإملاء والقراءة وكافة المهارات الأخرى ذات العلاقة بالتخصصات، ولا حتى مهارات الحوار والتفكير، بل أصبح غالبيتهم كالببغاوات يرددون دون علم وتفكير، وهذا بالطبع أدى إلى مُخرَجٍ خاوٍ يستقبله الميدان ليتولّى البناء من جديد

وفي جانب المعلم، نعلم أنَّ أنظمة التعليم كمياه النافورة، مياهها تعود لها، لذا نجد المعلم يبدأ عمله وحصيلته شبه فارغة من المهارات التدريسية، وحتى من المعرفة فيزيد الطين بلّة

ولا شك بأنَّ مراتب المعلم المستحدثة تعد خطوة إيجابية إذا أحسن وضعُ المعايير الحقيقية التي تحدد كل مرتبة في مكانها الحقيقي

وحتى نتجاوز كل تلك العقبات والهفوات، لابد وأن نبدأ أولاً بإعادة النظر في سياسة التعليم وتعديلها بما يناسب هذه المرحلة التي نعيشها، فالمدوَّن في تلك السياسة مضى عليه أكثر من ثمانين عاماً، ومن الواجب أيضاً ألا نبالغ في استيراد المشاريع المعلَّبة من الخارج التي تصطدم بواقع تعليمي لايناسبها، بل نبدأ أولا بإصلاح العناصر التعليمية كالمباني التي لا زالت تحتاج للكثير من الإصلاح، والمعلم الذي يستوجب أن يخضع للتعليم المتخصص بعد إعادة النظر في أنظمة الكليات التربوية المتقادمة في أنظمتها ومناهجها وكافة أدواتها والمناهج التعليمية بما يخاطب الفكر والمهارة لا الحفظ والتلقين والأدوات

طلابنا، وللأسف الشديد، أصبحوا لا يجيدون الكثير من المهارات الرئيسة كالكتابة والإملاء والقراءة وكافة المهارات الأخرى ذات العلاقة بالتخصصات.

وبعد ذلك كله، علينا أن نبدأ بوضع استراتيجية تعليمية يحسن إعدادها بما يتوافق تماماً مع مطالب خطتنا التنموية الطموحة 2030 وأن يحسن إختيار القيادات التعليمية من القاعدة حتى رأس الهرم

منظومة التعليم.. الواقع والمأمول؟

منصور محمد نور أبو منصور

رئيس مجلس إدارة شركة مدارس المعرفة الأهلية

في مهبط الوحي ومنبع الرسالة المحمدية، أنزل الله العليم على نبيه الكريم {اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم}، وقال سبحانه: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}، وقال صلَّى الله عليه وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء»، وانطلق التعليم في المساجد ثم الكتاتيب ثم المدارس وسارت عجلة التطور والتطوير.

ومع دخول الملك المؤسس عبد العزيز رحمه الله مكة المكرمة عام 1343هـ أنشأ مديرية المعارف، واضعاً حجر الأساس لنظام التعليم الحديث بالمملكة العربية السعودية. ثم افتُتحت المدارس والمعاهد، وأُرسلت البعثات، ووُضعت نُظم التعليم وأهدافها ومبادؤها، واللجان العليا لسياسات التعليم، والمناهج الدراسية

وهكذا بدأ التعليم في العهد السعودي بتأسيس مديرية المعارف التي تولت مسؤولية التعليم في المملكة العربية السعودية، وكان أول مدير لها هو السيد صالح بكري شطا، وتلاه عددٌ من المديرين، كان آخرهم المربي محمد بن عبد العزيز بن مانع والذي تحولت المديرية من بعد إدارته إلى وزارة المعارف في عهد الملك سعود بن عبد العزيز، وكان الملك فهد أول وزير لهذه الوزارة

ومع دخول الملك المؤسس عبد العزيز رحمه الله مكة المكرمة عام 1343هـ أنشأ مديرية المعارف، واضعاً حجر الأساس لنظام التعليم الحديث بالمملكة العربية السعودية.

كان نظام التعليم في عهد الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع يتكون من مرحلتين:

- المرحلة الأولى هي المرحلة الابتدائية، ومدتها ستة أعوام.
- المرحلة الثانوية، وتمثلها مدرستان: الأولى: مدرسة تحضير البعثات، ومقرها مكة المكرمة، ومدة الدراسة فيها ستة أعوام، ومن يتخرج منها يبتعث للدراسة في الجامعات المصرية، والثانية: المعهد العلمي السعودي، ومقره مكة المكرمة، ومدة الدراسة فيه خمس سنوات، وخريجوه يبتعث الثلاثة الأوائل منهم إلى مصر.

ثم دارت عجلة التطور والازدهار، ونظرت وزارة المعارف حولها لتستفيد من تجارب من سبقها في هذا الميدان، مثل: تجربة فنلندا؛ القائمة على «التركيز على التعليم الشامل والمرونة في المناهج، مع قلة الواجبات المنزلية وتركيز على الأنشطة التفاعلية»، وتجربة سنغافورة؛ القائمة على «التفوق في العلوم والرياضيات، ومناهج متقدمة، وأساليب تدريس تفاعلية، وبرامج تدريب مستمرة»

كما نظرت الوزارة أيضاً إلى تجربة كوريا الجنوبية القائمة على «باستخدامٍ واسع للتقنيات الحديثة في الفصول، والاستثمار في البنية التحتية وبناء مدارس مجهزة بأحدث الوسائل التعليمية»، وتجربة اليابان «في التركيز على القيم والانضباط داخل المدارس، والتفكير النقدي والإبداعي لتعزيز مهارات التفكير لدى الطلاب»، إضافة إلى تجربة كندا «في تخصيص التعليم ليتناسب مع احتياجات كل طالب، والتعليم المتعدد الثقافات لتعزيز التنوع الثقافي داخل الفصول الدراسية»

ويمكن القول إنَّ هذه التجارب مجتمعة قدمت نماذج ملهمة لتحسين جودة التعليم في المملكة وفعاليته

ومع رؤية المملكة 2030، أصبح التعليمُ على قمة هرمها، فتحقيق أهدافها في التعليم هي حجر الزاوية الذي تستند إليه لبناء مستقبل أفضل «تطور وتقدم للوصول

لمواطن منافس عالميًا»، بما في ذلك من خلال:

- زيادة الموارد المالية الخاصة بقطاع التعليم، بغية تذليل المعوقات وتسخير الإمكانات لخدمته، حيث كان نصيب التعليم والصحة من ميزانية عام 2023م (35٪).
- تطوير المناهج التعليمية؛ وإضافة مناهج دراسية جديدة، تتعلَّق بتنمية القدرات البدنية، والمهارات الذهنية، وتعزيز مفهوم الانتماء والمسؤولية الوطنية والمجتمعية.
- زيادة الرغبة في الالتحاق بمهن التدريس بتطوير المدرسين وتأهيلهم، من خلال برامج التدريب والتطوير المهني، وعمل دورات وورش عمل لتطوير المهارات التربوية والتقنية، إضافة إلى اعتماد الرخصة المهنية للمعلمين، باختبارات لتقييم كفاءة المعلمين وضمان جودة التعليم.
- التدريب على التكنولوجيا، برامج لتعليم استخدام الأدوات الرقمية في التعليم.
- التعاون مع الجامعات العالمية، وعقد شراكات لتبادل الخبرات وأفضل الممارسات في التعليم.
- الارتقاء بمستوى البحث العلمي في المملكة، من خلال جعلها بين أول عشر دول في مؤشر التنافسية العالمية، وذلك بزيادة التمويل وتخصيص ميزانيات أكبر للبحث والتطوير، وتشجيع التعاون الدولي بإقامة شراكات مع مؤسسات بحثية عالمية، وإنشاء مراكز أبحاث متقدمة وتجهيزها بالتقنيات الحديثة، إضافة إلى منح مكافآت وتمويل للباحثين المتميزين، وتسهيل عمليات الموافقات والدعم الإداري للأبحاث، وتعزيز نشر الأبحاث في مجلات مرموقة وزيادة الوصول إليها.
- إتاحة فرص التعلم مدى الحياة بتشجيع كل من الطلاب والخريجين على التعلم عن بعد والتعلم الذاتي.
- خلق بيئة تعليمية تشجع الطلاب على الإبداع والتميز، بما في ذلك عبر الأولمبياد الوطني للإبداع العلمي، وبرنامج للكشف عن الموهوبين، وإطلاق وزارة التعليم أكثر من 100 مركز للعلوم والرياضيات STEM بغية تنمية مهارات الطلاب ومعارفهم في العلوم البحتة والتطبيقية.
- زيادة مشاركة القطاع الخاص والقطاع الأهلي في العملية التعليمية، والعمل على جعل مخرجات النظام التعليمي موافقةً لاحتياجات سوق العمل، مع إرشاد الطلاب إلى المهن التي تناسبهم وتتوافق مع ميولهم وقدراتهم.
- تنمية الطلاب ورفع كفاءتهم العلمية والمهارية، من خلال تطوير المناهج التعليمية وتطوير طرق التدريس ووسائله.

كما حرصت رؤية 2030 على تطوير التعليم الجامعي؛ وذلك بوضع أهداف تتضمن الوصول بخمس جامعات سعودية إلى قائمة أفضل مائتي جامعة بالعالم. وبالفعل، فقد صُنفت 20 جامعة سعودية ضمن قائمة أفضل الجامعات حول العالم في تصنيف التعليم العالي الجديد لعام (2024)

مع رؤية المملكة 2030، أصبح التعليمُ على قمة هرمها، فتحقيق أهدافها في التعليم هي حجر الزاوية الذي تستند إليه لبناء مستقبل أفضل.

واحتلت ثلاث جامعات سعودية المراكز الأولى في الشرق الأوسط في قائمة «QS» العالمية لأفضل الجامعات لعام (2024)، حيث جاءت جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في المرتبة الأولى سعوديًا وعلى مستوى الشرق الأوسط، والمرتبة 101 على المستوى العالمي، من بين 1500 جامعة حول العالم

كما احتلت جامعة الملك عبد العزيز المرتبة الثانية سعوديًا والمرتبة (149) عالميًا، تليها جامعة الملك سعود في المرتبة الثالثة سعوديًا والمرتبة (200) عالميًا

أمَّا بالنسبة لأبرز التغييرات التي حدثت في مختلف الجوانب من حيث الأنظمة التعليمية، فيمكن إجمالها فيما يلي:

- التحول الرقمي: تم اعتماد التعلم عن بُعد بشكل واسع، مع التركيز على منصات مثل «مدرستي».
- الاستثمار في البنية التحتية: تحسين المرافق التعليمية وتحديثها لتوفير بيئة تعليمية متطورة؛ لقد وصل نسبة انتشار الإنترنت في المملكة إلى (99 ٪)

حرصت رؤية 2030 على تطوير التعليم الجامعي؛ وذلك بوضع أهداف تتضمَّن الوصول بخمس جامعات سعودية إلى قائمة أفضل مائتي جامعة بالعالم.

- التدريب والتطوير المهني: إطلاق برامج تدريبية لرفع كفاءة المعلمين وتعزيز مهاراتهم التربوية والتكنولوجية، ومن خلال منصة تدريب نجد (12 مجلاً) (1500 دورة تدريبية)، و(180) مدرب؛ كلها في مجال التعليم.
- تنمية المهارات: التركيز على تطوير مهارات التفكير النقدي والإبداعي لدى الطلاب.

- الأنشطة اللاصفية: تشجيع المشاركة في الأنشطة الرياضية والثقافية لتعزيز النمو الشامل للطلاب.
- تحديث المناهج: تطوير المناهج لتكون أكثر ارتباطًا بمتطلبات سوق العمل والتوجهات العالمية.
- إدخال التكنولوجيا: دمج المواد التكنولوجية والبرمجة في المناهج الدراسية.

وتسعى المملكة من خلال هذه التغييرات إلى تحقيق رؤية 2030 التي تهدف إلى بناء نظام تعليمي يواكب التطورات العالمية ويعزز من تنافسية الطلاب والمعلمين

وقد صاحب هذه التغيرات إطلاق مبادرات لتحسين جودة التعليم:

1. «نافس»، وهو عبارة عن مبادرات أو برامج تهدف إلى تعزيز التنافسية بين الطلاب والمعلمين والمؤسسات التعليمية، لرفع مستوى الأداء والجودة في التعليم

2. اختبار القدرات العامة: مصمم لقياس القدرات التحليلية والاستدلالية لدى الطلاب، ويشمل أسئلة في الرياضيات واللغة، ويعتبر معيارًا للقبول في الجامعات

3. اختبار التحصيل الدراسي: يركز على قياس مستوى المعرفة التي اكتسبها الطلاب في مواد معينة، يُستخدم أيضًا كمعيار للقبول في الجامعات، بجانب اختبار القدرات

4. النسبة الموزونة، تتكون من مجموع درجات الثانوية العامة، واختبار القدرات، والاختبار التحصيلي، وتؤثر مباشرة في قبول الطالب في الجامعة

5. الرخصة المهنية: شهادة تمنح للمعلمين بعد اجتيازهم اختبارات تهدف إلى قياس كفاءتهم المهنية، بهدف تحسين جودة التعليم من خلال ضمان أن المعلمين يمتلكون المهارات والمعارف اللازمة

تسهم هذه المفردات في رفع مستوى التعليم ومواءمته مع المعايير العالمية ضمن رؤية 2030.

منصور محمد

الموقف الثقافي - التعليم

منظومة التعليم.. الواقع والمأمول؟

د. هيفاء رضا جمل الليل

رئيسة جامعة عفت

"

فيما يتعلق بالأنظمة التعليمية الحالية بالمقارنة مع الأنظمة السابقة، وما إذا كانت هناك جوانب جديدة تميزت بها الأنظمة عن سابقاتها، فأقول: نعم تميزت النظم التعليمية الحالية عن النظم التعليمية السابقة في عدة جوانب، وتشمل الاختلافات الرئيسة ما يلي:

1. التكامل التقني: استخدام الأدوات الرقمية والموارد عبر الإنترنت لتعزيز العملية ا لتعليمية
2. التعليم الشخصي: المناهج المصممة خصيصاً لتلبية احتياجات الطلاب الفردية.
3. التعليم التعاوني: التركيز على مهارات العمل الجماعي والاتصال.
4. التعليم الاجتماعي العاطفي: التركيز على الصحة العقلية والذكاء العاطفي.
5. المواطنة العالية: تتضمن المناهج وجهات نظر متنوعة ووعي ثقافي دون المساس بالعقائد.
6. مرونة البيئة التعليمية: استيعاب الأدوات والوسائل التعليمية المتنوعة لأنماط التعلم المختلفة.

تعد رؤية 2030 أهم مشروع تنموي في المملكة في العقود الأخيرة، وقد لعب الإعلام دوراً ملموساً في التعريف بها داخلياً، لكنه لم يكن فاعلاً على المستوى الخارجي

وتعكس هذه الابتكارات تحولاً نحو نهج تعليمي أكثر شمولية وتكيفاً

أمَّا بالنسبة للأنظمة التعليمية في المملكة مقارنة بالنظم المميزة على المستويين الإقليمي والدولي والنموذج الذي نراه الأفضل من وجهة نظرنا، فقد خطا النظام التعليمي في المملكة العربية السعودية خطوات واسعة مع بداية تحقيق أهداف الرؤية 2030، التي تركز على مواكبة التطورات وتوكيد الجودة والبحث والابتكار.

خطا النظام التعليمي في المملكة العربية السعودية خطوات واسعة مع بداية تحقيق أهداف الرؤية 2030، التي تركز على مواكبة التطورات وتوكيد الجودة والبحث والابتكار.

وبالمقارنة مع النظم الإقليمية، فإنَّ نظام التعليم في المملكة يركز على تعليم العلوم والفنون والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات والتدريب المهني

ومن الأنظمة البارزة على الصعيد الدولي هي تلك الأنظمة التي يتمحور نهجها حول الطلاب ودعم المعلمين مثل أنظمة التعليم في فنلندا وسنغافورة

ومن وجهة نظري، فإنَّ النموذج الفنلندي فعَّال بشكل خاص نظراً لتركيزه على الإبداع والتفكير النقدي، واعتمادهم على الاختبارات المصممة للأفراد بدلاً من الموحدة، وتعزيز النمو الشامل للطالب. ومن الممكن تبني عناصر من أمثال هذه النماذج والتي تؤدي إلى تعزيز التعليم في المملكة من خلال إعطاء الأولوية لرفاهية الطلاب، والتنوع والإبداع في طرق التعلم

وبخصوص تقييمنا للاختبارات الحالية المخصصة لتطوير وتأهيل المعلمين مثل: اختبار الرخصة المهنية للوظائف التعليمية، ففي رأيي: يكشف تقييم الاختبارات المصممة حالياً مثل اختبار الترخيص المهني للوظائف التعليمية عن نقاط القوة ومواطن الضعف. بينما تقيس هذه الاختبارات بشكل فعَّال المعرفة التأسيسية والمهارات التربوية، إلا أنه لا تزال هناك مخاوف بشأن توافقها مع طرق التدريس المطبقة على أرض الواقع.

كما يعتقد العديد من المعلمين أنَّ الاختبارات لا تقيم بشكل كافٍ قدرات التدريس العملية او التفكير النقدي. علاوة على ذلك، يمكن أن يؤدي التركيز على الاختبار الموحَّد إلى الإعداد المعرفي للاختبارات عوضاً عن استفادتهم من مخرجاته التعليمية، مما قد يكبت إبراز عنصر الإبداع لدى المعلمين في الممارسات التعليمية في هذه الاختبارات. وتعد التغذية الراجعة Feedback المستمرة من إدارات المؤسسات التعليمية وأصحاب المصلحة ضرورية لتعزيز أهمية وفعالية هذه التقييمات

بينما تقيس اختبارات الرخصة المهنية للوظائف التعليمية بشكل فعَّال المعرفة التأسيسية والمهارات التربوية، إلا أنه لا تزال هناك مخاوف بشأن توافقها مع طرق التدريس المطبقة على أرض الواقع.

وفيما يتعلَّق بمدى تمثيل مراتب المعلمين الحالية لمستوى المعلم المهني والمعرفي بدقة، وما إذا كانت هذه المراتب قد خدمت العملية التعليمية، وغيرت من نظرة المجتمع إلى المعلم، فأرى أنَّ ترقية أعضاء هيئة التدريس أكاديمياً تعتبر عاملاً أساسياً في العملية التعليمية من خلال تحديد توقعات ومسارات واضحة للتطوير المهني، فقد ساهم تقدير جهود أعضاء هيئة التدريس في تحسين نظرة المجتمع إليهم، وسلَّطت الضوء على خبراتهم والتزامهم بجوانب أخرى مثل البحث العلمي وخدمة المجتمع وليس فقط التعليم. بالإضافة إلى تعزيز مهنة التدريس باعتبار المعلم أحد أهم رموز المجتمع، ودورنا هو الاعتراف بأثر المعلمين وإبراز جهودهم وتكريمها، وتوفير رواتب وحوافز تنافسية، ودعم التطوير المهني المستمر. بالإضافة إلى دعم التعاون بين المعلمين والمجتمع

وفيما يتعلق بكيف يمكن لتعليمنا أن يصنع إنسانا مثقفا وقادرا على الإبداع، فيمكن للتعليم أن يخلق إنسانًا متعلمًا ومبدعًا قادرًا على استكشاف قضايا العالم الحقيقي ووضع حلول مبتكرة، وذلك من خلال تعزيز التفكير النقدي، ومهارات حل المشكلات، وتبني التعلم القائم على المشاريع، وتعددية التخصصات، والتعاون والحوار المفتوح بين الفصول الدراسية

بالإضافة إلى ذلك فإن دمج الفنون والعلوم التطبيقية في المناهج الدراسية يحفز الخيال ويمكن الطالب من توسيع مداركه. كما يساعد الاستكشاف والألعاب، مع وجود بيئة تعليمية داعمة، على تطوير الطلاب ذهنياً وتغذية شغفهم للتعلم مدى الحياة. فلا ينبغي أن يهدف التعليم إلى تنمية المعرفة فحسب، ولكن أيضاً إلى القدرة على التفكير الإبداعي والتكيف في عالم سريع التغير

يمكن للتعليم أن يخلق إنسانًا متعلمًا ومبدعًا قادرًا على استكشاف قضايا العالم الحقيقي ووضع حلول مبتكرة، وذلك من خلال تعزيز التفكير النقدي، ومهارات حل المشكلات.

وبالنسبة لمستوى البيئة التعليمية، ولاسيما المباني والمرافق ومدى تهيئتها جوا ملائما للتعليم وجاذبا للطلاب، ففي رأيي يتفاوت مستوى «البيئة التعليمية» لا سيما فيما يتعلَّق بالمباني والمرافق تفاوتاً كبيراً بين المؤسسات، وتعزز المساحات المصممة جيداً والتي تحفز على التعاون والراحة وإمكانية الوصول إلى تجربة تعليمية مثرية ومشاركة طلابية واسعة. كما تعزز المرافق الحديثة المجهزة بالتقنية الحديثة الابتكار، وتدعم أساليب التدريس المتنوعة. ومع ذلك لا تزال العديد من المدارس تواجه تحديات مثل عدم كفاية البنية التحتية، وعدم كفاية الموارد، والتصميمات القديمة للمباني والمرافق، والتي يمكن أن تعيق التعليم الفعال. يعد إعطاء الأولوية للاستثمار في البيئات التعليمية عالية الجودة بجانب الصيانة والتحسينات الدورية المنتظمة أمراً بالغ الأهمية لإنشاء مساحات دراسية داعمة تسهل النجاح الأكاديمي والرفاهية العامة للطلاب والمعلمين على حد سواء.

لا تزال العديد من المدارس تواجه تحديات مثل عدم كفاية البنية التحتية، وعدم كفاية الموارد، والتصميمات القديمة للمباني والمرافق، والتي يمكن أن تعيق التعليم الفعال.

وبالنسبة لتحسين وتطوير عملية تأهيل المعلمين، فأرى أنه لتحسين عمليات تأهيل وتطوير أعضاء هيئة التدريس، يجب على المؤسسات تنفيذ برامج تطوير مهني شاملة مصممة خصيصاً لاحتياجات أعضاء هيئة التدريس. ويمكن أن يشمل ذلك مبادرات إرشادية، وورش عمل منتظمة بشأن منهجيات التدريس الجديدة، وتزويدهم بالموارد اللازمة للبحث والابتكار، وتعزيز ثقافة التغذية الراجعة، والتعاون مع الأقران لتعزيز فعالية التدريس

كما تساهم نتائج التقييمات والتحديثات المنتظمة لمعايير التأهيل في توافق نتائجها مع معايير المجال التعليمي وكذلك استطلاع رأي الطلاب عن أعضاء هيئة التدريس ومدى كفاءتهم. كما أن إيجاد فرص للتعاون مع الجهات التعليمية الإقليمية والدولية لتبادل أعضاء هيئة التدريس من تخصصات مختلفة إلى إثراء خبرة أعضاء هيئة التدريس وتوسيع آفاقهم التربوية

د.نعيمة بنت إبراهيم الغنّام

باحثة تربوية واجتماعية

نائب رئيس مجلس جمعية همم لأسر ذوي الإعاقة

الموقف الثقافي - التعليم

منظومة التعليم.. الواقع والمأمول؟

إنَّ مؤسسات التعليم العام تعد من المؤسسات التعليمية المهمة جدًا، لأنها القطاع الذي يقدم الخدمة التعليمية سواءً كانت حكومية أو أهلية لأجيال المستقبل والتي تنطلق مجالاتها بالأداء التربوي والتعليمي للمتعلمين، من حيث التحصيل الدراسي، وتبني المتفوقين والموهوبين، ورعاية ذوي الأداء المنخفض، وتنمية الشخصية الصالحة المتكاملة

> سيرورة القطاع التعليمي تقوم على أقطاب يغذي كل منها الآخر، وهي: المعلم، والطالب، والمنهج الدراسي المتكامل، والمكان، والهيئة الإدارية التي يقوم على عاتقها النظام.

وسيرورة هذا القطاع تقوم على أقطاب يغذي كل منها الآخر، وهي: المعلم، والطالب، والمنهج الدراسي المتكامل، والمكان، والهيئة الإدارية التي يقوم على عاتقها النظام. لذلك ومنذ انطلاق التعليم الرسمي بالمملكة، فقد مر بمراحل متغيرة من فترة لأخرى حسب الخطط الخمسية التنموية، ومنها تنظيم جميع الأعمال التربوية والنشاطات الثقافية والعلمية التي تسهم بشكل فعّال في تطوير البلاد. وقد توجت هذه الجهود برؤية 2030ممَّا أدَّى إلى هذا الحراك القيم في سبيل الارتقاء بالأنظمة التعليمية

وبالحديث عن الأنظمة التعليمية الحالية بالمقارنة مع الأنظمة السابقة، فقد شهد العالم في النصف الأخير من القرن الماضي تقدماً علمياً وتكنولوجياً هائلاً فاق ما حققته البشرية جمعاء من تقدم طوال عمرها، وقد تمكنت الدول المتقدمة من استثمار التقدم العلمي والتقني في تطوير أنظمتها التعليمية، وتحديث أساليب نقل المعلومات، وعرضها، واستغلالها بأقصى قدر ممكن من الفائدة

وترافق التطور التقني مع بروز العديد من أشكال التعلم الجديدة التي تستهدف تعزيز التعلُّم الذاتي، ومنح المزيد من الحرية للمتعلم في اختيار البديل المناسب له من أوعية المعرفة، والتعامل الإيجابي في الحصول على التعلم المرغوب.

وقد استحدثت المملكة نظاماً جديداً يقوم على (3) فصول دراسية بدلاً من فصليين دارسيين. كما أن التعليم أصبح مدمجاً (إلكتروني وحضوري) عبر منصة مدرستي. ويمكن القول بأنَّ الأنظمة الحالية تميزت بالتالي:

سعت المملكة عبر منظومتها التعليمية إلى ترسيخ قيم التنافس والإبداع والابتكار، والذي أدَّى بالتالي إلى تفوق طلابها في المجالات العلمية، لتحصد المملكة العديد من الجوائز على مستوى العالم.

- أصبح ولي الأمر شريكاً في العملية التعليمية.
- تغير المنظومة الإشرافية إلى تمكين المدارس.
- التركيز على الممارسات التدريسية داخل الفصل.
- التوسع في تدريس اللغات، وتدريس اللغة الإنجليزية من أول أبتدائي إلى ثالث ثانوي، وكذلك تطبيق تدريس اللغة الصينية في مدارس محددة.

أمَّا بالنسبة للأنظمة التعليمية في المملكة مقارنة بالنظم المميزة على المستويين الإقليمي والدولي والنموذج الذي نرى أنه الأفضل، ففي اعتقادي أنَّ قوة التعليم هي قوة المجتمع وقوة مستقبله ولا تأتي من تلقاء نفسها، ولا تفرض عليه بقوانين خارجة عن طبيعتها الاجتماعية؛ وإنما في الأصول التي تقوم عليها. لذلك سعت المملكة عبر منظومتها التعليمية إلى ترسيخ قيم التنافس والإبداع والابتكار، والذي أدَّى بالتالي إلى تفوق طلابها في المجالات العلمية، لتحصد المملكة العديد من الجوائز على مستوى العالم

ومن وجهة نظري، فإنَّ أفضل نموذج هو التعلُّم عن طريق التشجيع على التفكير الإبداعي وحل المشكلات المستقل، والتركيز على اكتساب المهارات من المرحلة الأولى للتعليم. وأذكر في هذا الجانب أنَّ الفاضلة الدكتورة نوال أحمد حسن قدَّمت برنامجاً جربته في مدارس معينة بمدارس المنطقة الشرقية، وكان يحمل اسم «كورت»، مهارات التفكير للعالم إدوارد دي بونو عام 1970م، ويحتوي على أدوات تفكير يتم تدريب الطلبة عليها في مواقف متنوعة وتمارس في الحياة اليومية، وهو مختص في تعليم التفكير الإبداعي

كما اتضح لي من خلال حضور حصص مع الدكتورة نوال منذ أكثر من 24 سنة أنَّ هذا البذر التعليمي لأبد أن يكون قد أزهر وأينع لدى بعض مخرجات التعليم، وكنت أرجو أن يكون هذا البرنامج قد طُبِّق بشكل أوسع

أفضل نموذج هو التعلُّم عن طريق التشجيع على التفكير الإبداعي وحل المشكلات المستقل، والتركيز على اكتساب المهارات من المرحلة الأولى للتعليم.

وحول ما إذا كانت مراتب المعلمين الحالية تعكس مستوى المعلمين المهني والمعرفي بدقة، ومدى خدمة هذه المراتب العملية التعليمية، وهل غيرت هذه المراتب من نظرة المجتمع للمعلم، وكيف نجعل من وظيفة المعلم أيقونة مجتمعية كبيرة؟ ففي رأيي أنه حسب الواقع ووضع الهيئة التعليمية فإن نظام المراتب لا يعكس مستوى

المعلمين المهني والمعرفي بدقة؛ ولكنه يسهم بدرجة متوسطة بمستوى المعلم المعرفي والمهني. بالنسبة لمدى خدمة هذه المراتب للعملية التعليمية، نعم خدمت بشكل جيد بحيث ازداد المعلم في المعرفة من خلال الاختبارات وانعكس ذلك على الأداء والعطاء

وهناك ملاحظة، وهي أنَّ المراتب لم تسهم في تعزيز النظرة الإيجابية للمعلم. لذلك لابد من تحقيق البيئة المريحة للمعلم بالإضافة إلى تمكينه من تدريس مواد تخصصه، ونشر الوعي عبر الوسائل المختلفة بأهمية المعلم في المجتمع لأنه من يساعد في غرس المعرفة والقيم؛ حتى نجعل منه أيقونة. كما أرى أنَّ المعلم يجب أن يكون حاصلاً على درجة الماجستير في تخصصه

أمَّا عن مسألة تحسين وتطوير عملية تأهيل المعلمين، وتقييمي للاختبارات الحالية المخصصة لهذا الغرض مثل اختبار الرخصة المهنية للوظائف التعليمية، فأعتقد أنَّ عملية تأهيل المعلمين المطبقة حاليًا أخلت مسؤولية الإشراف من التقييم والمتابعة، والاكتفاء بحضور زملاء المعلم له من التخصصات الأخرى؛ مما أدَّى إلى القصور في منح التغذية الراجعة الإيجابية، والمداولات الإشرافية التي ترفد المعلم في تخصصه نظراً للحاجة إلى الخبرة المتخصصة الدقيقة، وليس سير الدرس وتطبيق الإستراتيجات، وإغفال عمق المادة المقدمة

لابد من تحقيق البيئة المريحة للمعلم بالإضافة إلى تمكينه من تدريس مواد تخصصه، ونشر الوعي عبر الوسائل المختلفة بأهمية المعلم في المجتمع.

وبالنسبة للتطوير، فالمعلم بحاجة إلى تدريب طويل المدى، وبالذات المعلم المستجد، وليس قصير المدى، بحيث يعطى له برنامج تدريبي لمدة شهور، وكذلك تتاح له معايشة للمعلمين ممن لديهم خبرات معرفية تراكمية في مجال التخصص

ومن ضمن التطوير، تكليف المعلم بإجراء البحوث التخصصية، وتقديم أوراق عمل بحثية ودراسات من واقع ممارسته العمل ومعايشته للطلاب

بالنسبة للرخصة المهنية، فإضافتها أمر مهم جداً بالنسبة للارتقاء بالمعلم، حيث تمكنه من مراجعة المناهج والمفاهيم الأساسية ومستجدات العملية التعليمية، وبحسب الواقع فالاختبار ينقسم إلى قسمين: تخصصي وتربوي. التخصصي يمكن للمعلم الرجوع إلى الكتب العامة، وكتب المناهج في الجامعة والاستزادة منها. أمَّا التربوي فله أصول ونظريات وقوانين مستمدَّة من مختلف فروع المعرفة الإنسانية؛ لذلك يتطلَّب منهجاً واضحاً من الوزارة بكامل المحتوى التربوي المطلوب بحيث يستفيد منه المعلم بشكل صحيح، وتدوين حقيبة كاملة للرجوع إليها عند طرح أي تساؤلات، بحيث لا يترك الموضوع للآراء المختلفة

ويحضرني في هذا المحور تطوير وتحسين لأفراد العملية التعليمية، مقترح مشروع بمسمى التقويم المتبادل بين أفراد العملية التعليمية رئيساً ومرؤوساً، لأن كل فرد في موقعه مقوِّم ومقوَّم بداية من أعلى الهرم إلى نهايته من أجل تحقيق مؤسسات تربوية متقدمة تقدمًا نوعيًا.

وقد قدَّم هذا المشروع للإدارة العامة للتعليم بالمنطقة الشرقية عام 2004م، حيث طرحت الفكرة من مساعد المدير العام للشؤون التعليمية الدكتور سامي الخنيني سابقًا، وتبنتها مديرة الشعب الإدارية النسائية حينها الباحثة نعيمة الغنّام حيث قامت بتشكيل فريق عمل يتكون من أ. نوال الجميعة، ود.ملكة الطيار، وأ. ناعمة القحطاني، وأ.عواطف المشاري.

فالتقويم المتبادل هو تلك العملية التي يتم فيها تقدير عمل الرئيس من قبل مرؤوسيه بهدف التعرف على جوانب القوة وتعزيزها والتعرف على جوانب الضعف وإعادة النظر فيها بتحسينها ليتحقق المخرج التربوي النافع للمجتمع.

ويهدف التقويم المتبادل إلى الارتقاء بمستوى العملية التعليمي على الصعيد العام، والارتقاء بمستوى أداء الأفراد في العملية التعليمية على الصعيد الخاص، والمساعدة في رسم الخطط المستقبلية في كافة المؤسسات التعليمية وفق أسس علمية قائمة على الإحصاءات الدقيقة والمعلومات الصادقة، وتعزيز مبدأ الثقة المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس بإيجاد مساحة حرة للمناقشة والحوار، إضافة إلى بث روح الحماسة للعمل بين أفراد المؤسسة لتحقيق الأهداف المرسومة، وتذكير المؤسسات التربوية بمسؤولياتها تجاه المجتمع وأنَّ العمل التربوي رسالة وليس وظيفة فقط

ومن أساليبه التي اقترحت وقتها: التدريب القبلي للفئات الخاضعة لهذا المشروع، بحيث تعقد مديرة المدرسة اجتماعاً للمعلمات والموظفات الإداريات وتناقشهن في المشروع، وتعرف بأهدافه، والفئة المستفيدة، وآليته، إضافة إلى عقد اجتماع آخر مع عدد من أمهات الطالبات المختارات للمشاركة في تقويم المدرسة. وأعتقد أنَّ التقويم الذاتي المطبق حالياً في المدارس قريب من هذا المشروع

والشاهد مما ذكر أنه كانت هناك تجارب تربوية رائدة ولكن مع الأسف لم يُؤخَذ بها ولم تخضع لمعايير لتقييمها وتطبيقها. كما أنه علينا الاستفادة من التجارب الدولية وتطبيقاتها وأفكارها التربوية لمزيد من التقدم في ظل عالم مُتغير

وفيما يتعلق بمستوى «البيئة التعليمية» ولاسيما المباني والمرافق، وما إذا كانت تهيئ جوًا ملائمًا للتعليم وجاذبًا للطلاب، ففي رأيي أنَّ البيئة التعليمية التعلمية تعتبر اليوم من أهم المواضيع على النطاق المؤسسي وتحدياته الواسعة، لما لها من أثر على الاستراتيجات التي تقوم عليها العملية البيداغوجية منذ المراحل الأولى للتعليم، وما تقوم عليه من الاهتمام بالأبعاد المعرفية، والنفسية والاجتماعية. وأمامنا تحديات كبيرة في هذا الشان في ظل وجود نوعين من بيئات التعلم: «بيئة التعلم الداخلية»، و«بيئة التعلم الخارجية»، وأثرهما على منظومة التعليم باعتبارهما من متطلبات الوقت الآني وما يشهده من تحديات تتطلب التغيير ومتابعة هذه التحديات في ضوء بيئات مادية غنية بالمصادر الرقمية، والأجهزة التكيفية لتعزيز التعلم النشط والفصول الذكية

ويحضرني ماكان يدون في تقارير إدارات التعليم بشأن إصلاح بيئة التعلم في المؤسسات التعليمية ما قبل الألفية الثالثة وخلالها حتى تتماشى مع متطلبات العصر الواجب توافرها لتحقيق الجودة في التعليم، والذي ينعكس بمنتج للمؤسسة التعليمية يضاهي أي منتج كان

البيئة التعليمية التعلمية تعتبر اليوم من أهم المواضيع على النطاق المؤسسي وتحدياته الواسعة، لما لها من أثر على الاستراتيجات التي تقوم عليها العملية البيداغوجية منذ المراحل الأولى للتعليم.

ونجد أنَّ التقويم الذاتي، والذي يعتمد على تقييم الطالب، وولي الأمر، والمعلم للمدرسة يعتمد بشكل كبير على مخرجات التعليم لدى الطلاب. وبناءً عليه يُحدَّد مستوى لكل مدرسة من أربع مستويات (تميز-متقدم -انطلاق – تهيئة)

ومن منطلق التعرف على الوضع القائم بالنسبة للمدارس وبحسب علمي، فإنَّ جميع مباني المدارس هي مبانٍ حكومية ولم تعد هناك مبانٍ مستأجرة كالسابق. والحقيقة أنَّ المباني الحكومية جيدة إلى حدٍ ما، لكنها تعاني من:

- الصيانة الدورية (المكيفات -دورات المياه- المرافق العامة)
- التجهيزات التقنية ضعيفة ولا تتماشى مع التطور السريع والتحول الرقمي المتطلع- أضافوا منصة «مدرستي» لكنها لا تُفعَّل بشكل جيد من قبل الطلاب، ولاتتوفَّر أجهزة للطلاب في المدارس، حتى معامل الحاسب لا تتوفر في بعض المدارس.
- تكدُّس أعداد الطلاب في الفصل الواحد بشكل كبير، ممَّا يعيق سير العملية التعليمية.

أمَّا بالنسبة لكيف يمكن لتعليمنا أن يصنع إنسانًا مثقفًا قادرًا على الإبداع؟ فمن الواضح أنه يتم تناول هذه القضية من وقت لآخر، وهي أن التعليم لا يصنع مثقفًا، حيث تطرح عدة تساؤلات عن الأسباب التي

أدّت لذلك وكيفة الخروج من الدائرة المغلقة. من وجهة نظري، فإنّ بناء نهج قويم وصرح قوي قادر على إرساء مفهوم المحبة، من شأنه أن يثمر منتج الثقافة لمجتمع واعٍ فكريًا واجتماعيًا واقتصاديًا. ثقافة مادية حياتية، ولا مادية، من ممارسات واهتمامات وسلوكيات تنتج الإبداع بتنوعاته المختلفة (فن الهندسة المعمارية- الفنون البصرية. الموسيقى-الشعر- المسرح- الرواية- الإلقاء، وغيرها)

وفيما يتعلق بمدى تشجع المنظومة التعليمية على نمو الحالة المعرفية في المملكة، فأعتقد أن الحالة المعرفية تعتمد على عناصر التعليم الأساسية: الطالب والذي هو محور العملية التعليمية، والمعلم، والمحتوى التعليمي الإلكتروني، ومصادر التعلم، والتعلم الإلكتروني ومكان الدراسة، والإدارة. هذه كلها مجتمعة تساعد على العمليات الذهنية العقلية، وبرامج حل المشكلات التي تساعد على النمو المعرفي بالتجربة والتفسير والتحليل، وعلى ضوء متابعتي لمخرجات التعليم بالمملكة من تحقيق جوائز علمية على المستوى العالمي في إنجاز مشرف، وتمكّن طلاب وطالبات المملكة من حصد 114 ميدالية وجائزة كبرى خاصة خلال مشاركتهم في أكبر مسابقتين عالميتين للعلوم والهندسة والاختراع والابتكار، وهما «آيسف» و«آيتكس 2024». وبالتأكيد فإن أسس المناهج غير منفصلة، وإنما متكاملة ومتفاعلة مع بعضها تفاعلًا عضويًا، وأي فكرة في مجال المناهج يجب أن تكون ثلاثية الأبعاد الطالب- المعرفة– المجتمع

منظومة التعليم.. الواقع والمأمول؟

خلاصة:

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج الآتية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء التعليم من مقترحات وسياسات لتعزيز ما تشهده المنظومة التعليمية في المملكة العربية السعودية من تطورات على مختلف المستويات:

أولاً: تطوير المناهج الدراسية بحيث تحفز على الإبداع والابتكار ويقدّمها معلم يتخطى التلقين لإثارة التفكير، وتشجيع العصف الذهني، والعمل ضمن فريق واحد يتناول التحديات المطروحة في القضايا التي تحتاج لمعالجة، ويعمل على تجاوزها وإيجاد حلول لها، وطرح مشاريع إبداعية ومبتكرة وتحفيز الطلاب على تنفيذها، ونبذ فكرة الخوف من الخطأ، وتقديم الجوائز المحفزة للمنجزات التي تتسم بالإبداع والابتكار

ثانياً: إعادة النظر في سياسة التعليم، وتعديلها بما يناسب هذه المرحلة التي نعيشها، مع عدم المبالغة في استيراد المشاريع الجاهزة من الخارج والتي قد تصطدم بواقع تعليمي لايناسبها

ثالثاً: الاستفادة من النماذج التعليمية المميزة حول العالم، مثل النموذج الفنلندي الذي يعد فعَّال بشكل خاص نظراً لتركيزه على الإبداع والتفكير النقدي، واعتماده على الاختبارات المصممة للأفراد بدلاً من الموحدة، وتعزيز النمو الشامل للطالب وذلك من خلال إعطاء الأولوية لرفاهية الطلاب، والتنوع والإبداع في طرق التعلم

رابعاً: ترسيخ العنصر الإبداعي في العملية التعليمية من خلال تعزيز التفكير النقدي، ومهارات حل المشكلات، وتبني التعلم القائم على المشاريع، وتعددية التخصصات، والتعاون والحوار المفتوح بين الفصول الدراسية، إضافة إلى دمج الفنون والعلوم التطبيقية في المناهج الدراسية والذي من شأنه أن يحفز الخيال ويمكن الطالب من توسيع مداركه

خامساً: إعطاء الأولوية للاستثمار في البيئات التعليمية عالية الجودة بجانب الصيانة والتحسينات الدورية المنتظمة للمباني والمرافق التعليمية والتي تعد أمراً بالغ الأهمية لإنشاء مساحات دراسية داعمة تسهل النجاح الأكاديمي والرفاهية العامة للطلاب والمعلمين على حد سواء.

سادساً: تنفيذ برامج تطوير مهني شاملة مصممة خصيصاً لاحتياجات أعضاء هيئة التدريس، بما يشمل مبادرات إرشادية، وورش عمل منتظمة بشأن منهجيات التدريس الجديدة، وتزويدهم بالموارد اللازمة للبحث والابتكار، وتعزيز ثقافة التغذية الراجعة، والتعاون مع الأقران لتعزيز فعالية التدريس، إضافة إلى استطلاع رأي الطلاب عن أعضاء هيئة التدريس ومدى كفاءتهم، وإيجاد فرص للتعاون مع الجهات التعليمية الإقليمية والدولية لتبادل أعضاء هيئة التدريس من تخصصات مختلفة بما من شأنه إثراء خبرة أعضاء هيئة التدريس وتوسيع آفاقهم التربوية

سابعاً: تعزيز مكانة المعلم في المجتمع في إطار جهود متكاملة، تبدأ من الأسرة التي لابد أن تعزز في أبنائها منذ المراحل الأولى للتعليم دور المعلم في بنائهم وبناء مجتمعهم، وما يجب عليهم من احترامه وتقديره، مروراً بالمؤسسات التعليمية التي عليها أن توفر البيئة المريحة للمعلم بالإضافة إلى تمكينه من تدريس مواد تخصصه، وانتهاء بالإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي من حيث التعريف برسالة المعلم السامية وأنَّ وراء كل منصب ومسمى في المجتمع معلم صنعه

ثامناً: بث روح الحماسة للعمل بين أفراد المؤسسات التربوية لتحقيق الأهداف المرسومة في رؤية المملكة 2030، وتذكير المؤسسات التربوية بمسؤولياتها تجاه المجتمع وأنَّ العمل التربوي رسالة وليس وظيفة فقط

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

العدد التاسع - معارض الكتاب

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
أكتوبر - 2024

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل نصف شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية

إخلاء مسؤولية:

الأراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد تمثل الكتاب والمثقفين المشاركين ولا ينبغي أن تنسب إلى مركز الخليج للأبحاث.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الموقف الثقافي

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

(الأندية الادبية، اللغة العربية، الفنون التشكيلية، التعليم، المسرح، السينما، معارض الكتاب، التاريخ، الاعلام، الثقافة والمثقف)

المدخل

تمثل معارض الكتاب ركناً أساسياً في المشهد الثقافي في عالمنا العربي، لا سيما مع انعقادها في معظم العواصم العربية، وفي فترات مختلفة من العام، مستقطبة العشرات من دور النشر المحلية والعربية والدولية، ومستضيفة على هامشها فعاليات متنوعة يشارك فيها مثقفون من داخل كل دولة وخارجها لمناقشة أبرز القضايا الثقافية والفكرية. كما تمثل نافذة أساسية لعرض الإصدارات الجديدة في مختلف المجالات، والتعريف بها على نطاق واسع، وهو ما يسهم في ترسيخ ممارسة القراءة.

ومع هذا الدور الكبير لمعارض الكتب في تعزيز الحالة القرائية إلا أنّها تواجه تحديات عدة سواءً فيما يتعلق بنوعية المعروض من الكتب، أو فيما يتعلق بالفعاليات ومستواها، أو من حيث المدة الزمنية والمساحة المكانية المتاحة لدور النشر المشاركة لعرض إصداراتها. ومن هنا تأتي الحاجة لمناقشة هذه التحديات والعمل على تعزيز دور المعارض في دعم الحالة المعرفية بصورة عامة، بحيث تصبح أكثر فاعلية في رفد المشهد الثقافي ومدّه بالإصدارات الحديثة النوعية في مختلف المجالات

هناك من يشير إلى أن دور معارض الكتاب المعرفي قد بدأ في الخفوت، لاسيما مع تسيد دور نشر لا تهتم بالالتزام بالمعايير المنهجية المعرفية للكتاب الذي ستقوم بطبعه ونشره، مقدمة المال على الإبداع، والترفيه على جودة النص ومتانته، وبذلك فقد أخذت على عاتقها نشر عديد من الكتب باسم مشاهير السوشل ميديا، والتي غالبا قد كتبت باسمهم بأسلوب ركيك، أو نشر الكتب والروايات الغرائبية على غرار مجموعة "هاري بوتر" وما شاكلها. وكلا الأمرين قد أثرا على طبيعة وشكل ووظيفة معرض الكتاب في الوقت الراهن.

في هذا الإطار، ورغبة من البرنامج الثقافي في "مركز الخليج للأبحاث" في إيجاد مقترحات للدفع بدور المعارض في المشهد المعرفي، فقد وجه الأسئلة الآتية لعدد من المثقفين:

- **هل تحقق معارض الكتاب الغاية المرجوة منها؟**
- **هل خدمت معارض الكتاب الثقافة الحقيقية؟**
- **هل أعطيت دور النشر المعرفية المشهورة حقها في معارض الكتاب؟**
- **كثرة الفعاليات الثقافية أوحت بأن المعرض يقام على هامشها، كيف تنظر إلى هذا الأمر؟**
- **هل فعالية توقيع الكتب وفق الإجراء القائم حققت الهدف منها؟**
- **ما مقترحك لتعزيز دور المعارض في خدمة الحالة المعرفية على صعيد النشر وبناء المشهد الثقافي؟**

وفيما يلي نورد إجابات هؤلاء المثقفين، مرتبة أبجدياً:

الدكتور أحمد عبد الملك

أكاديمي وروائي ـ قطر

في البداية، لا يمكن الجزم بأن معارض الكتب تحقق الغاية المرجوة منها في زمن معين، وذلك لأن الثقافة كمٌّ تراكُمي، لا يمكن قياس نتائجه في عام أو عامين، كما أنه من الصعوبة بمكان، الوقوفُ على درجةِ أو مدى تحقق الغاية من هذه المعارض. ومع ذلك، فإنَّ تنظيم هذه المعارض، وتعوّد الجمهور على ارتيادها هو بحد ذاته مكسب حضاري، يؤدي إلى المزيد من نشر المعرفة، ويشجّع الكُتاب المبتدئين على خوض تجربة التأليف، والالتقاء مع الناشرين

وفيما يتعلق بمدى خدمة المعارض للثقافة الحقيقية، فهذا سؤال يجب أن نحترز من الإجابة الدقيقة عليه، فمعنى ثقافة محدد، ولكن ثقافة حقيقية! تبدو تحتاج إلى قياس نوعي عبر بحوث تحليل المضمون.

في المعارض توجد الكتب الجادة والإبداعية، وتوجد «ترهات» الكتب، التي لا تخرج عن مضامين «هواجس» آخر الليل، وبعض (القص واللزق)، ومع وجود الذكاء الاصطناعي، زادت الهوّةُ بين الإنتاج الراقي والنفيس، وبين الإنتاج المتواضع، الذي يتكسّب أصحابهُ الشهرة.

في المعارض توجد الكتب الجادة والإبداعية، وتوجد أيضاً بعض «ترهات» الكتب، التي لا تخرج عن مضامين «هواجس» آخر الليل، وبعض (القص واللزق) من المصادر. ومع وجود الذكاء الاصطناعي، زادت الهوّةُ بين الإنتاج الراقي والنفيس، وبين الإنتاج المتواضع، الذي يتكسّب أصحابهُ الشهرة

وبالنسبة لدور النشر، وهل أعطيت حقها في معارض الكتب، أعتقد بأن الإجابة ستكون: نعم، فالجهة المُنظمة تستقبلُ طلبات العارضين، وتدرجها ضمن مخططاتها، وتحبذ تلك الجهة أن يزيد عدد الطلبات والمشاركات. قد تواجه بعض دور النشر بعض الصعوبات في قضية «الرقابة» في بعض الدول، وقد تتردد عن المشاركة، ولكن في الأغلب، لدور النشر حق المشاركة

بالنسبة للفعاليات التي تُلازمُ معارض الكتب، فهي مهمة، وتشكل نقطة التقاء بين الكاتب والجمهور، وبين الجمهور والنقاد المتخصصين، وأرى أن تنظيم هذه الفعاليات وحُسن اختيار الأوقات لها، من الأمور المهمة في معارض الكتب، ولن تكون المعارض هامشية أبداً بوجود هذه الفعاليات

وواقع الحال فلي موقفٌ من حفلات توقيع الكتب! فأنا ضد الترويج المُبالغ فيه للإصدارات، كما أنَّ الآلية التي يتم فيها توقيع الكتب، في الصالونات أو على المسرح، آليةٌ عقيمة، ولا تُضيف شيئاً إلى الكاتب أو الجمهور؛ ذلك أنَّ الجمهور لم يقرأ الكتاب الذي يتم توقيعه، وبالتالي لا يستمع إلى حديث الكاتب عن مؤلفه، ما يهمه اقتناء الكتاب وتصوير غلافه ووضعه في الحسابات المختلفة عبر أدوات التواصل، بل وقد يصل الأمر إلى أنَّ الذي اقتنى الكتاب لا يقرأه!؟ وهذه إشكالية.

> **الآلية التي يتم فيها توقيع الكتب، في الصالونات أو على المسرح، آليةٌ عقيمة، ولا تُضيف شيئاً إلى الكاتب أو الجمهور.**

أقول لم تحقق الهدف منها، وهي تأتي ضمن الترويج غير المُمَنهج الذي يفيد الكاتب والقارئ. هنالك من يريد الاستفسار من الكاتب عن قضية معينة، أو فقرة في الكتاب، وهذه إيجابية جيدة، ولكنني ضد الترويج وصنع «أصنام من ورق»!

أنا أرى أنَّ معارض الكتب ليست «دكاكين

« لبيع الكتب فقط، بل إنها تصب في صناعة النشر، ودعم المعارف، وفتح العقول، عبر المناقشات، واختلافات وجهات النظر، ما يمكن أن يخلق حواراً فكرياً حول قضية معينة أو عدة قضايا.

أمَّا ما يمكن اقتراحهُ في هذا الصدد، فهو: التنسيق مع وزارات التعليم من أجل تنظيم زيارات محدَّدة للمدارس المختلفة للمعرض، وتخفيض قيمة الكتاب، أو وضع تعرفه خاصة للطلبة، الذين يشكلون شريحة كبيرة من المجتمع.

وجود التكنولوجيا الحالية أيضاً يُسهل عملية الإثراء الثقافي لدى الجمهور، كما أنَّ دور النشر مُطالبةٌ بالتحقق من الكتاب الجيد، والمنقح، والخالي من الأخطاء المطبعية والنحوية، حتى نصل إلى الكتاب الجيد.

لقد صنعت بعض المعارض جمهوراً من القراء الذين يتلذذون بقراءة كتب الخوارق والأساطير والعنف والجريمة، وهذا اتجاهٌ يجب أن يتوقف، لأنَّ المراهقين والمراهقات يقبلون على هذه النوعية من الكتب، التي تعمد إلى الإثارة والعنف، دون أن تحُقق المعرفة الثقافية، أو المتعة النفسية أو قضاء الوقت المفيد في القراءة

> **لقد صنعت بعض المعارض جمهوراً من القراء الذين يتلذذون بقراءة كتب الخوارق والأساطير والعنف والجريمة، وهذا اتجاهٌ يجب أن يتوقف**

الموقف الثقافي - معارض الكتاب

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

أسماء صديق المطوع

مؤسسة ورئيسة صالون الملتقى ـ الإمارات، أبو ظبي

لا ريب أنَّ معارض الكتاب قد أصبح أمر إقامتها ضرورة حتمية، لأنها تشكل مساحة ليس لعرض المنتوج الثقافي فحسب، بل للتواصل مع قراء ومبدعين يعملون في ذات الحقل المعرفي، فالكاتب لا يجد فرصة تتيح له اللقاء بجمهوره أفضل من هذه المعارض، فلا يمكن الحديث عن كاتب معزولٍ عن جمهوره، ولا عن كتاب معزول عن قرائه.

وتعمد عدد من المعارض لاختيار موضوع سنوي ودولة لاستضافتها مما يثير حالة من الاهتمام بالموضوع أو الدولة محل التركيز من قبل جمهور المعرض، ويعرف الكثيرين خاصة الناشئة بالمؤلفين من هذه الدولة وهو أمر محمود ويدعم غاية المعارض

> لا يجد الكاتب فرصة تتيح له اللقاء بجمهوره أفضل من هذه المعارض، فلا يمكن الحديث عن كاتب معزولٍ عن جمهوره، ولا عن كتاب معزول عن قرائه

وفيما يتعلَّق بسؤال هل تخدم معارض الكتاب الثقافة الحقيقية؟ فالجواب: بالطبع نعم، لأنَّ العمل الثقافي يحتاج إلى مكان ينتمي إليه ويستمد حياته منه ليتمكَّنَ من إيصال رسالته، ومعارض الكتاب هي المكان الذي من خلاله تتمكَّن الثقافة من خلق جسور مع طرفي العملية (المبدع والمتلقي)، فمعارض الكتاب لا يكون الحديث عن أهميتها وضرورتها منفصلاً عن الحديث عن صناعة الكتاب، وذلك من واقع خبرتي مع القراءة والكتب الممتدة لثلاثة عقود الآن، فالكتاب صناعة والكتابة صناعة هي الأخرى

ولعلّ من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ المخطوطات العربية المبكرة التي وصلتنا كانت تشير تحديداً إلى أنّ الكتابة (شعراً ونثراً) هي صناعة رفيعة، فنجد في هذا الصدد كتباً مثل «الخراج وصناعة الكتابة» لقدامة بن جعفر، و«العمدة في صناعة الشعر ونقده» لابن رشيق القيرواني، ومعارض الكتاب هي سوق لصناعة الكتاب والكتابة وترويجهما.

اقتران عدد من الجوائز الثقافية كجائزة الشيخ زايد للكتاب، أو الجائزة العالمية للرواية العربية يسهم في دعم حركة الكتابة والنشر، وتشجيع الكتاب والمؤلفين ويثري المشهد الثقافي عمومًا

والثقافة الحقيقية لا يمكن عزلها عن صنّاعها أو المستفيدين منها، إنها حرفة نبيلة قد نكتبها في غرف مغلقة، ولكننا نتداولها في ساحات مكشوفة ورحبة. كما أنّ اقتران عدد من الجوائز الثقافية كجائزة الشيخ زايد للكتاب، أو الجائزة العالمية للرواية العربية اللتان ترتبطان بمعرض أبو ظبي الدولي للكتاب يسهم في دعم حركة الكتابة والنشر، وتشجيع الكتاب والمؤلفين وبالتالي يثري المشهد الثقافي عمومًا

وحول ما إذاكانت دور النشر المعرفية المشهورة قد أعطيت حقها في معارض الكتاب؟ فيمكن القول إنه لكل دار سياستها، ولمعارض الكتاب سياساتها أيضاً، وخلال العقود القليلة الماضية ومع انتشار المعارض في عواصم عديدة صار ذلك مدعاةً إلى ظهور مئات من دور النشر التي بدأت تتناسل خارج حدود الجغرافيا اللغوية، فالحديث عن دور نشر مرموقة خارج البلاد العربية أصبح محسوماً ومؤكداً،

من هنا بدأ صراع صامت بين الناشرين على استقطاب كبار الكتاب، أو نشر أمهات الكتب، أو الاتفاق مع ورثة المؤلفين ممن تركوا تأثيرات في العمل الإبداعي، فنجد دوراً عريقة لم تتمكن من خوض غمار

هذا السباق فتوقفت عن العمل، وبعضها حاول أن يواكب التطورات المتسارعة ليتمكن من العبور إلى المستقبل وإضافة رصيد جديد إلى تجاربه السابقة، وهذه الدور أصبحت جزءاً من الذاكرة الجمعية، وغالباً ما تجد الحفاوة والاهتمام من القائمين على معارض الكتاب أو جمهورها ومرتاديها

بالنسبة للفعاليات الثقافية وعلاقتها بالمعرض، شخصياً أجد أنّ هناك تواصلاً بينهما، فالفعاليات الثقافية في جوهرها توفر زاوية أخرى للنظر إلى العمل الثقافي ودوره وعلاقته بجمهوره المباشر. فلو نظرنا إلى الفكرة بكليتها نجدها إضافة كبيرة بسبب تعدد مستويات الخطاب الثقافي، ولكن في الوقت ذاته أجد أن من الضروري العمل على جعلها أكثر منهجية وتنظيماً بطريقة لا تترك تأثيراً سلبياً على الفعاليات الأخرى.

الفعاليات الثقافية في جوهرها توفر زاوية أخرى للنظر إلى العمل الثقافي ودوره وعلاقته بجمهوره المباشر

بالنسبة لفعالية توقيع الكتب، أرى أنّ توقيع الكتب وفق ما هو معمول به الآن يُفقِد الكاتب بعضاً من حضوره، ويُفقِد الكتاب جانباً من تأثيره. فالكاتب ينتظر هذه اللحظة بشغف وحماسة، ولكن ينتهي به الأمر محاطاً بثُلةٍ قليلة من أصدقائه ومريديه في زاوية غير مؤثرة، أعتقد أنّ الاهتمام بهذه الفعالية وفق ضوابط تنظيمية جديدة سيكون أمراً يعيد الكاتب وكتابه إلى دورهما الحقيقي. وقد يتم ذلك من خلال إقامة الفعالية في دار النشر ذاتها أو على الأقل في مكان فاعل من المعرض مع التنبيه عليها في مختلف الوسائل والوسائط

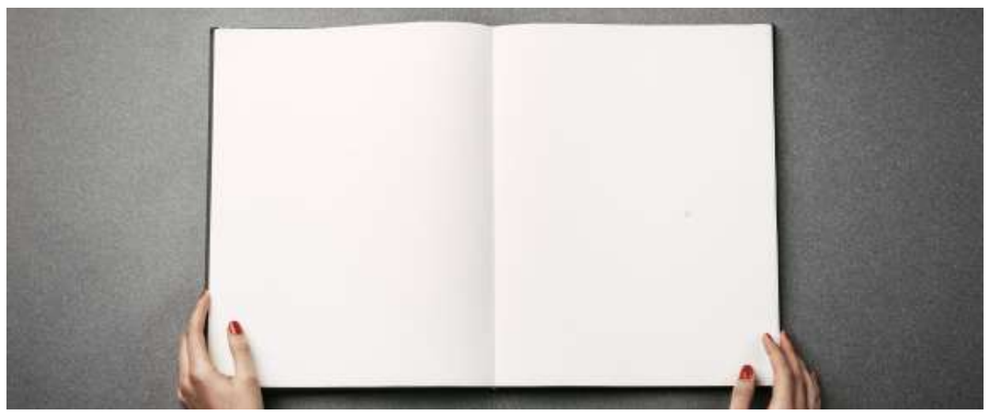

وفيما يتعلق بالمقترحات لتعزيز دور المعارض في خدمة الحالة المعرفية، فأرى أنَّ معارض الكتب لم تعد موجهة للجمهور المحلي في البلد الذي تُقام به، إذْ إنَّ من أطلق عليهم الكاتب المعروف أنستاس الكرملي مصطلح «صرعى الكتب والمكتبات» يتنقلون بين البلدان في مطاردة جمالية لافتة لتعقب مصادر الكتاب.

> توقيع الكتب وفق ما هو معمول به الآن يُفقِد الكاتب بعضاً من حضوره، ويُفقِد الكتاب جانباً من تأثيره

ومنذ تأسيس صالون الملتقى الأدبي عام 1995م ودخولي معترك الاهتمام بالقراءة والانشغال بدائرة المعرفة والكتابة، أصبحت أرى أنَّ إقامة معارض الكتاب في أوقات متقاربة يجعل دائرة الكتب واحدة، بمعنى أنَّ الفترة القصيرة المتاحة بين معرض وآخر لا تكفي لإصدار منشورات جديدة، فيتنقل الكتاب ذاته في عشرة معارض مختلفة.

لذا من الضروري العمل على خلق اتفاقيات بين الناشر والهيئات المنظمة تتحدَّد بموجبها مواقيت المعارض. كما أقترح توفير بعض التسهيلات للناشر كالمشاركة في تحمُّل نفقات السفر والإقامة والشحن وما يتبعها من قبل الجهات المنظمة، وفي المقابل يعمل الناشر على تخفيض كلفة البيع ليصل الكتاب إلى شريحة أوسع من القراء

وتنظيمياً أدعو إلى العمل على منهجية توفّر للفعاليات القدرة على الوصول للمتلقي بسلاسة، وألا يشعر القارئ بالتشتت وهو ينتقل من مكان إلى آخر ليتمكن من الإحاطة بمجموعة من الفعاليات التي تقام في الوقت ذاته

الموقف الثقافي - معارض الكتاب

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

أ.د. جليلة الطريطر

ناقدة مختصّة في كتابات الذّات – تونس

تمثّل معارض الكتب سوقا بمعناها الاصطلاحيّ الاقتصاديّ، ولكنّها سوق معرفيّة ثقافيّة، ومعنى ذلك أنّها سوق مخصوصة جدّا، لأنّ البضاعة الّتي تعرضها متمثّلة في أنواع من الكتب ليست مجرّد بضاعة استهلاكيّة ماديّة، بل هي بضاعة فكريّة ثقافيّة ومعرفيّة تصنع الإنسان بما هو كائن عاقل مفكّر يحتاج إلى غذاء فكريّ ومعرفيّ يبني من خلاله ذاته الإنسانيّة الراقية الّتي تسمو على حاجاتها الاستهلاكيّة الأوليّة المرتبطة بمعاشها ومتطلّباتها اليوميّة.

إنّ المطلب المعرفيّ هو أيضا غذاء يخاطب الكيان المعنويّ في الإنسان، ويفتح أمامه سبل التواصل مع الغير وسبل التّأثير في الوجود والطبيعة، ولاشكّ في أنّ الكتاب كان وما يزال سواء في شكله الورقي أو الإلكتروني المتطوّر E-book هو من أهمّ وسائل اكتساب المعرفة، وله دور بارز وفعّال في تأمين المبادلات المعرفيّة بين البشر في مختلف بقاع العالم، بما من شأنه أن يطوّر المعارف ويجعلها في المتناول بين المتعلّمين والمثّقفين على وجه أعمّ.

> لاشكّ في أنّ الكتاب كان وما يزال سواء في شكله الورقي أو الإلكتروني المتطوّر E-book هو من أهمّ وسائل اكتساب المعرفة، وله دور بارز وفعّال في تأمين المبادلات المعرفيّة بين البشر في مختلف بقاع العالم

وفي ذلك يتمثّل بالأساس دور المعارض، وخاصّة منها المعارض الدوليّة للكتاب الّتي تعتبر السوق الأوسع لنشر الكتب وعرضها للاستهلاك. ولكنّ الازدواجيّة الّتي تجعل من معارض الكتب سوقا تتدخّل فيها أطراف تجاريّة (النّاشرون خاصّة) معنيّة بتحقيق عمليّات ربحيّة جرّاء ما تقدّمه من خدمات متّصلة بالكتاب كبضاعة للتسويق، والطبيعة اللاّماديّة من ناحية أخرى، أو لنقل المعرفيّة الّتي تتحدّد بها هذه البضاعة ذات المفعول الثّقافي الرمزي، من شأنها أن تحدث إشكالات عدّة وفي أكثر من مستوى

وتختلف المعارض الدوليّة باختلاف الجهات الدوليّة المنظّمة لها، لأنّ التنظيم الماديّ للمعرض هو بحدّ ذاته تحدّ كبير يتوقّف عليه نجاح المعرض من فشله. فالملاحظ اليوم على صعيد عربيّ أو حتّى عالميّ، أنّ الدوّل الّتي تتمتّع بإمكانيّات ماديّة كبيرة ولوجستيّة متقدّمة هي الأقوى في هذه السوق من حيث إحكام التنظيم وجماليّة العرض وتوفير المعلومة المفيدة للزائرين والقدرة على استقطاب دور النّشر الكبيرة وتوفير مناخ يمكّن القارئ / المشتري من الاستفادة والاطّلاع على الجديد، فضلا عن اقتناء ما يحتاجه بثمن مناسب قياسا إلى الثمن العاديّ للكتاب نفسه. ومن هنا نستطيع أن نثير اليوم مسألة الصعوبات الاقتصاديّة الإقليميّة والعالميّة وتأثيرها في سوق الكتاب.

> دفع الحراك الحكومي، عبر المؤتمرات والفعاليات، وسائل الإعلام الحكومية التقليدية إلى التفاعل معه من خلال تغيير الأجندة الخبرية، حيث أصبح الشأنُ المحلي يشكل ما نسبته 95٪ من نسبة الأخبار التي تُعْرَض على شاشة القنوات التابعة لهيئة الإذاعة والتلفزيون

العديد من المعارض في البلدان العربيّة الّتي تعاني من إشكالات اقتصاديّة، أصبحت معارضها ضعيفة من حيث توفير الجدّة المعرفيّة وطبيعة دور النّشر الّتي تقبل عليها، فتدنّي المقدرة الشرائيّة للقارئ / المستهلك يؤدّي إلى فشل عمليّة التسويق، بل ويؤدّي إلى عزوف النّاشرين الكبار عن الحضور، فيتحوّل المعرض إلى سوق كاسدة لبضاعة مستهلكة لا تقدّم الجديد.

فالمؤلّف الّذي يتمتّع باسم رمزيّ مهم إذا ما نشر مؤلّفاته في دور نشر عريقة

ذات قيمة معرفيّة قد لا يجد حضورا لكتابه في بلاده، إذا كان معرضها الدوليّ للكتاب ضعيفا لا يحقّق لكبار الناشرين الغاية الربحيّة المطلوبة، خاصّة في ظلّ انخفاض مستويات العيش وتدنّي القدرة الشرائيّة لعموم الشّعب، أمّا إن نشر المؤلّف كتابه في بلده، فقد يجد نفسه أمام محدوديّة تسويق الكتاب لضعف دور النشر فيها وتفاقمه عاما بعد عام.

كما يتم طرح عديد من المسائل التي تمثل تحيا كبيرا من قبيل المبادلات والترويج والحضور التمثيلي للناشرين، خاصّة وأنّ الكتاب الورقي أصبح يعاني من غلاء الورق وتكاليف الإخراج الفنّي والطباعة وتحدّيات الكتاب الإلكتروني، وهذا الأخير خيار أصبحت عديد من دور النشر الأوربيّة المرموقة مثل سوي Seuil، تسير قدما في دعمه كبديل أقلّ تكاليف وأسرع في الانتشار من الحامل الورقيّ.

> الدوّل الّتي تتمتّع بإمكانيّات ماديّة كبيرة ولوجستيّة متقدّمة هي الأقوى في تنظيم المعارض من حيث إحكام التنظيم وجماليّة العرض وتوفير المعلومة المفيدة للزائرين والقدرة على استقطاب دور النّشر الكبيرة وتوفير مناخ يُمكّن القارئ / المشتري من الاستفادة والاطّلاع على الجديد

لا يمكن اليوم أن نقيّم جدوى معارض الكتاب الدوليّة على نحو عامّ، لأنّ السياق الاقتصادي للمعرض يقلب رأسا على عقب كلّ المعطيات الّتي تعرض للتقييم. ولابدّ من وجهة نظرنا

وفي إطار تدارس السياق التنظيميّ للمعارض، من إثارة سؤال هامّ جدّا وهو:

- لمن يتوجّه المعرض؟
- أيّ صنف من القرّاء المستهلكين لبضاعته؟
- هل يتوجّه المعرض لكلّ الفئات العمريّة والمعرفيّة أم هو يتوجّه لفئات دون غيرها؟

هذا سؤال مشروع لأنّ كلّ سوق تحدّد بضاعتها في نطاق رؤية استهلاكيّة محدّدة.

ما نلاحظه على نحو عامّ هو أنّ أغلب المعارض تروّج للكتب الأدبيّة الّتي تستهدف جمهورا واسعا مثل الروايات وما شابهها لأنّها بضاعة نافقة، في حين أنّ نسبة الدراسات الفكريّة أو العلميّة والنقديّة وكذلك الأجنبيّة المتخصّصة تكون محدودة جدّا في مستوى الكميّة، وحتّى العناوين المتاحة.

الباحث الأكاديميّ العربيّ يمكنه أن يجد نسبيّا المراجع العلميّة بالعربيّة، ولكنّه لا يجد المراجع الأجنبيّة الجديدة الّتي تمكّنه من تطوير معارفه في اختصاص ما ومواكبة المستجدّات المعرفيّة باللّغات الأجنبيّة في العالم، وهذه مسألة تمثّل إعاقة حقيقيّة للباحثين وتجعل من المعارض في عديد الأحيان تظاهرة ثقافية احتفائية أكثر من كونها وسيلة لنشر المعرفة وتخطي العزلة الّتي تتسبّب فيها المعطيات الماديّة المرتبطة برهانات تسويق الكتاب محليّا وعالميّا.

لذا نرى أنّه يتعيّن على الجهات الموكول لها تنظيم معارض الكتب أن تتوخّى لتطوير خدماتها سبل سبر الآراء، وأن ترصد في الغرض فرقا مختصّة تقوم بوضع استجوابات دقيقة تعرضها على أنواع المتدخّلين في السوق، ثمّ تتولّى دراستها وتمحيصها من أجل تقييم المعارض وفهم الرهانات والتحدّيات المناطة بعهدتها لتحسين ما ينبغي تحسينه وتحقيق الإضافة الحقيقيّة. كلّ سنة يمكن للمعطيات أن تتغيّر، فسوق الكتاب مثل سائر الأسواق مرتبطة بالتحوّلات العالميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والماليّة.

أمّا فيما يتعلّق بالفعاليّات الّتي تنظم على هامش المعرض، فهي ضروريّة للتنشيط الثّقافي والمعرفيّ، وتتيح للباحثين المتباعدين جغرافيّا التعرف إلى بعضهم البعض عن كثب، وهو مكسب إنسانيّ ومعرفيّ تنشأ عنه في عديد الحالات مشاريع شراكة وبحث، فضلا عن تبادل المؤلّفات والانتفاع بها.

> أغلب المعارض تروّج للكتب الأدبيّة الّتي تستهدف جمهورا واسعا مثل الروايات وما شابهها لأنّها بضاعة نافقة، في حين أنّ نسبة الدراسات الفكريّة أو العلميّة والنقديّة وكذلك الأجنبيّة المتخصّصة تكون محدودة جدّا في مستوى الكميّة، وحتّى العناوين المتاحة

ولكنّ هذه الغاية تشوبها شوائب تنقص من أهمّيتها، مثل كثرة الفعاليّات وكثرة المتدخّلين فلا يكاد المتدخّل الواحد يقول شيئا يذكر في عشر دقائق أو أكثر بقليل، ويتشتّت الجمهور الواسع ويحار في اختيار الخيمة الّتي يتعيّن عليه ارتيادها، هذا فضلا عن أنّنا نلاحظ في بعض المعارض استئناسا بأشخاص دون غيرهم، تتكرّر دعوتهم في كلّ معرض، سواء تكلموا في اختصاصهم أو في غيره، وهذا إشكال آخر يعود إلى المحاباة وروتينيّة التنظيم وبذل المجهود الأدنى في غير المقام المناسب.

وفي مثل هذه الحالات لا تتحقّق الإضافة المرجوّة، ويطغى التسطيح المعرفيّ على التعمّق الجدّي وتتضارب الآراء، ويخرج المستمع حائرا لا يدري هل أرسى على شيء يذكر، أم لم يرس على شيء، كذلك الشأن بالنسبة إلى حفلات التوقيع، ينبغي ألّا تتحوّل إلى فرصة لتسويق الإصدارات الجديدة لا غير، لابدّ من أن يمنح المؤلّف فيها الكلمة من أجل إدارة حوار هادف بينه وبين المهتمّين بكتابه

> الفعاليّات وكثرة المتدخّلين فلا يكاد المتدخّل الواحد يقول شيئا يذكر في عشر دقائق أو أكثر بقليل، ويتشتّت الجمهور الواسع ويحار في اختيار الخيمة الّتي يتعيّن عليه ارتيادها

لابدّ إذن من تطوير الخدمات في المعارض وتمكين المستهلكين للكتاب من آليّات سريعة وناجعة للاستفادة من المعروضات والوصول إلى ما يهمّهم في وقت قياسيّ، فالمعارض الكبرى تحتاج إلى أكثر من يوم، ولا يمكن الاستفادة منها إلاّ بتوفير المعلومة وتقريبها في وقت قياسيّ داخل المعارض وخارجها.

ورغم كلّ هذه الصعوبات الّتي لا تتساوى المعارض العربيّة في مواجهتها وإيجاد حلول ناجعة لها، تظل مثل هذه التظاهرات هامّة جدّا لأنّها تذكّر بقيمة الكتاب وترغّب فيه في خضمّ استئثار الوسائط السمعيّة والبصريّة باهتمام متزايد يهدّد بتقلّص مدّة القراءة الموجّهة للكتب المعرفيّة والثّقافيّة الهادفة وذات المستوى العلميّ الرفيع

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

معالي حلمي النمنم

وزير الثقافة الأسبق ـ مصر

بخصوص التساؤلات حول معارض الكتاب في عالمنا العربي، يمكنني القول بأن الكتاب ومن ثم الثقافة العربية قد أفادت كثيرًا من إقامة المعارض، كما استفاد منها حركة التأليف والابداع، وصناعة النشر، علاوة على التقارب الثقافي والفكري العربي، حيث سنجد في كل جزئية إفادة من مشروع المعرض

أقيم أول معرض للكتاب في القاهرة، أثناء حكومة النقراشي باشا في شهر مايو سنة 1947م، وأقامته وزارة المعارف العمومية، وتعطل المعرض سنة 1956م بسبب العدوان الثلاثي على مصر، ثم أقيم مرة ثانية سنة 1969م بطلب مباشر من رئيس الجمهورية، ومازال يقام بانتظام إلى يومنا هذا.

وفي الوقت الراهن هناك معرض في كل عاصمة عربية، وفي مصر هناك معرض في كل محافظة تقريبا، ولولا أهمية إقامة معرض للكتاب، لما استمر وتواصل على هذا النحو

وتمثل دور النشر الكبرى عماد المعرض، لكن لا يجب ان يكون المعرض وقفًا عليها ولا حكرًا لها

كما لم يسحب النشاط الثقافي في المعرض الاهتمام من تسويق الكتاب، ولا نغفل بأن هناك جمهور يهمه متابعة الأنشطة الثقافية فقط، هؤلاء لن يتجهوا للشراء، بغض النظر عن وجود النشاط من عدمه

في الوقت الراهن هناك معرض في كل عاصمة عربية، وفي مصر هناك معرض في كل محافظة تقريبا، ولولا أهمية إقامة معرض للكتاب، لما استمر وتواصل على هذا النحو

أشير إلى أن هناك نسبة من الأمية الأبجدية، وهؤلاء لا يصح إنكار وجودهم ولا تجاهلهم، ومن حقهم الحصول على الخدمة الثقافية، ومن واجبنا تقديمها لهم

أما حفلات التوقيع فأرى بأنها بحاجة إلى نوع من الضبط، أحيانا يقيم الناشر عدة حفلات توقيع لعنوان واحد، قد يكون السبب عدم رواج الكتاب، وقد يكون لأن المؤلف مشهور فيريد الناشر أن يستفيد من شهرته

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

رانية الجعبري

مديرة وصاحبة دار الدحنون ـ الأردن

عند الإجابة عن سؤال ما إذا كانت معارض الكتب تحقق الغاية المرجوة منها، علينا أولًا تحديد الغاية من معارض الكتب في العالم العربي

إنْ كانت الغاية تقديم الكتب من أنحاء العالم العربي للقارئ العربي، فإنَّ هذا الغرض غالباً ما يتحقَّق، لكن ثمَّة مشكلة حقيقية يواجهها المواطن الأردني على أقل تقدير والعربي بوجه عام، وهو ارتفاع أسعار الكتب بصورة غير منطقية في معارض الكتب. وأثناء عملي في مجال النشر اكتشفت أنَّ دور النشر ترفع أسعار الكتب في معارض الكتب بشكل استغلالي صرف، وآسف لهذا القول، وهذا لا يخدم الثقافة أبدًا ويُنفر الناس من الثقافة

> أثناء عملي في مجال النشر اكتشفت أنَّ دور النشر ترفع أسعار الكتب في معارض الكتب بشكل استغلالي وهذا لا يخدم الثقافة أبدًا ويُنفر الناس من الثقافة

وفي حال كان الغرض من معارض الكتب هو تقديم الكتاب في مناخ ثقافي يراعي مستويات الناس الثقافية، فثمة كلام كثير يجب أن يُقال هنا

إذْ إنَّ الفعاليات الثقافية ما زالت في برجها العاجي، وهنا أدعو لأنْ تكون هناك فعاليات ثقافية تراعي جميع المستويات الثقافية، وتستدرج المواطن العادي نحو الاهتمامات الثقافية. إنَّ غالبية المحاضرات والندوات متخصِّصة، وهذه الندوات مهمة، لكن ما الذي يمنع من وجود عناوين ثقافية مهمة يستطيع الناس مناقشتها وفهمها، تحتوي على مضامين مهمة وتُعرض بطريقة مبسطة، وذات عناوين جذابة.

ما نراه في معارض الكتاب من إقبال الناس الكبير على حفلات توقيع الكتب التي غالبًا ما يكون مستواها سطحي ولا يقدم الفائدة الحقيقية، وهنا أعتقد أنَّ ثمة مسؤولية على المثقف الحقيقي

وعلى القائمين على المؤسسات الثقافية لتعريف الناس بالكتب ذات المضمون الذي يستحق والذي يحقق الفائدة

باعتقادي أنَّ الإحساس بكثرة الفعاليات في معارض الكتب بحيث أصبحت توحي بأنَّ معرض الكتاب يقام على هامشها، فذلك سببه أنَّ الفعاليات تُقام بمعزل عن التعاون الفكري مع الكُتّاب ودور النشر، وفي الواقع أعتقد أن الفعاليات يجب أن

> ما نراه في معارض الكتاب من إقبال الناس الكبير على حفلات توقيع الكتب التي غالبًا ما يكون مستواها سطحي، ولا يقدم الفائدة الحقيقية، يلقي بالمسؤولية على القائمين على المؤسسات الثقافية

تدور في محور الكتب المهمة التي سيجدها القارئ في دور النشر، أو تدور في المشاريع الفكرية التي يجب أن تحملها دور النشر. وبناء على ما سبق، فإنه ثمة دائرة لا يمكن أن تكتمل إلا بوجود مشروع ثقافي لدى دور النشر يتكامل مع نهج فكري يجب أن يؤسسه القائمون على معارض الكتب

وعمَّا إذا كانت حفلات توقيع الكتب تحقق الهدف منها، فالجواب: لا أعتقد ذلك، لأنَّ حفلات التوقيع تستهدف المعارف والأصدقاء فقط، أمَّا حفلات التوقيع الصاخبة وذات الحضور عادة ما تكون لكتب بسيطة لا أجدها تسهم في تأسيس حالة فكرية مهمة

برأيي أنَّ تعزيز دور معارض الكتب في تعزيز الثقافة يتصل بحالة وعي متكاملة بين الكاتب والناشر وبين القائمين على الحالة الثقافية، وللأمانة ثمة تحديات كبيرة تواجه المعارض، فعلى سبيل المثال أنا ناشرة لكنني لا أفكر أبدًا بالمشاركة في معارض الكتب، لأنني لا أجد أنها ستضيف لي الكثير، فثمة معرض أكبر يفتح أذرعه للحديث للناس عن الكتب بطريق مختلفة وجديدة وجاذبة ألا وهو «السوشال ميديا»

بالإضافة إلى ما سبق فإنني أحمل رسالة في مكتبتي التي أقوم عليها وهي السعي لتقليل تكاليف النشر حتى يتمكَّن الجميعُ من الحصول على الكتب، وإنَّ السياق العام في معارض الكتب قد لا يخدم أهدافي

الموقف الثقافي - معارض الكتاب

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

الدكتور سعيد المصري

الأمين العام الأسبق للمجلس الأعلى للثقافة ـ مصر

هناك غايات متعددة لمعارض الكتاب أهمها اجتذاب جمهور كبير متعدد الثقافات حول الكتب بما يعزز من قيمة الكتاب كوسيلة للمعرفة، وخلق طلب مجتمعي على القراءة، ومن ثم يتم عقد اتفاقيات بين الناشرين والمؤلفين على نشر كتب جديدة، وبذلك تساهم المعارض في تعزيز صناعة النشر من خلال إتاحة فرص أوسع لمبيعات الكتب، وتوفر المعارض منصات للحوار وتبادل النقاش والتوصل حول القضايا الثقافية. كل هذه الغايات تتحقق بصورة أو بأخرى وتتفاوت المعارض في مدى قدرتها على تحقيق تلك الغايات

هناك غايات متعددة لمعارض الكتاب أهمها اجتذاب جمهور كبير متعدد الثقافات حول الكتب بما يعزز من قيمة الكتاب كوسيلة للمعرفة، وخلق طلب مجتمعي على القراءة

وواقع الحال فلم تخدم معارض الكتاب الثقافة الحقيقية إلا في أضيق الحدود، حيث يقصد بالثقافة الحقيقية هنا المعارف العلمية الدقيقة من مختلف العلوم والآداب والفنون الجادة والراقية من مختلف الثقافات الإنسانية. وعلى ضوء هذا التعريف يمكن القول: إن معارض الكتب غلب عليها الطابع التجاري في عناوين الكتب المنشورة القابلة للتداول بغض النظر عن قيمة محتواها، ومع ذلك هناك فرص متاحة للثقافة الحقيقية، ولكنها محدودة.

وعادة ما تحظي دور النشر المعرفية المشهورة بالتواجد في معارض الكتب، نظرا لأنها تملك الإمكانيات والقدرات المالية والسمعة ذائعة الصيت لدى القراء. وبالتالي فتحرص كثير من معارض الكتب على تمكين تلك الدور من التواجد وفي أماكن متميزة ومساحات أوسع

وحول الفعاليات الثقافية فلا اتفق مع الرأي الذي يقول بأن الفعاليات الثقافية أوحت بأن المعرض يقام على هامشها، بل العكس هو ما يحدث، حيث يظل البطل الحقيقي في أي معرض هو الكتاب، وبذلك يتم تعزيز صناعة النشر، وكثيرا ما يلاحظ انصراف جمهور المعرض عن الفعاليات الثقافية

في هذا السياق فلم تحقق فعالية توقيع الكتب الهدف منها إلا في نطاق محدود، ذلك أن كثيرا من دور النشر تسعى إلى عقد فعاليات توقيع لمؤلفين مشهورين لمجرد أنهم مؤثرين لهم شهرة واسعة على مواقع التواصل الاجتماعي لترويج الكتب.

وأقترح لتعزيز دو ر المعارض في خدمة الحالة المعرفية على صعيد النشر وبناء المشهد الثقافي التالي:

> **لم تخدم معارض الكتاب الثقافة الحقيقية إلا في أضيق الحدود، حيث غلب عليها الطابع التجاري في عناوين الكتب المنشورة القابلة للتداول بغض النظر عن قيمة محتواها.**

- ضرورة احترام حرية التأليف والنشر لضمان إتاحة فرص أوسع للمؤلفين من أصوات متنوعة، وإتاحة كتب متنوعة تمثل مجموعة واسعة من وجهات النظر والخلفيات الفكرية والسياسية المختلفة.
- تعزيز حقوق الملكية الفكرية وحمايتها كأساس ومعيار مهم في السماح للناشرين بعرض كتبهم داخل المعرض، وزيادة الوعي بأهمية حماية حقوق الملكية الفكرية لجمهور القراء زوار المعرض.
- التعاون مع المؤسسات الثقافية عبر الشراكة مع المتاحف والمكتبات العامة، مما يثري الحالة الثقافية للمعرض.
- إبراز الناشرين المبتدئين وإتاحة فرص لهم للمشاركة وتوفير منصات لهم داخل المعرض بتسهيلات مادية تتناسب مع إمكانياتهم.
- الاحتفال بالإنجازات الثقافية والعلمية والأدبية على هامش المعرض لكل من حصلوا على جوائز في نفس العام خاصة من الشباب وتشجيع التميز في الكتابة والنشر.
- ضرورة جعل معارض الكتب في متناول الجميع وتوفير الكتب بأسعار معقولة من خلال سياسة يتم الاتفاق على قواعدها بشأن تقديم خصومات، وتبادل الكتب، وإقراض المكتبات لضمان الوصول للأشخاص من جميع الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية.

الموقف الثقافي - معارض الكتاب

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

الشيخة سهيلة بنت فهد الصباح

السفير الأممي للشراكة المجتمعية ـ الكويت

تعد معارض الكتاب من الركائز الأساسية في المشهد الثقافي العربي، وتمثل منصات تجمع بين مختلف الفاعلين في قطاع النشر والثقافة. وقد نجحت إلى حد كبير في تحقيق أهدافها الأساسية، مثل ترويج الكتب وتعزيز ثقافة القراءة بين الجمهور.

ومع ذلك، فلا تزال هناك حاجة لتوسيع نطاق تأثير هذه المعارض لتشمل فئات أوسع من المجتمع، خصوصاً تلك التي أصبحت تعتمد أكثر على وسائل التواصل الاجتماعي، والصحف الإلكترونية، وتقنيات الذكاء الاصطناعي بدلاً من القراءة التقليدية.

وينبغي أن تسعى معارض الكتاب إلى تبني أساليب جديدة لجذب هذه الفئات، مثل دمج التكنولوجيا الرقمية في أنشطتها، وتوفير منصات تفاعلية تجمع بين الكتب الورقية والمحتوى الرقمي. ومن شأن ذلك أن يعزز من جاذبية المعارض ويواكب التحولات الحاصلة في طرق استهلاك المعرفة، مما يسهم في إعادة إشراك الفئات التي ابتعدت عن القراءة التقليدية

ينبغي أن تسعى معارض الكتاب إلى تبني أساليب جديدة لجذب مختلف الفئات، مثل دمج التكنولوجيا الرقمية في أنشطتها، وتوفير منصات تفاعلية تجمع بين الكتب الورقية والمحتوى الرقمي

وحول مدى خدمة معارض الكتاب للثقافة الحقيقية، فأرى أن المعارض قد لعبت دوراً مهما في إثراء النقاش الثقافي وتقديم أفكار جديدة من خلال الفعاليات المصاحبة لها. ومع ذلك، يبقى السؤال حول ما إذا كانت هذه المعارض تستهدف فعلياً قضايا معرفية عميقة أم أنها تكتفي بالمظاهر الاحتفالية؟

الموقف الثقافي، العدد التاسع - معارض الكتاب

بالنسبة لدور النشر المعرفية، يبدو أن بعض دور النشر الكبرى والمشهور لها حضور قوي في هذه المعارض، ولكنني أعتقد أن هناك حاجة لدعم أكبر لدور النشر الصغيرة والمتخصصة، والتي تسهم في نشر المعرفة المتعمقة في مجالات معينة. إذ يجب إعطاء هذه الدور الفرصة الكاملة للظهور والتأثير في الساحة الثقافية

فيما يتعلق بكثرة الفعاليات الثقافية التي قد توحي بأن المعرض يقام على هامشها، أرى أن هذه الفعاليات يمكن أن تكون إضافة نوعية، بشرط أن يتم تنظيمها بشكل يضمن توازنها مع جوهر المعرض الذي يجب أن يظل مرتكزاً على الكتب والنشر.

ولتحقيق هذا التوازن، يجب أن تكون الفعاليات الثقافية المصاحبة للمعرض مرتبطة بشكل وثيق بالكتب والمواضيع التي تتناولها، وأن تسهم في تعزيز قيمة القراءة والنشر. ومن المهم أن يكون هناك تنسيق بين منظمي المعرض ودور النشر لضمان أن تكون هذه الفعاليات مكمّلة للكتب المعروضة، وليست مجرد أحداث جانبية تجذب الانتباه بعيداً عن الهدف الرئيسي للمعرض. وبذلك يمكن للفعاليات أن تعزز من تجربة الزوار وتثري النقاشات حول القضايا المعرفية والفكرية التي تطرحها الكتب

وأما عن فعالية توقيع الكتب، فهي بلا شك مهمة، لكنها تحتاج إلى إعادة التفكير في طريقة تنظيمها بحيث تصبح أكثر ارتباطاً بالمحتوى المعرفي للكتاب، وليس مجرد حدث اجتماعي. ولتعزيز فعالية توقيع الكتب، يمكن تطويرها لتشمل حوارات مفتوحة بين المؤلفين والجمهور، تتيح مناقشة الأفكار الرئيسية في الكتاب وتعمق فهم المحتوى المعرفي.

يبقى السؤال حول ما إذا كانت هذه المعارض تستهدف فعلياً قضايا معرفية عميقة أم أنها تكتفي بالمظاهر الاحتفالية؟

هذا النهج يحوّل توقيع الكتب من مجرد لقاء عابر إلى تجربة ثقافية غنية، يخرج منها الحضور بفهم أعمق لمحتوى الكتاب ورسالة المؤلف. كما تسهم هذه الجلسات في تحفيز النقاش حول الموضوعات المطروحة، مما يعزز الدور الثقافي للمعارض ويخلق تفاعلاً معرفياً حقيقياً بين الكاتب والقراء

أخيراً، أعتقد أن تعزيز دور المعارض في خدمة الحالة المعرفية يتطلب الآتي:

- تطوير آليات جديدة للتواصل بين القراء والمؤلفين.
- تنظيم ورش عمل وحوارات معرفية حول موضوعات محددة تتناولها الإصدارات الجديدة.
- كما يجب التركيز على تقديم محتوى رقمي موازٍ يتيح للجمهور الذين لا يستطيعون حضور المعرض الفرصة للاستفادة من مواده.
- ويمكن تعزيز دور معارض الكتاب في دعم الثقافة الحقيقية من خلال التركيز على استضافة ندوات وحوارات معرفية تسلط الضوء على القضايا الفكرية والاجتماعية الملحة، بدلاً من الاكتفاء بالفعاليات العامة.
- ينبغي أن تكون هناك مساحات مخصصة لتسليط الضوء على الإصدارات التي تتناول مواضيع عميقة وتعزز التفكير النقدي.
- بذلك، يمكن للمعارض أن تتحول إلى منصات حقيقية للنقاش الثقافي الجاد، تسهم في إثراء المشهد الفكري وتعزز من قيمة الكتاب كأداة لتطوير الفكر وا لمعرفة.

هذا النهج يحوّل توقيع الكتب من مجرد لقاء عابر إلى تجربة ثقافية غنية، يخرج منها الحضور بفهم أعمق لمحتوى الكتاب ورسالة المؤلف

الموقف الثقافي - معارض الكتاب

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

عبير العلي

كاتبة وروائية ـ السعودية

منذ خمسة قرون بدأت معارض الكتب حول العالم متزامنة مع اختراع الطباعة، لتخرج بالكتاب من منطقة التداول المعرفي والثقافي إلى منطق الربح والتجارة والعائد المالي والمعنوي للكاتب وما يتبعه من دور نشر ومعارض كتب، ليصبح المثقفون ورواد الأدب بين جدلية تسليع الكتب وتحويل العمل الثقافي لعمل رأسمالي، وبين الإبقاء عليها كعمل ثقافي يفرض نفسه بنفسه من خلال جدواه وقيمته المعرفية والثقافية.

واستطاعت معارض الكتب أن تحقق التوازن بين هاتين الفرضيتين مع مرور السنوات؛ حتى أصبحت من أكبر التظاهرات الثقافية حول العالم التي يُشد لها الرحال، وتعتني بها الدول بمؤسساتها الثقافية والعلمية، ويحرص على الحضور والمشاركة فيها الكتاب بمختلف مستوياتهم ونتاجهم وقدراتهم المعرفية.

فعدد دور النشر المشاركة في كل معرض، وعدد اللغات التي يخدمها المعرض، وعدد الزوّار والمشاركين، ثم لاحقاً عدد الفعاليات الثقافية المصاحبة للمعرض من ندوات وورش عمل ومحاضرات ولقاءات حوارية وفعاليات فنية، أصبحت محددات مهمة في نجاح وتميز معارض الكتاب عن بعضها، وقيمة تنافسية يحرص عليها رعاة الثقافة في تصميم تلك المعارض.

> مع معارض الكتاب أصبح المثقفون ورواد الأدب بين جدلية تسليع الكتب وتحويل العمل الثقافي لعمل رأسمالي، وبين الإبقاء عليها كعمل ثقافي يفرض نفسه بنفسه من خلال جدواه وقيمته المعرفية والثقافية

> كثرة مثل هذه الفعاليات ليست إلا مُشتتاً عن الهدف الرئيس لمعارض الكتب وهو جمع أكبر عدد من دور النشر في مكان واحد، وإتاحة الفرصة للكتاب وصانعي النشر من أجل اللقاء ضمن غاية واحدة

ولكن هل كثرة الفعاليات المصاحبة وطغيانها على الجو العام لمعارض الكتب هي الغاية الحقيقية لعقدها؟ في واقع الأمر فإن كثرة مثل هذه الفعاليات ليست إلا مُشتتاً عن الهدف الرئيس لمعارض الكتب وهو جمع أكبر عدد من دور النشر في مكان واحد، وإتاحة الفرصة للكتاب وصانعي النشر من أجل اللقاء ضمن غاية واحدة، وتمكين القراء من الحصول على الكتب بأسعار مناسبة وأن تكون مناسبة لعقد صفقات النشر والتوزيع والترويج في ظل تسليع الكتب تحت هذه الصناعة.

من ناحية أخرى فإن إقامة الفعاليات المختلفة ضمن معارض الكتب قد تكون إيجابية في جذبها لجمهور أكثر يهتم لتلك الفعاليات أكثر من الكتاب، وتُستقطَب من خلالها أسماء مؤثرة في المجتمع لتعزيز فكرة التواصل مع الكتاب والقرب منه واعتياده.

هذا ما تقوم به أيضاً أحد أكثر الفعاليات انتشاراً في معارض الكتب وهي فعالية توقيع الكتاب، فهي ترضي غرور الكاتب وحب الظهور من جهة، وتحقق الغاية الرأسمالية للناشر من جهة أخرى، ولكن عواقبها سلبية على الكتاب والناشر إن لم يكن للكاتب جمهور يحقق الزخم المطلوب من مثل هذه الفعالية، حتى يُصبح مدى الإقبال على ساعة التوقيع تلك، وقوة التسويق لها من الناشر أو الكاتب نفسه بما يملكه من نفوذ أو علاقات اجتماعية وإعلامية مناسبة، تصبح مقياساً على جودة الكتاب، وحُكماً مُسبقاً على قيمته وعلى رواجه

إنَّ الخروج بمعارض الكتب من وصفها حالة ثقافية بحتة تعني بالكتاب وكاتبه، وسلسلة طباعته ونشره وتوزيعه، وبالقيمة المعرفية لدور النشر التي تهتم بهذه الصناعة بجودة عالية وانتشار واسع، إلى الحرص على الكم الشكلي والنوعي للفعاليات المصاحبة سيؤدي في نهاية المطاف إلى ضعف هذه الفعالية الثقافية المهمة التي صمدت على مدى قرون، وانحيازها لثقافة عمومية تضيع فيها الكتب وتختلط الغايات.

فعالية توقيع الكتاب، ترضي غرور الكاتب وحب الظهور من جهة، وتحقق الغاية الرأسمالية للناشر من جهة أخرى، ولكن عواقبها سلبية على الكتاب والناشر

إنَّ الحرص على أن تصحب معارض الكتب فعاليات ثقافية مصاحبة ينبغي ألا يخرج كثيراً عن محوري (الكتاب- والنشر)، وأن تكون ورش العمل أو المحاضرات تدور حول هذه الصناعة ومحاولة العودة بها لواقع الكتاب وتخفيف وطأة الرأسمالية والغربة المعنوية عنها، لتظلّ معارض الكتاب حول العالم قيمة معرفية وثقافية تستحق أن تُشد لها الرحال، وتيمم شطرها العقول المدركة أنَّ للكتاب قيمة أكبر من منصات توقيع، أو تسويق تتحكم فيها معايير لا تستهوي المنشغلين بالفكر والثقافة

الموقف الثقافي - معارض الكتاب

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

الدكتورة مريم الهاشمي

كاتبة وناقدة ـ الإمارات، الشارقة

إنَّ الاهتمام بثقافة الإنسان هو من أسمى الممارسات البشرية، ولا يتأتَّى إلا ممن يُقدّر قيمة وقُدسية الحياة، وإنَّ الثقافة والحياة هي اقتران الكلمات بالتجربة، وتلك التجارب هي التي تغربل الشريحة المستقبِلة لتلك الثقافة

كما أنَّ الثابت الوحيد الذي يبقى هو متعة القراءة، متعة الإمساك بكتاب والإحساس الذي يستثيره خلال المرور على شريط الكلمات. ويمكن القول إنَّ كلّ حركة ثقافية أو علمية هي أساس الحركة الحياتية على أرض وسماء نتشاركها جميعاً، فالإنسانُ أولاً وآخراً عبارة عن تراثه وحضارته وتاريخه، ومجموع هذه الأمور هو ما يجعلنا فاعلين في الحركة الحياتية التي هي أساسُ القيمة للفكر الإنساني الذي يتمكّن دائماً باقتدار أنْ يقفز فوق كل مأزق

> يمثل الكتاب مجموعة القيم والمعتقدات والآداب والفنون والمعارف وجميع نشاطات الإنسان المادية منها والمعنوية، وهو ناتج عن تراكم خبرات المجتمع، كما أنه شاهد على تاريخ الأمم وحضاراتها وأحوالها

وإنَّ التراث الثقافي وخاصة المرتبط بالصنعة الكتابية من أهم أنواع التراث الإنساني، ووجب إعادة إحيائه وتوريثه كونه يعد من المكونات الرئيسة للحضارات والهويات المرتبطة بالإنسان ووجوده.

فحضور الكتاب يمثل مجموعة القيم والمعتقدات والآداب والفنون والمعارف وجميع نشاطات الإنسان المادية منها والمعنوية، وهو ناتج عن تراكم خبرات المجتمع، كما أنه شاهد على تاريخ الأمم وحضاراتها وأحوالها؛ لذلك يعد ثروة عالمية لا تقدر بثمن ولا يمكن تعويضها.

يقال على سبيل الدعابة، إنَّ الإغريق يتعرفون على أنفسهم في الإلياذة، والإيطاليين في الكوميديا الإلهية، والإسبان في دون كيخوتي، والانجليز في هاملت، والألمان في فاوست، ويُطرح سؤال العرب وهو: في أي مؤلف تحديدا يتعرفون على أنفسهم!

> معارض الكتب هي الوسيلة المعرفية لإعادة اختراع الذات؛ لذا وجب على أصحاب العقل والفكر أن يقفوا وقفة نبيلة في دعم ديمومة معارض الكتب والعمل على تجذرها في الحضارات، والاهتمام بكل ما هو مرتبط بالصنعة الكتابية

إن الصناعة الكتابية أثبتت أنها السبيل في مواجهة قواعد اجتماعية أصبحت فرضاً على المجتمعات في استقبال ما يجتاح البشرية اليوم قائلاً: إنني متدين، أو علماني، أو أعتنق أيدلوجيةً، أو أرتبط بقطب كذا، أو جناح كذا، في حين أنَّ البعض لم يجد الفرصة لاختيار قالب من هذه القوالب الموجودة سواءً كانت للدفاع عن الدين أو رفضه، وممارسة الفكر أو اعتناق نظرية من النظريات المولودة من رحم الثقافة التاريخية التي يُرجَع إليها، سبق اختراع الذات بالصورة البعيدة عن الحقيقة، ولا يمكن ذلك بعيداً عن الكتاب، ومعارض الكتب هي الوسيلة المعرفية لإعادة اختراع الذات؛ لذا

وجب على أصحاب العقل والفكر أنْ يقفوا وقفة نبيلة في دعم ديمومة معارض الكتب والعمل على تجذرها في الحضارات، والاهتمام بكل ما هو مرتبط بالصنعة الكتابية، لأنها أهم مظهر من مظاهر الفكر والوعي والتاريخ المرتبط بالحضارات

تهدف معارض الكتب إلى نقل المعرفة والتبادل الثقافي بين المجتمعات، ويمتدُّ تاريخ معارض الكتب إلى القرن التاسع عشر، لكن بدايتها بشكلها الحالي كمحافل ثقافية كانت في عام 1949م مع معرض فرانكفورت الدولي للكتاب

إنَّ الحركة الثقافية التي تتزامن ومعارض الكتب بمثابة ملتقى ثقافي وعلمي وفكري وأدبي، ومكان لتبادل الخبرات والمعلومات وتوفير الوقت والجهد لمرتاديه، وحركةُ نقل المعرفة سواءً من خلال الندوات والمشاركات أو من خلال إهداءات الكتب بين المؤلفين؛ بل إنه المكان والزمان الأجدر لنقل واقتناء ما يمكن اقتناؤه من المؤلفات التي ننشد، وهي بمثابة الحركة النشطة في فترة زمنية محدَّدة لنقل ما يمكن نقله من العلوم، وبمثابة وسيلة من وسائل التواصل الحضاري الإيجابي

واتسعت معارض الكتب اليوم بأنشطتها الثقافية والتبادل في الخبرات سواءً بين الكتاب أو دور النشر؛ بل أصبحت معارض الكتب في الدول العربية تتميز عن غيرها بالاحتفاء بالجوائز الأدبية والنقدية والفكرية وجوائز الترجمة وجوائز لدور النشر، لتخرج من مفهومها التقليدي بوصفها مجرد مكان لعرض وبيع الكتب إلى احتفائية ضخمة وعرس ثقافي يُنتظر في كل دورة. وهذا الزخم الثقافي في الأنشطة الثقافية وكل ما يتم تقديمه لسد رغبة الكتاب والمثقفين من مبادرات هي في الأساس تصب في الصناعة الكتابية، وإنَّ التنافس الذي نريده في هذا المجال إنما هو من أجل أن يبقى الكتاب حياً ومتداولاً، فهو الأساس في العملية الثقافية بين القراءة والتأليف والمداولات النقدية والفكرية، وهو من يعطي قيمة للحياة الحضارية ويدفعها للأمام في وجه كل ما يشهده العالم من فوضى مادية

يمتدُّ تاريخ معارض الكتب إلى القرن التاسع عشر، لكن بدايتها بشكلها الحالي كمحافل ثقافية كانت في عام 1949م مع معرض فرانكفورت الدولي للكتاب

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

موسى حوامدة

شاعر وأديب ـ الأردن

تعتبر معارض الكتب واحدة من الأنشطة الثقافية العربية التي بدأت تترسَّخ منذ نصف قرن تقريباً، وهي تعكس صناعة النشر التي كانت محصورة في عاصمتين عربيتين ثم صارت اليوم منتشرة في كل العواصم وحتى المدن العربية لسهولة الاتصال والتواصل وعمليات الشحن، كما أسهم اتحاد الناشرين العرب في تنظيم هذه المعارض بالتتابع كي لا يعقد أكثر من معرض في نفس الوقت، وكي يتاح لكل دور النشر العربية المشاركة في كل المعارض التي تقام طيلة العام الواحد

لكن هل تحقق المعارض الغاية المرجوة منها؟ أعتقد أنه لا يمكن تحقيق كل الغايات المرجوة من كل معرض للكتاب، ولكن بشكل عام يعتبر ترسيخ تقاليد ثقافية خطوة مهمة وحضارية لكي يتم البناء عليها، حتى لو أن بعض المعارض في البداية لم تحقق كل أغراض القائمين على المعرض

> أعتقد أنه لا يمكن تحقيق كل الغايات المرجوة من كل معرض للكتاب، ولكن بشكل عام يعتبر ترسيخ تقاليد ثقافية خطوة مهمة وحضارية لكي يتم البناء عليها

وحول ما إذا كانت معارض الكتب قد خدمت الثقافة الحقيقة؟ فالجواب: لم نصل بعد إلى مستوى الذائقة العربية الرفيعة في اختيار الكتاب لاقتنائه، وربما تسهم النواحي التجارية في ترويج بعض الكتب التي لا تصلح أصلًا للقراءة، بل لا تستحق النشر، وهي تلك الكتب المليئة بالسطحية والحشو والزيف والسرقات ضمن خطابات متخلفة، وربما يتم الترويج للكثير من الكتب التجارية التي لا تسهم في صنع ثقافة حقيقة.

وهذه تحتاج إلى أمرين:

الأول/ رؤيا محدَّدة لمن يقيمون هذه المعارض، وتشجيع إصدار الكتب الجادة

الثاني/ قيام الدولة بوضع مشروع ثقافي عربي جاد، ومتواصل ومؤثر، وعدم التنصل من المسؤولية الثقافية أو اعتبارها ليست أولوية

وعمَّا إذا كانت دور النشر المعرفية المشهورة قد أعطيت حقَّها في معارض الكتاب؟ أقول: ربما في بعض المعارض وجدت هذه الدور فرصة للعرض وربما كانت التكاليف في مرات لاحقة سببًا في إحجامها عن المشاركة.

> لم نصل بعد إلى مستوى الذائقة العربية الرفيعة في اختيار الكتاب لاقتنائه، وربما تسهم النواحي التجارية في ترويج بعض الكتب التي لا تصلح أصلًا للقراءة، بل لا تستحق النشر. وهي تلك الكتب المليئة بالسطحية والحشو والزيف والسرقات ضمن خطابات متخلفة

أمَّا الفعاليات الثقافية، فقد أعطت المعارض صبغة ثقافية مختلفة وقدمت وجهاً حضارياً جديداً، وأعطت رسالة أنَّ المعرض ليس بازارًا تجارياً للكتب فقط، وهذا أمر جيد، ولكن برامج بعض المعارض تذهب باتجاهات سياسية، أو جغرافية ليس لها علاقة بالثقافة، كما أنَّ الفعاليات تظل تقليدية لا تعطي المثقف والمؤلف فرصة للتواصل مع جمهور حقيقي، فيصبح لدينا شرخ بين الفعاليات والأجنحة، وربما يجد من يرغبون بإقامة معرض مختلف ومتميز أكثر من طريقة لذلك

بالنسبة لفعالية توقيع الكتب، ففي بعض الأحيان تكون حفلات التوقيع فقط من أجل بيع بعض النسخ وكم نتمنى أنْ يكون الحفل فرصة لتبادل وجهات النظر بين القارئ والمؤلف ومعرفة هذا المؤلف عن قرب عن طريق كشف ثقافته ومواقفه من الحياة والكتاب والثقافة والفكر والفلسفة، وليس الاكتفاء بشهرة بعض الأسماء والحصول على توقيعهم

وفيما يتعلق بالمقترحات لتطوير المعارض، ففي رأيي يحتاج أي معرض للكتاب أنْ يتبنى هذه المقترحات والأفكار ويسعى لإرساء قواعد جديدة لمعارض الكتب، وهي على النحو التالي:

1. أنْ يفكر القائمون عليه بطريقة غير تقليدية كلياً سواءً في دعوة دور النشر وتأجيرها مساحات من المعرض، أو دعوة دور نشر محددة وكتاب محددين ومبدعين مختلفين.
2. فتح الفضاء لمبدعين متنوعين ومثقفين متنورين، وعدم الاكتفاء بالأسماء المعروفة إعلامياً، أو ذات الاتجاه المحدد.
3. إدخال التكنولوجيا الحديثة ووسائل المعرفة والترويج المختلفة.
4. تعزيز أهمية المعرفة والقراءة والكتاب الجاد.
5. الانتقال من الحالة السياحية التي تتبناها بعض المعارض إلى الحالة المعرفية الخالصة.

الفعاليات الثقافية أعطت المعارض صبغة ثقافية مختلفة، ولكن بعض البرامج ذهبت باتجاهات سياسية، أو جغرافية ليس لها علاقة بالثقافة، كما أنَّ بعضها ظل تقليديا

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

الدكتورة نبيهة عبد الرازق

أديبة وكاتبة ـ الأردن

تشكل المعرفة حالة تراكمية من التعلم المستمر والخبرات المتلاحقة والتفاعل مع البيئة المحيطة. وهي أساس الانطلاق الفكري لتحقيق مفاتيح التقدم والتطور المجتمعي، وتعكس تلك الحالة قدرة الفرد على تطوير وتنويع مصادر معرفته وتبادلها وإنتاجها واستخدامها من خلال مواكبة المتغيرات البيئية المستمرة لتسهيل الوصول إلى المعلومة

من المؤكد أنَّ الحصول على المعرفة قد يتأثر بعوامل متداخلة يصعب الفصل بينها كالثقافة المجتمعية التي تحترم قيمة العلم والمعرفة وتوجه نحو رفع المستوى التعليمي للفرد من خلال توفير بيئة تعليمية مساندة وداعمة لتسهيل الوصول للمعلومة وتوفير المعارف والمهارات اللازمة لتصنع من الفرد مشاركاً فاعلاً قادراً على تحسين جودة الحياة من خلال وضع المقترحات اللازمة لحل المشكلات وتطوير المجتمع

لذلك يرتكز المجتمع، على المستوى المحلي، على العديد من الأدوات الفاعلة لبناء الإنسان القادر على العطاء والتطوير. منها ما هو تقليدي كالمؤسسات التعليمية بكافة مستوياتها وتضم المدارس والمعاهد والكليات والجامعات، إضافة إلى المكتبات التي ترتبط بشكل عميق بأهمية وضرورة حرية البحث العلمي.

يرتكز المجتمع على العديد من الأدوات الفاعلة لبناء الإنسان القادر على العطاء والتطوير، كالمؤسسات التعليمية بكافة مستوياتها، إضافة إلى المكتبات التي ترتبط بشكل عميق بأهمية وضرورة حرية البحث العلمي

ومنها ما هو أكثر حداثة لسرعة نقل المعرفة والمعلومة كوسائل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء، يضاف إليها أدوات الإنترنت والمنصات التعليمية الإلكترونية، دون أن نغفل أهمية دور المراكز الثقافية على المستوى الداخلي كأداة مهمة وفاعلة في رفع قيمة الوعي المجتمعي من خلال تنظيم

الفعاليات والندوات والجلسات الحوارية التي تعزز التواصل الإنساني والتبادل المعرفي بين مختلف الشرائح المجتمعية في كافة المستويات المعرفية والثقافية والفنية المجتمعية.

أمَّا على المستوى الاقليمي العربي، فيمكن أن نتطلع إلى معارض الكتب، التي تقام في مختلف العواصم والمدن العربية وعلى فترات مستمرة ومتتابعة من العام، على أنها واحدة من أهم أدوات نشر وتعزيز الحالة المعرفية، من خلال تشكيلها منصة مهمة لتبادل الأفكار والمعارف والخبرات والمعلومات بين الكتاب والخبراء والباحثين في كافة ميادين المعرفة

تعتبر معارض الكتب بمثابة صالة عرض واسعة لتقديم المخزون الفكري المتراكم للثقافات المتعددة، إضافة إلى تقديم أحدث إصدارات دور النشر العربية، مما يجعل منها مكتبات ضخمة لتلاقي ومناقشة مختلف الآراء والمفاهيم والتصورات والاطروحات في المنطقة العربية

كما أنَّ معارض الكتب بمثابة صالة عرض واسعة لتقديم المخزون الفكري المتراكم للثقافات المتعددة، إضافة إلى تقديم أحدث إصدارات دور النشر العربية في مجموعة واسعة من الكتب التي تغطي مختلف المجالات والتخصصات المعرفية في الأدب والعلوم والتاريخ والفلسفة والدين والقراءات الاستشرافية المستقبلية، مما يجعل منها مكتبات ضخمة لتلاقي ومناقشة مختلف الآراء والمفاهيم والتصورات والاطروحات في المنطقة العربية

وأكثر ما يميز معارض الكتاب عن غيرها من أدوات نقل المعرفة أنها تلعب دوراً رئيسياً في لقاء الكتاب والمثقفين والمبدعين بعضهم ببعض، لتعزيز الحوار والابتكار والتجديد. كما أنها تشكل حالة فريدة من التفاعل المباشر، العابر للحدود، بين القارئ والكاتب سواءً من خلال حفلات التوقيع أو الندوات

أو الملتقيات الأدبية والفكرية التي تقام على هامش فعاليات المعرض، الأمر الذي يسهم في خلق منصة حوارية متعددة الثقافات والأفكار والأمزجة والألسن حول القضايا والاهتمامات المشتركة والمختلفة بين رواد المعرض، لخلق حالة من الانفتاح على ثقافة الآخر والتعرُّف إليها وتفهُّم الاختلافات ليس فقط بين شرائح المجتمع الواحد بل بين المجتمعات المتعددة، لمد جسور من التشابك الفكري والتقريب المعرفي في عالمنا العربي

وحيث إنَّ الإنسان ابن بيئته وتجاربه كما هو ابن علمه واجتهاده، يجول في خاطري سؤال مُلّح، في ظل المتغيرات المتسارعة في المنطقة العربية وأقصد هنا المتغيرات السياسية التي ترمي بثقلها على مستقبل المجتمعات والأجيال القادمة، وهو:

هل يمكن للثقافة والأصالة العربية التي تحملها الكثير من الكتب الصادرة عن العديد من دور النشر الموجودة في مختلف البلدان العربية، أنْ ترمم حالة من الشرخ الفكري العربي المنقسم بين مهرول ومعارض لإبرام اتفاقيات عربية مع دولة الاحتلال الصهيوني بدعوى نشر السلام في المنطقة العربية؟

هل يمكن أن يبقى مناخ معارض الكتب وحفلات التوقيع ديمقراطياً أمام مختلف الأقلام والإصدارات؟

هل ستبرز الاختلافات السياسية كتحديات معلنة تواجه تواجد بعض دور النشر في معارض الكتاب في بعض العواصم العربية، أم ستحتفظ المعارض بانحيازها نحو الحرية والعدالة والديمقراطية كما تنحاز للثقافة والإبداع والابتكار؟

ذلك ما سيخبرنا به المشهد القادم.

يسهم معرض الكتاب في خلق منصة حوارية متعددة الثقافات والأفكار والأمزجة والألسن حول القضايا والاهتمامات المشتركة والمختلفة بين رواد المعرض

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

أ.د. يعقوب يوسف الكندري

مدير مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ الكويت

تعتبر معارض الكتاب من أبرز الأنشطة والمظاهر الثقافية التي حرصت على تنظيمها عديد من العواصم العربية بشكل دوري. فهي أحد مظاهر الثقافة التي لا تزال مشعة في الوطن العربي. ولمعارض الكتب التي يتم تنظيمها كل عام في هذه الأقطار ما لها، وعليها ما عليها.

فهي بكل تأكيد فرصة مميزة لنشر الثقافة والمعرفة بين أفراد المجتمع. وهي فرصة أيضاً للتواصل بين القارئ من جهة، والمنتج العلمي والكتاب من جهة أخرى في هذا التجمع العلمي، وما يحمله وينقله هذا المنتج من أفكار، وآراء متنوعة ومختلفة المجالات خلال هذه المعارض مع القراء باختلاف تخصصاتهم وتنوعها، وبتشكيلة علمية تضم اختلاف التوجهات، والاهتمامات العلمية، والعملية، والمهنية. كما أنها أشبه بالمهرجان الذي يتوافد إليه أفراد المجتمع باختلاف شرائحهم الاجتماعية، والعلمية، والفكرية، والعمرية.

> لمعارض الكتاب إسهامها الواضح في دعم صناعة مهمة تتمثل في صناعة الكتاب والمنتج العلمي في عالم احتل اقتصاد المعرفة فيه الدور المهم والرئيس في التنمية الاجتماعية والاقتصادية وفي نمو اقتصادي مستدام

فمعارض الكتاب العربية تهدف إلى نشر الوعي والثقافة، وتهدف إلى الإسهام في خلق بيئة مشجعة للقراءة من خلال تنوع ثقافي كبير وواسع يحدده مكان وزمان محددين، وتغرس قيم التواصل الثقافي بين الكاتب والمفكر من مختلف الدول العربية، بالإضافة إلى إسهامها الواضح في دعم صناعة مهمة تتمثل في صناعة الكتاب والمنتج العلمي، وصناعة النشر في عالم احتل اقتصاد المعرفة فيه الدور المهم والرئيس في التنمية الاجتماعية والاقتصادية وفي نمو اقتصادي مستدام.

ولا شك بأنَّ هذه المعارض الثقافية قد ارتبطت أيضاً بأنشطة ثقافية متوازية تتزامن مع إقامة هذه المعارض، ومن أهمها تلك الأمسيات والفعاليات الثقافية التي تقام على هامشها. فهي حلقة من حلقات نشر الثقافة والفكر والمعرفة، وهي تقع من ضمن نسيج المنتج العلمي ونقل محتواه ونشره.

> زخرت المعارض العربية للكتاب بمجموعات مميزة من الأنشطة والفعاليات التي حرص المهتمون في الثقافة والفكر والأدب على عرضها في أثناء انعقاد هذه المعارض لاستكمال ملامح هذا التجمع الثقافي

ومن هنا زخرت المعارض العربية للكتاب بمجموعات مميزة من هذه الأنشطة التي حرص المهتمون في الثقافة والفكر والأدب على عرضها في أثناء انعقاد هذه المعارض لاستكمال ملامح هذا التجمع الثقافي.

بالإضافة إلى ذلك، انطلقت جوانب أخرى معززة للتواصل الثقافي والاجتماعي بين المفكر والمثقف مع القارئ في فعاليات تواصلية ثقافية أخرى جاءت من خلال فعاليات التوقيع على الكتب.

فقد نشطت فاعلية التوقيع على الكتاب التي من خلالها عززت من عملية التواصل بين القارئ وصاحب الإنتاج الأدبي والعلمي والفني والتعرف عليه. فهي مناسبة مميزة في التواصل الثقافي والالتقاء بصانعي الثقافي.

وكما للمعارض من أهمية ومن فرصة لتحقيق فوائد مميزة على المستوى الثقافي، فإنها تواجه مجموعة من العقبات، وتقف أمام تحقيق أهدافها المرجوة عديد من التحديات. وقد تكون هذه التحديات خاصة بالوضع العربي دون غيرها مع تداخل بعضها بكل تأكيد مع فعاليات عالمية للكتاب.

ولعل أبرز ما يؤخذ على هذه المعارض ـ على الرغم من النجاحات التي تقدمها ـ هو: محدودية تأثيرها

العام في مجتمعات تشهد تضاؤلاً وضعفاً في القراءة ونهمها. فتراجع الدعم الحكومي للثقافة بشكلها العام، خلف آثاراً كبيرة ومن أهمها تلك التي ارتبطت بانخفاض معدلات القراءة بشكل عام، وهو الأمر الذي يؤثر بكل تأكيد على نجاح وفاعلية المعارض ومحتواها الذي تقدمه.

وهذا جعل جمهوراً كبيراً من القراء يتجه إلى ما يمكن أن نسميه «بالقراءة الهامشية»، بمعنى الاهتمام بموضوعات قد تكون هشة وغير رصينة، مثل تلك الدواوين التي يطلق عليها بالدواوين الشعرية وهي بعيدة كل البعد عن الشعر وأصوله، أو تلك الكتب التي تحمل محتوى عامي بعيدة عن أصول الكتابة وقواعدها، والكتب غير العلمية التي تركز على الخرافات. وهي قد أصبحت وغيرها سمة بارزة في المعارض العربية ولها قبول جماهيري واضح وغير بسيط، وفي الوقت نفسه متزايد بكل أسف

وهكذا، فالتأثير العام للقراءة من الكتب الأدبية والفكرية بدأ يتضاءل مع صعود في التركيز على «القراءة الهامشية»، وبالتحديد عند الشريحة الشبابية. هذا إضافة إلى أنَّ الرقابة التي تصدر على المحتوى، والتي تعتبر في بعض من الأحيان رقابة مجحفة، وغير متزنة تؤثر بشكل كبير على عملية التنوع الفكري وفهم مناسب للآخر.

وكتحدٍ آخر يواجه المعارض هو ذلك الذي يرتبط بأسعار الكتب المبالغ فيها، والتي بدأت تطفو على السطح في الآونة الأخيرة وبشكل كبير، والتي تعتبر من أبرز التحديات التي تواجهها شريحة كبيرة عند زيارة هذه المعارض. وعلى الرغم من الخصومات التي تقدمها دور النشر في هذه المعارض، إلا أن هذه الخصومات إما أن تكون وهمية، أو أنها لا زالت تعتبر مرتفعة ولا تتناسب وتتوازى مع المنتج العلمي وقيمته.

> أثر انخفاض معدَّلات القراءة على نجاح وفاعلية المعارض ومحتواها الذي تقدمه، وهذا جعل جمهوراً كبيراً من القراء يتجه إلى ما يمكن أن نسميه «بالقراءة الهامشية»، التي تهتم بموضوعات هشة وغير رصينة. وللأسف فقد أصبح ذلك سمة بارزة في المعارض العربية ولها قبول جماهيري واضح وغير بسيط

وقد لعبت كذلك التكنولوجيا الحديثة والكتاب الإلكتروني دوراً مهماً في التأثير على معارض الكتب. فأصبحت هذه المعارض تواجه التقنيات وتحدياتها في توزيع الكتاب الورقي الذي بدأ ينتشر بشكل كبير على شكل رقمي، ويتم تداوله عبر أجهزة محمولة وسهلة المتابعة والقراءة، مع تقدم كبير فيما تمَّ تحقيقه في هذا المجال الخاص بالكتاب المتاح، وفي كثير من الأوقات المجاني عبر منصات إلكترونية متعددة.

ولا شك أيضاً فإنَّ المساحات المحدودة والمدة الزمنية التي يحددها كل معرض من معارض الكتب في الدول العربية تحدُّ من قدرة دور النشر على عرض إنتاجها العلمي بشكل ميسَّر وخاصة تلك الدور الكبيرة للنشر. فالمساحات المحددة، وعملية التنقل، وتكاليف النقل، والمساحات المحددة تفرض نوعاً من القيود على هذه المعارض

> المساحات المحدودة تحد من قدرة دور النشر على عرض إنتاجها العلمي بشكل ميسَّر وخاصة تلك الدور الكبيرة للنشر

هناك دور ثقافي مهم لمعارض الكتاب، وهي تعتبر حلقة من حلقات الثقافة ونشرها، والتي نؤمن جميعا بألا تنمية دون وجود ثقافة وانتشارها، وتعتبر هذه المعارض أحد أهم أدوات نشر الثقافة داخل المجتمع والتي تحتاج بكل تأكيد إلى اهتمام حكومي أكبر في الوطن العربي بشكل عام.

فعلى الرغم من التفاوت في عملية الاهتمام بهذا الجانب بين الأقطار العربية، إلا أنَّ الملامح العامة لهذه المعارض تحتاج إلى المزيد من الاهتمام والرعاية الحكومية. فأمة «اقرأ» لا بد من أن يتم تنشيط القراءة لديها والخروج بآليات مناسبة نحو تشجيع الباحث والقارئ من خلال هذه المعارض التي تعتبر منارة فكرة حضارية مميزة، إذا ما أحسن تصميمها وعرضها ووضع الخطوات المناسبة حول تحقيقها لأهدافها المرجوة. فهناك أهمية للتنوع الفكري، والاستفادة من التكنولوجيا في مجال تنظيم هذه المعارض، وتنشيط أكبر لفعاليات ثقافية أخرى متعددة ومكثفة، ومع رعاية حكومية قادرة على النهوض في هذا الملتقى الثقافي الدوري المميز.

الموقف الثقافي - معارض الكتاب

دور معارض الكتاب في تعزيز الحالة المعرفية؟

خلاصة:

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج الآتية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء الثقافة من مقترحات وسياسات لتعزيز إسهام معارض الكتب في دعم الحالة المعرفية في العالم العربي:

أولاً: التنسيق مع وزارات التعليم من أجل تنظيم زيارات محدَّدة للمدارس المختلفة إلى معارض الكتب، مع تخفيض قيمة الكتاب، أو وضع تعرفه خاصة للطلبة، الذين يشكلون شريحة كبيرة من المجتمع

ثانياً: تشجيع إصدار الكتب الجادة وذلك من خلال قيام دور النشر المشاركة في معارض الكتب بالتحقُّق من الكتاب المنقح، والخالي من الأخطاء المطبعية والنحوية، للوصول إلى الكتاب الجيد، وتقليل نوعية الكتب التي تعمد إلى الإثارة والعنف، دون أن تحُقق المعرفة الثقافية، أو المتعة النفسية أو قضاء الوقت المفيد في القراءة

ثالثاً: الاهتمام بفعالية توقيع الكتب وفق ضوابط تنظيمية جديدة وذلك من خلال إقامة الفعالية في دار النشر ذاتها أو على الأقل في مكان فاعل من المعرض مع التنبيه عليها في مختلف الوسائل والوسائط

رابعاً: العمل على خلق اتفاقيات بين الناشر والهيئات المنظمة تتحدَّد بموجبها مواقيت المعارض، إضافة إلى توفير بعض التسهيلات للناشر كالمشاركة في تحمُّل نفقات السفر والإقامة والشحن وما يتبعها من قبل الجهات المنظمة، وفي المقابل يعمل الناشر على تخفيض كلفة البيع ليصل الكتاب إلى شريحة أوسع من القراء

خامساً: العمل على منهجية توفّر للفعاليات المصاحبة للمعارض القدرة على الوصول للمتلقي بسلاسة، وألا يشعر القارئ بالتشتت وهو ينتقل من مكان إلى آخر ليتمكّن من الإحاطة بمجموعة من الفعاليات التي تقام في الوقت ذاته، مع الحرص على أنْ تدور الفعاليات في محور الكتب المهمة التي سيجدها القارئ في دور النشر، أو تدور في المشاريع الفكرية التي يجب أن تحملها دور النشر، وأن تعطي المثقف والمؤلف فرصة للتواصل مع جمهور حقيقي

سادساً: إرساء قواعد جديدة لمعارض الكتب بحيث يفكر القائمون عليه بطريقة غير تقليدية كلياً سواءً في دعوة دور النشر وتأجيرها مساحات من المعرض، أو دعوة دور نشر محددة وكتاب محددين ومبدعين مختلفين وفتح الفضاء لمبدعين متنوعين ومثقفين متنورين، وعدم الاكتفاء بالأسماء المعروفة إعلامياً فقط، أو ذات الاتجاه المحدد

سابعاً: قيام الدول بوضع مشروع ثقافي عربي جاد، ومتواصل ومؤثر، وعدم التنصل من المسؤولية الثقافية أو اعتبارها ليست أولوية، والعمل للخروج بآليات مناسبة نحو تشجيع الباحث والقارئ من خلال هذه المعارض التي تعتبر منارة فكرة حضارية مميزة إذا ما أحسن تصميمها وعرضها ووضع الخطوات المناسبة حول تحقيقها لأهدافها المرجوة

ثامناً: الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة في مجال تنظيم هذه المعارض، وتقديم وسائل المعرفة والترويج المختلفة، والانتقال من الحالة السياحية التي تتبناها بعض المعارض إلى الحالة المعرفية الخالصة.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

العدد العاشر - الثقافة والمثقف

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
نوفمبر - 2024

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل نصف شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية

إخلاء مسؤولية:

الأراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد تمثل الكتاب والمثقفين المشاركين ولا ينبغي أن تنسب إلى مركز الخليج للأبحاث.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الموقف الثقافي

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

(الأندية الادبية، اللغة العربية، الفنون التشكيلية، التعليم، المسرح، السينما، معارض الكتاب، التاريخ، الاعلام، الثقافة والمثقف)

المدخل

باتت الثقافة مصطلحاً إشكالياً فالكل له تعريفه بين من يُضيق مساحتها وبين من يُوسعها، وهناك من يختزلها في قضايا وأجناس أدبية محدَّدة، وغيرهم يرونها مظلَّة تلتئم في ظلالها مختلف الفنون والمعارف، لكن، وعلى الرغم من هذه الاختلافات فقد ظلَّت «الثقافةُ» عنواناً وهوية لأي مجتمع قديماً وحاضراً ومستقبلاً

والاختلاف في تحديد مفهوم «الثقافة» له انعكاسات خطيرة على الواقع، إذْ يخشى كثيرون أنْ يؤدي توسيع مفهوم «الثقافة» إلى تمرير مضامين لا صلة لها بالمعرفة تحت اسم «الثقافة»، وبالتالي تشويه المشهد الثقافي وإغراقه بالتافه والسطحي، فيما يخشى آخرون أنْ يؤدي تضييق مفهوم «الثقافة» وحصره في بعض الممارسات النخبوية إلى نوع من «الوصاية» وإقصاء العديد من المنخرطين في المشهد بحجة عدم الانتماء

وإلى جانب الاختلاف في مفهوم «الثقافة» هناك اختلافٌ آخر في مفهوم «المثقف» ومن له الحق في الاتصاف بهذا الوصف، إذْ يبدو هذا الوصف مستباحاً في ظل ضبابية المعايير، وعدم قدرة المؤسسات الثقافية في العالم العربي على الخروج بتصور واضح.

كذلك تثار إشكاليات أخرى تتعلَّق بـ«الوسيط الثقافي إعلامياً» وذلك في ظل هيمنة وسائل التواصل الاجتماعي على المشهد، وتغييبها للوسائط التقليدية كالكتب والمجلات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، مع نشرها في الوقت نفسه «ثقافة الدقيقة ونصف» القائمة على الاختزال والتسطيح

في هذا الإطار، ورغبة من البرنامج الثقافي في «مركز الخليج للأبحاث» في مناقشة هذه القضية وبحثها من مختلف الأوجه بما يعمق فهمنا للحالة الثقافية في العالم العربي، فقد استطلع البرنامج الثقافي رأي عدد من المثقفين العرب في هذه القضية، مستأنسا بالأسئلة الآتية:

- **كيف نضبط مصطلح «الثقافة» و«المثقف» ونحدد معاييره؟**
- **كيف يمكن للمؤسسات الثقافية الرسمية الإسهام في ضبط مفهومي «الثقافة» و«المثقف»؟ وما الدور المناط بها في هذا الصدد؟**
- **ما هي برأيك الأخطار المرتبطة بتضييق مفهوم الثقافة أو توسيعه؟**
- **ما «الوسيط» الأنسب للثقافة؟ وهل تستطيع وسائل التواصل الاجتماعي أنْ تعوض الوسائط التقليدية للثقافة كالكتاب، والصحافة والمجلات، وبرامج الإذاعة والتلفزيون؟**
- **في ظل سهولة الطباعة وسهولة إصدار العديد من الكتب والروايات، ودون النظر إلى متانة جودتها منهجيا وفنيا، هل يعد ذلك معيارا كافيا ليلج المرء نادي الثقافة والمثقفين؟**

وفيما يلي نورد إجابات المثقفين المشاركين مرتبة أبجدياً.

د.أحلام نويوار

باحثة ومترجمة - المغرب

يُتداول مصطلح الثقافة على نطاق واسع رغم أنَّ مقاربة إشكالاته تظل أحياناً مستعصية حتى على النخب العلمية المتدرجة في بحور المعرفة، والتي تجدها في الغالب أكثر تحفظاً في استعمال هذا المصطلح، وتنأى بكثير من الحذر والوعي المعرفي عن إغداق لقب المثقف عليها.

فهل هناك فعلاً حاجة الى إعادة صياغة مفهوم الثقافة تبعاً للمتغيرات العالمية، أم أنَّ الأمر يتعلَّق بإشكالية تواصلية بين المثقف والمجتمع؟

> يعتبر مفهوم الثقافة إلى جانب مفهوم المثقف من أكثر المصطلحات تداولاً واستعمالاً، مما يوحي بنوع من الاستسهال والاستهلاك لمفهوم إشكالي يتخذ معاني مختلفة تبعاً للحقل المعرفي المرجعي.

لعل هذا السؤال يحمل في طياته شطر الجواب، حيث يعتبر مفهوم الثقافة إلى جانب مفهوم المثقف من أكثر المصطلحات تداولاً واستعمالاً، مما يوحي بنوع من الاستسهال والاستهلاك لمفهوم إشكالي يتخذ معاني مختلفة تبعاً للحقل المعرفي المرجعي، فهذا المفهوم يتواجد في ملتقى عدة حقول معرفية كالدراسات اللغوية والتاريخية والإبستمولوجية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية والسياسية وغيرها من المقاربات المختلفة التي تتيح الاقتراب من هذا المفهوم وضبط معايير تعريفه

إنَّ مصطلح الثقافة نفسه، الذي يتعارض تقليدياً مع الطبيعة، هو موضوع تعريفات عديدة تعكس المقاربات المختلفة التي تحاول تفسير الأنشطة البشرية. ففي عام 1952، كتب ألفريد كروبر وكلايد كلوكن قائمة بأكثر من مائتي تعريف مختلف لكلمة ثقافة في كتابهما "الثقافة: مراجعة نقدية للمفاهيم والتعريفات"، وذلك يرجع أساساً لتغيّر معنى هذا المصطلح على مرّ التاريخ.

في القرن التاسع عشر، كان المفهوم يشير إلى المعرفة العامة للفرد ككل، كما يتضح من التعريف الوارد في قاموس بيشيريل لعام 1862. وابتداءً من النصف الثاني من القرن العشرين، اتخذ مصطلح الثقافة معنى آخر، فبالإضافة إلى المفهوم الفردي للثقافة (البناء الشخصي للمعرفة)، فقد أصبح يشير إلى مفهوم جماعي وهو (مجموعة من البنى الاجتماعية والدينية). وبهذا تصبح العناصر التي تساهم في بناء الهوية الثقافية أكثر تعقيدًا.

وفي مقاربة تربط بين علم النفس والأنثروبولوجيا، ترى جينيفيف فينسونو في كتابها "الثقافة والسلوك" أن الثقافة عنصر مكتسب في السلوك الإنساني، وبالتالي فإن الثقافة تنتقل من شخص إلى آخر من خلال التعلم والمحاكاة وتكامل عدة عمليات

لقد تناولت أنثروبولوجيا القرن العشرين هذه القضايا المعقدة المتعلقة بالهوية الثقافية. ويعد فرانز بواس، على وجه الخصوص، من بين علماء الأنثروبولوجيا الأوائل الذين انتقدوا الافتراضات التطورية واهتموا بتنوع الثقافات المختلفة، مشدداً على أن "كل مجموعة ثقافية لها تاريخها الفريد"

من غير الممكن إقامة تطابق صارم بين مجتمع ما (عرقي أو قومي) ومجموعة من الممارسات أو القيم المشتركة بشكل موحد، نظراً لارتباط الهوية الثقافية دائمًا بالتاريخ الذي هي جزء منه، وبالتالي فهي أقل استقرارًا وحسمًا مما يقال غالبًا

ومن المنظور نفسه، يميز كلوكن بين الأنماط الضمنية كاللغة والأنماط الصريحة كالعادات والملابس والنظام الغذائي. وبالنسبة لروث بنديكت، فإنَّ الوحدة المهمة في تحليل ثقافة معينة هي، من ناحية أخرى، التكوين الثقافي (أنماط الأنماط)، أي الترتيب الفريد لمجموعة من السمات المشتركة للممارسات الثقافية لمجتمع معين لتحديد ما يجعل هويته تظهر على أنها تماسك بين عناصر معينة.

ومع ذلك، فإنَّ هذه المقاربات للثقافة ليست محل إجماع، إذ تُنتقد لعدم مراعاتها بما فيه الكفاية للطبيعة الديناميكية للثقافة، حيث يصعب حصر قيمها وخصائصها من أجل إبراز تماسكها في لحظة تاريخية معينة.

الموقف الثقافي، العدد العاشر - الثقافة والمثقف

فمن غير الممكن إقامة تطابق صارم بين مجتمع ما (عرقي أو قومي) ومجموعة من الممارسات أو القيم المشتركة بشكل موحد، نظراً لارتباط الهوية الثقافية دائمًا بالتاريخ الذي هي جزء منه، وبالتالي فهي أقل استقرارًا وحسمًا مما يقال غالبًا

ومع ذلك، فقد أصبحت هذه الخاصية أكثر وضوحًا في العقود الأخيرة بعد تطور الاتصالات والتبادلات التي زادت من درجة تعرض كل واحد منا لأنماط مختلفة للحياة أو التفكير لدرجة الوعي بمدى الخطر الذي أصبح يهدد التنوع الثقافي في ظل هيمنة الثقافة الأكثر جاذبية والمدعومة إعلامياً واقتصادياً

أمام التراجع الملحوظ لدور المثقف وانكماشه يذهب البعض إلى حد القول بـ»موت المثقف» في عصر الانتقال الرقمي وغيابه عن قضايا العالم الواقعي والعالم الافتراضي وعزوفه عن البدائل التواصلية التي تحظى بجاذبية كبيرة وسلطة لامحدودة

ولعل هذا التطور المفصلي في السنوات الأخيرة يستدعي مقاربة جديدة تستجيب للحاجة الملحة التي يمليها الاستعمال الواسع لمصطلح الثقافة وتتيح كذلك الانتقال من حالة الاستسهال والتعميم الى حالة

والتقنين بضبط هذا المفهوم والوعي بدور المثقف والثقافة في بلورة الهوية الفردية والجماعية وإنتاج أنساق معرفية وقيمية تواكب متطلبات العصر.

وأمام التراجع الملحوظ لدور المثقف وانكماشه يذهب البعض إلى حد القول بـ"موت المثقف" في عصر الانتقال الرقمي وغيابه عن قضايا العالم الواقعي والعالم

ولكن كيف ذلك وكيف نميز المثقف عن المتثاقف ما دمنا في عصر يفتي فيه المؤثرون في مواقع التواصل الاجتماعي في الطب والدين وعلم النفس والسياسة والفن إلى غير ذلك؟

الافتراضي وعزوفه عن البدائل التواصلية التي تحظى بجاذبية كبيرة وسلطة لامحدودة

وفي وقت يخيم فيه صمت المثقفين أمام العديد من الظواهر والقضايا التي تقتضي مواقف صريحة تهتدي بها الأفراد والجماعات وتصحح مسارات وانزلاقات تخص الشأن العام وتهدد حاضر ومستقبل المجتمع، يعلو صوت الجهل والتقليد والتفاهة والاضمحلال الفكري والأنماط السلوك الدخيلة والمشينة التي تقتضي التوجيه والتصحيح.

موت المثقف مرتبط أيضاً بالصعوبات التي تواجهه حيث أصبح أمام تحدياتٍ جديدةٍ مرتبطة بالتكنولوجيا والإنترنت جعلت من الصعب بمكان التأثير على الرأي العام في عصر تهيمن فيه مواقع التواصل الاجتماعي، ممَّا يفرض على المثقف الانسحاب أو التكيف مع هذه التحولات الاجتماعية والفكرية.

المثقفون بوصلة الأمم وصمام أمانها ودليلها نحو الرقي والازدهار ولقب المثقف يضع على عاتق صاحبه مسؤولية معرفية وإنسانية جمة وليس بأي حال امتيازا أو نوعا من البريستيج

ولكن كيف ذلك وكيف نميز المثقف عن المتثاقف ما دمنا في عصر يفتي فيه المؤثرون في مواقع التواصل الاجتماعي في الطب والدين وعلم النفس والسياسة والفن إلى غير ذلك؟

الموقف الثقافي، العدد العاشر - الثقافة والمثقف

بعيداً عن محاولة الإجابة عن هذا السؤال صار لزاماً الإقرار بدور هؤلاء المؤثرين الجدد في تشكيل ثقافة هذا العصر ونقلها إلى الناشئة في ظل تراجع دور المثقف في إنتاج ثقافة تسهم في تشكل الهوية الفردية والجماعية وفي عصر أصبح فيه "المثقف" يجد في هذه الصفة امتيازاً و بريقاً إعلامياً يسمو به إلى مصاف النخبة، في حين أن التاريخ يحمل شواهد كثيرة عن دور المثقف وتضحياته الجمة في سبيل إعلاء كلمة العلم وابداء الرأي في القضايا الجوهرية وتصحيح مسار المجتمع، فالمثقفون بوصلة الأمم وصمام أمانها و دليلها نحو الرقي والازدهار ولقب المثقف يضع على عاتق صاحبه مسؤولية معرفية وإنسانية جمة و ليس بأي حال امتيازا أو نوعا من البريستيج الاجتماعي

التطور التكنولوجي أصبح يحتم الانفتاح على الكتاب الرقمي ووسائل التواصل المتاحة وإنتاج محتوى ثقافي ومعرفي منسجم مع القيم الاجتماعية والإنسانية وقادر على الرقي بالذوق العام

يضطلع المثقف كوسيط بأدوار مهمة يمكن أن تسهم في التطور الفكري للمجتمع وقيادة التغيير وتوجيه الرأي العام ونشر الوعي والتثقيف بين أفراد المجتمع، خاصة وأن الثقافة أصبحت أكثر انتشاراً وتنوعاً مع ظهور الشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل المرتبط بها وهيمنة فكر العولمة وما صاحبها من طفرة في القيم المجتمعية والاتجاهات والمواقف المرتبطة بها

وإذا كان الكتاب يلعب دوراً رائداً في نشر الثقافة فإنَّ التطور التكنولوجي أصبح يحتم الانفتاح على الكتاب الرقمي ووسائل التواصل المتاحة وإنتاج محتوى ثقافي ومعرفي منسجم مع القيم الاجتماعية والإنسانية

وإذا كان الكتاب يلعب دوراً رائداً في نشر الثقافة فإنَّ التطور التكنولوجي أصبح يحتم الانفتاح على الكتاب الرقمي ووسائل التواصل المتاحة وإنتاج محتوى ثقافي ومعرفي منسجم مع القيم الاجتماعية والإنسانية وقادر على الرقي بالذوق العام فالثورة الرقمية وما صاحبها من تغيرات تفرض إعادة النظر في دور الإعلام والوسائط الثقافية وآليات الكتابة والنشر، وكذلك أنماط التلقي الجديدة الأكثر ملاءمة لتطلعات واهتمامات الأفراد والجماعات

في الحاجة إلى الثقافة كما في الحاجة إلى القيم ومساءلة الهوية الثقافية في عصر الرقمنة تكمن عدة إمكانيات للتفكير وتجاوز حالة التيه والاستهلاك الأعمى لقيم مبتذلة عابرة للقارات تطغى فيها سلطة المادة وثقافة الاستهلاك...فيظهر جلياً دور المثقف كإنسان يجعله وعيه المعرفي أكثر إدراكاً لمحدودية معرفته وأكثر وعياً بمسؤوليته تجاه مجتمعه، بل تجاه الإنسانية أيضاً بما ينتجه من خطاب فكري ونقدي يواكب الإشكالات المعرفية والأحداث السياسية والظواهر الاجتماعية

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

د. الحسين غزوي

مدير الإدارة الثقافية في الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي . المغرب

تعبر الثقافة بمفهومها الواسع عن مجمل أنماط حياة المجتمعات البشرية بكل جوانبها المادية والمعنوية وتشمل كل نماذج الإبداع البشري من معتقدات وقيم وعادات وأساليب تفكير وسلوكيات وطرق عيش وفنون وتراث وابتكارات وغيرها من مكونات النسيج الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المعقد الذي قام الإنسان عبر العصور بإبداعه وتطويره ونشره

ويتوسع تعريف الثقافة كنسق اجتماعي ليشمل كل الأنشطة التي يقوم بها الإنسان والتي تميزه عن باقي الكائنات الأخرى. فالنظام السياسي لمجتمع ما هو نوع من الثقافة السياسية الخاصة بذلك المجتمع باعتبارها نظاماً لتدبير وتحديد العلاقات بين مختلف السلطات ووسائل إدارة الحكم واحتكار حق استخدام القوة لبث النظام وتحقيق السلم الاجتماعي والاستقرار السياسي الذي يتيح للإنسان المواطن إمكانية المشاركة السياسية والاقتصادية وحرية العمل والابتكار وخلق الثروة وتطوير المجتمع.

النظام التعليمي يشكل جزءاً من ثقافة المجتمعات، باعتباره الأساس لصنع المواطن المثقف والمتعلم والواعي

كما أنَّ النظام الاقتصادي هو جزء من ثقافة المجتمع كونه يحرص على تنظيم وسائل الإنتاج وآلياته وعلى توزيع الثروات ووظائف العمل وفتح المجال للمبادرات المبتكرة في كل مجالات الاقتصاد كالتكنولوجيا ووسائل الاتصال ووسائط المواصلات والصناعات المختلفة التي تتيح ازدهار وتقدم المجتمعات البشرية وضمان اكتساب أساليب القوة. كذلك فإن النظام التعليمي يشكل جزءاً من ثقافة المجتمعات، باعتباره الأساس لصنع المواطن المثقف والمتعلم والواعي، الذي يستطيع من خلال الوسائل التعليمية المتاحة شحذ صفات المواطنة المسؤولة وخلق فرص الابتكار والإبداع والتطوير في كل مناحي الحياة

وإذا كانت الثقافة ترمز للتراث الإنساني للمجتمعات وتتطور بتقدمها وتفاعلها مع ثقافات الشعوب الأخرى وما يطبع ذلك من تبادل للتجارب والأفكار، فإنَّ الثقافات الأقوى والأكثر انفتاحاً على التطور والابتكار والأكثر استعداداً للاحتكاك مع الثقافات الأخرى دون مركب نقص تكون لها القدرة على التأثير في ثقافات المجتمعات الأقل قوة ونجاحاً، بفضل ديناميتها وقدرتها على الانتقال والانتشار الذي تسهم في توفيره وسائل الاتصال المتجددة والمبتكرة واللغة وقوة العلوم والتكنولوجيا والإبداعات الفكرية والفنية

يرتبط مفهوم المثقف بفئة من المجتمع تمتلك فكراً وثقافة وتحمل مشروعاً مجتمعياً متجدداً يرنو إلى تمكينه من مسايرة الركب الحضاري وأهداف التنمية الشاملة

ويرتبط مفهوم المثقف بفئة من المجتمع تمتلك فكراً وثقافة وتحمل مشروعاً مجتمعياً متجدداً يرنو إلى تمكينه من مسايرة الركب الحضاري وأهداف التنمية الشاملة والتنافس مع باقي المجتمعات على أسباب الريادة والتقدم والتطور الفكري والتقني. ودور المثقف هنا هو العمل على شحذ أفكاره ورؤاه وإبداعاتها وابتكاراته بهدف المساهمة الفاعلة فكرياً وإبداعياً في إعداد المحيط الأنسب لتطور هذا المشروع المجتمعي ومده بوسائل الاستدامة والتطور عبر استكشاف نواقصه ومصادر قوته وتعزيزه بالأفكار المبتكرة.

ومن بين الشروط التي يجب أن تتوفر في المثقف هي الجرأة والشجاعة في التعبير عن الذات وإبداء الرأي ونقد ما يُعتقَد أنها

أمور بديهية في المجتمع بحيث يكون متاحاً كسر التابوهات وخلق نقاش مجتمعي جدي بهدف تنوير الرأي العام والتأثير فيه بإيجابية وإبراز الحقائق باعتماد النقد البناء وتحليل الأحداث المؤثرة والابتعاد عن تقديم أفكار متجاوزة، مبتذلة ومستهلكة

كما يرتبط مفهوم المثقف بالمساهمات الفكرية النظرية التي تؤسس للظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتي تقود المجتمع في اتجاهات محددة من حيث الأيديولوجيا السياسية المهيمنة والنمط الاقتصادي المسيطر وطبقة الحكم التي تحتكر السلطة وتتحكم في الثروات وتحدد العلاقة مع الطبقات الاجتماعية الأخرى

> يكون المثقف ذا تأثير كلَّما استطاع الابتعاد عن المناطق الرمادية واتخذ مواقف ملتزمة ومناضلة بواسطة إبداعه الفكري

ويكون المثقف ذا تأثير كلَّما استطاع الابتعاد عن المناطق الرمادية واتخذ مواقف ملتزمة ومناضلة بواسطة إبداعه الفكري تمكنه من استقطاب فئات اجتماعية كبيرة لإنتاجه الفكري والثقافي حيث يرون في مشاريعه فرصة للتخلص من الإرهاصات الناجمة عن صراع السلطة واحتكار وسائل الإنتاج، والتي تمس بشكل مباشر مصادر أرزاقهم وتهدد السلم المجتمعي وتدفعهم بقوة للهامش. لذا، فإنَّ وظيفة المثقف تنويرية بالدرجة الأولى تهتم بتكريس القيم الأخلاقية في المجتمع وتدافع عن العدالة والحقوق وعن الديموقراطية والحرية والتنوع الثقافي ومبادئ التسامح والتعايش والمبادرات الفردية والجماعية الهادفة

من وجهة نظري، فإنَّ وظيفة المؤسسات الثقافية الرسمية هي توفير ظروف ممارسات ثقافية سليمة عبر العمل على تهيئة وإتاحة البنيات المادية الثقافية كالمسارح ودور الثقافة والنشر والتوزيع ودور السينما والمعارض ومؤسسات الابتكار والإبداع والصناعات الثقافية للمثقفين والادباء والشعراء والفنانين والمبدعين في مختلف المجالات، مع ترك مساحة فاصلة بين واجب تقييم جودة المنتوج الثقافي وممارسة دور رقابي يخنق الإبداع ويوجه الممارسة الثقافية في اتجاه خدمة أجندات

وأهداف معينة. ذلك أنَّ دور المؤسسات الرسمية هو دور تسهيلي بمعنى الحياد وأخذ مسافة واحدة من المثقفين والمبدعين في مختلف المجالات ذات الطبيعة الثقافية بطريقة تسهم في بروز حراك ثقافي حقيقي غير موجه، بعيد عن مقص الرقابة وقادر على خدمة المشروع المجتمعي المتوافق بشأنه والقابل للنقد والتفكيك والترميم وإعادة التركيب والبناء

لذلك، فإنَّ إعطاء مساحة كافية للمبدعين والمثقفين للتعبير والابتكار أمر ضروري لبناء مجتمعات قوية تفكر وتنتقد وتطرح الأسئلة الصحيحة التي من شأنها تعزيز الديموقراطية وقيم الشفافية والعدالة والحكم الرشيد. فالقول بأنَّ توسيع دائرة التفكير الحر قد يكون فيه تهديدٌ للدين أو الاخلاق أو لأمن المجتمع واستقراره هو نوع من الهروب إلى الأمام، ومحاولة لممارسة الرقابة على المجتمع. غير أنَّ هذا المعطى يجب ألا ينسينا ضرورة وضع بعض الشروط في كل ما يقدم للعموم من إنتاج ثقافي ومعرفي وفني وإبداعي، بحيث يكون متوافقاً قدر الإمكان مع الذوق العام ولا يهدف لازدراء دينٍ ما أو طائفة اجتماعية معينة أو إلى إثارة نعرات قبلية أو اللعب على أوتار التفرقة والتشرذم

> القول بأنَّ توسيع دائرة التفكير الحر قد يكون فيه تهديدٌ للدين أو الاخلاق أو لأمن المجتمع واستقراره هو نوع من الهروب إلى الأمام، ومحاولة لممارسة الرقابة على المجتمع

وفي عالم مثالي، فإنَّ المجال يكون مفتوحاً لكل المثقفين بشتى أنواعهم واختلاف مشاربهم ومجالات اختصاصهم للتدافع الثقافي والفكري والإبداعي دون تصنيفات محددة تقصي من تقصي وتقرّب من تقرّب وتضع هذا في مصاف صديق ومناصر للسلطة وذاك في خانة الثوريين الأعداء الواجب إخراسهم ولجمهم. فالواجب الأخلاقي لهذه المؤسسات يفترض العمل على إعطاء الحرية للجميع للإبداع والتفكير ومقارعة

بأختها وحصر دورها في تشجيع التفكير النقدي والأعمال المبتكرة وخلق ظروف تسمح بقيام ثورات إبداعية يتم تقييمها من طرف الجمهور الواسع. فالأفكار الجديدة، المنتقدة والمبتكرة تخلق جمهوراً واعياً متنوراً قادراً على التمييز بين حقوقه وواجباته كمواطن مما ينعكس على مختلف أدواره داخل المجتمع كأب وعامل وموظف وصاحب اختيارات بناءة خلال الانتخابات ومسارات البناء الديموقراطي في مجتمعه

أضحى كل من يحمل صفة مثقف في مجاله الخاص مطالباً بالتماهي مع الابتكارات التكنولوجية الحديثة التي تتيح له التواصل مع مختلف الفئات المجتمعية وفرض وجوده في الساحات المعرفية والإبداعية

وإذا كان فتح المجال للمبدعين والمفكرين والفلاسفة والعلماء وكل العاملين في ميدان الثقافة والذين يسري عليهم وصف المثقف، بدون قيود أو رقابة من أجل تعزيز الفكر الحر وتشجيع الابتكار والأفكار المجددة والمبدعة، أمراً مستحباً ومنطقياً، فإنَّ تمطيط مجال الثقافة يمكن أن يفتح الباب للكثير من المتطفلين والمتنطعين والسطحيين وغيرهم من أصحاب المحتوى الثقافي المبتذل الراغبين في الظهور، وحجز مكان لهم في الفضاء الثقافي الواسع والمتعدد المجالات. لذلك، فإن النقاش الدائر حول ضرورة تحديد الشروط الواجب توفرها في كل من يوصف بالمثقف يبدو أمراً بالغ الأهمية

رغم صعوبته من الناحية التقنية. فالمجال الثقافي بشموليته وتشعب ميادينه لم يعد حكراً على أصحاب الفكر الهادف والرؤى التنويرية والفن الملتزم العاكس للقيم الإنسانية المشتركة وذلك بسبب سطوة تكنولوجيات الاتصال الجديدة على مناحي الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية

فتكنولوجيا الاتصال الجديدة بما في ذلك وسائط التواصل الاجتماعي أضحت فضاءً مفتوحاً للجميع للأديب والمفكر وصاحب الإبداع الفني الرفيع وكذا للجاهل والسطحي والفنان التافه إذْ إنَّ ما يُسمَّى بديموقراطية الوصول للجمهور العام التي أسَّست لها هذه التكنولوجيا تحولت لنقمة ومصدراً للإزعاج والتذمر عوض أنْ تكون نعمة للبشرية تسهم في نشر الفكر الهادف المتنور والقيم الإنسانية العالمية.

وإذا كانت هذه الثورة التواصلية قد أحبطت الكثير من المثقفين الحقيقيين، فإنها لاقت تجاوباً من الجمهور العام الذي بات يتفاعل بالملايين مع تغريدات معينة، ويستمتع بشتى أنواع الفن المعروض على منصات التواصل الاجتماعي. لذلك أضحى كل من يحمل صفة مثقف في مجاله الخاص مطالباً بالتماهي مع الابتكارات التكنولوجية الحديثة التي تتيح له التواصل مع مختلف الفئات المجتمعية وفرض وجوده في الساحات المعرفية والإبداعية بفضل جودة منتوجه الثقافي عوض الجلوس في برجه العاجي ولعن الظلام

وفي خضم الحديث عن سطوة وسائل التواصل الاجتماعي واحتكارها لمسألة نقل الاخبار وفتح منصات النقاش ونشر وتبادل المعلومات، فإنه لا يمكن الجزم بموت الوسائط التقليدية للثقافة كالكتب والمجلات والجرائد وبرامج الإذاعة والتلفزيون، التي لا زالت تحافظ على أهميتها خاصة في المجتمعات القارئة والواعية التي تعتبر الثقافة قيمة أساسية متاحة للجميع وليست ترفاً خاصاً بفئة اجتماعية محددة. لذلك نقول إنَّ من واجب المؤسسات الرسمية الساهرة على القطاعات الثقافية بذل جهد مضاعف عبر استثمار الجوانب الإيجابية للوسائط الجديدة للتواصل لنشر المنتج الثقافي الهادف مع العمل على تطوير الوسائط التقليدية وجعلها أكثر جذباً للعموم من الجمهور.

أمام كل هذه التحديات الناجمة عن الثورة التكنولوجية في وسائل التواصل، فإنَّ المثقف لا يمكن أن يقف على الحياد ويعلن الاستسلام وينأى بنفسه عن واجب الحضور في الميدان وخلق قوة موازية تعيد الأمل للشغوفين بالعمل الثقافي الجاد

ولن يكون هذا ممكناً دون فتح باب النقاش وإشراك الفاعلين في ميدان الثقافة في

رغم صعوبته من الناحية التقنية. فالمجال الثقافي بشموليته وتشعب ميادينه لم يعد حكراً على أصحاب الفكر الهادف والرؤى التنويرية والفن الملتزم العاكس للقيم الإنسانية المشتركة وذلك بسبب سطوة تكنولوجيات الاتصال الجديدة على مناحي الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية

فتكنولوجيا الاتصال الجديدة بما في ذلك وسائط التواصل الاجتماعي أضحت فضاءً مفتوحاً للجميع للأديب والمفكر وصاحب الإبداع الفني الرفيع وكذا للجاهل والسطحي والفنان التافه إذْ إنَّ ما يُسمَّى بديموقراطية الوصول للجمهور العام التي أسَّست لها هذه التكنولوجيا تحولت لنقمة ومصدراً للإزعاج والتذمر عوض أنْ تكون نعمة للبشرية تسهم في نشر الفكر الهادف المتنور والقيم الإنسانية العالمية.

وإذا كانت هذه الثورة التواصلية قد أحبطت الكثير من المثقفين الحقيقيين، فإنها لاقت تجاوباً من الجمهور العام الذي بات يتفاعل بالملايين مع تغريدات معينة، ويستمتع بشتى أنواع الفن المعروض على منصات التواصل الاجتماعي. لذلك أضحى كل من يحمل صفة مثقف في مجاله الخاص مطالباً بالتماهي مع الابتكارات التكنولوجية الحديثة التي تتيح له التواصل مع مختلف الفئات المجتمعية وفرض وجوده في الساحات المعرفية والإبداعية بفضل جودة منتوجه الثقافي عوض الجلوس في برجه العاجي ولعن الظلام

وفي خضم الحديث عن سطوة وسائل التواصل الاجتماعي واحتكارها لمسألة نقل الاخبار وفتح منصات النقاش ونشر وتبادل المعلومات، فإنه لا يمكن الجزم بموت الوسائط التقليدية للثقافة كالكتب والمجلات والجرائد وبرامج الإذاعة والتلفزيون، التي لا زالت تحافظ على أهميتها خاصة في المجتمعات القارئة والواعية التي تعتبر الثقافة قيمة أساسية متاحة للجميع وليست ترفاً خاصاً بفئة اجتماعية محددة. لذلك نقول إنَّ من واجب المؤسسات الرسمية الساهرة على القطاعات الثقافية بذل جهد مضاعف عبر استثمار الجوانب الإيجابية للوسائط الجديدة للتواصل لنشر المنتج الثقافي الهادف مع العمل على تطوير الوسائط التقليدية وجعلها أكثر جذباً للعموم من الجمهور.

> أمام كل هذه التحديات الناجمة عن الثورة التكنولوجية في وسائل التواصل، فإنَّ المثقف لا يمكن أن يقف على الحياد ويعلن الاستسلام وينأى بنفسه عن واجب الحضور في الميدان وخلق قوة موازية تعيد الأمل للشغوفين بالعمل الثقافي الجاد

ولن يكون هذا ممكناً دون فتح باب النقاش وإشراك الفاعلين في ميدان الثقافة في

بلورة تصورات ومفاهيم مبتكرة للاستفادة من الطفرة التي خلقها التطور المتسارع لتكنولوجيا التواصل وتحويل التحديات لفرص حقيقية للانتشار والتميز والتأثير الإيجابي العابر للحدود والمقرب للمسافات.

وإذا كانت وسائط التواصل الاجتماعي تسهم في نشر ثقافة التفاهة وتمنح ذوي المعارف السطحية والمبتذلة فضاءات لنشر ترهاتهم وسخافاتهم عبر الفضاء الافتراضي العابر للحدود، فإنها في الوقت نفسه تتيح لجمهور المثقفين الحقيقيين الفرصة لنشر المنتوج الثقافي الرفيع المميز بالتزامه المعرفي والأخلاقي وجودته الفكرية وقوة حجيته المعرفية وقدرته على الإقناع واستقطاب الجماهير الطامحة للحصول على محتويات معرفية وإبداعية تنافس بقوة سطوة المحتويات الفارغة التي تعج بها شبكات الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي. فتغييب الفكر المتنور والمحتوى الملتزم وترك الفراغات على هذه المنصات يجعلها عرضة لكل من هب ودب لإفساد الذوق العام ونشر التفاهات. وأمام كل هذه التحديات الناجمة عن الثورة التكنولوجية في وسائل التواصل، فإنَّ المثقف لا يمكن أن يقف على الحياد ويعلن الاستسلام وينأى بنفسه عن واجب الحضور في الميدان وخلق قوة موازية تعيد الأمل للشغوفين بالعمل الثقافي الجاد والطامحين للاستمتاع بقوة الأفكار النيرة والابداع الفني الراقي والابتكارات الإنسانية المتجددة

> نشر مساهمة فكرية واحدة ذات جودة عالية تثير نقاشات علمية حقيقية أفضل بكثير من إصدار كتب لا قيمة علمية لها ولا تضيف شيئاً للنقاش المجتمعي الهادف

وإذا كان دور المثقف هو النضال من أجل أفكاره وإبداعه في مجالات اهتمامه وتخصصه والعمل على إنتاج أعمال ذات إضافة نوعية تسهم في بروز مشروع اجتماعي متماسك تنويري متقدم، فإن جودة منتوجه الثقافي وحدها تتيح له إمكانية التأثير والانتشار وتبوء مكانة مرموقة في نادي المثقفين والأدباء والمفكرين والمبدعين والفنانين والمبتكرين. فنشر مساهمة فكرية واحدة ذات جودة عالية تثير نقاشات علمية حقيقية أفضل بكثير من إصدار كتب لا قيمة علمية لها ولا تضيف شيئاً للنقاش المجتمعي الهادف. وقد رأينا كيف أنَّ مفكرين عالميين استطاعوا نيل الحظوة لدى الجمهور العام عبر ربوع العالم بفضل إصدارات محدودة العدد ثقيلة القيمة الفكرية والإبداعية وعظيمة الأثر في نفوس الناقدين والمستهلكين للمنتوجات الثقافية والفكرية الجادة والمجددة وغير المبتذلة

لذلك، فإن ولوج نادي المثقفين الملتزمين المجددين والمثيرين للنقاشات الهادفة لا يكون باستغلال توافر وسائل النشر والطباعة، بل بالتميز الفكري والثقافي وبالأثر المستمر لنظرياتهم ومساهماتهم. فكتب من قبيل «الأمير» لمكيافيلي و«نهاية التاريخ والإنسان الأخير» لفوكو ياما و«المقدمة» لابن خلدون و«المبادئ» لإسحاق نيوتن و«أصل الأنواع» لتشارلز داروين و«رأس المال» لكارل ماركس و«دورة الأفلاك السماوية» لكوبرنيكوس وغيرها الكثير بقيت صامدة عبر العصور وأحدثت نقاشات علمية رفيعة

ولوج نادي المثقفين الملتزمين المجددين والمثيرين للنقاشات الهادفة لا يكون باستغلال توافر وسائل النشر والطباعة، بل بالتميز الفكري والثقافي وبالأثر المستمر لنظرياتهم ومساهماتهم

نظراً لقيمتها الفكرية المتفردة، وتأثيرها الكبير على تاريخ العلوم والنظريات الفلسفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية

وإذا كان هذا المستوى الفكري والعلمي محصوراً على طبقة محددة من النجباء والأشخاص ذوي الذكاء الخارق، فإنَّ الإسهامات الفكرية لعموم المثقفين الجادين لا تقل قيمة من حيث تركيزها على الرغبة في المساهمة الفعلية والمؤثرة والهادفة في النقاشات العمومية والمشاريع الاجتماعية المهيكلة. لذلك، فإنَّ سهولة النشر والإصدار لا يعني بالضرورة تمكين الانتاجات الثقافية الفارغة المحتوى من أي تأثير فعلي على الرأي العام والتوجهات الكبرى للفكر والإبداع والفنون إنْ على المستوى المحلي أو الدولي

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

سعيد الطارشي

رئيس تحرير مجلة ثقافة . سلطنة عمان

من المعلوم أنَّ ضبط المصطلحات والمفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية مهمة شاقة؛ لاختلاف المرجعيات والمنظورات لتحقيق ذلك، ولأنَّ اللغة، وهي وسيلة الضبط الأهم، لا يمكنها التعبير عن كل الوجود الخارجي أو الذهني، وأخيرًا لكون المصطلحات والمفاهيم ليست سوى تعبير –كما يرى دينس كوش- عن صراعات اجتماعية، وبمعنى آخر فإنَّ التعريفات ليست محايدة أو بريئة؛ بل هي جزء من خطاب اجتماعي يسعى للتأثير على الآخرين وربما تجاوز ذلك للسيطرة والهيمنة.

وبالنسبة لمفهوم «الثقافة» و«المثقف» ومنذ التعريف الشهير للأنثروبولوجي البريطاني الشهير إدوار تايلور ظهرت عشرات التعريفات لمفهوم الثقافة، من أهمها تعريف فريدريك تشيللر الذي يرى أنَّ «الثقافة هي الآلية المحركة حيث تقولب الذوات البشرية تبعًا لحاجات نوع جديد من النظام السياسي فتعيد صياغتهم وتحولهم إلى أدوات طبيعية ومعتدلة ولا مبالية».

> التعريفات ليست محايدة أو بريئة؛ بل هي جزء من خطاب اجتماعي يسعى للتأثير على الآخرين وربما تجاوز ذلك للسيطرة والهيمنة

ومع أنني أتبنى في هذا السياق هذا التعريف، لكن لا أوافق على حجم السلبية الذي تبدو به الذوات البشرية، التي أرى أنَّ لها قدراً كبيراً من الحرية أو القدرة على الفعل وتشكيل ذاتها وجوانب من الحياة الاجتماعية

وفيما يتعلَّق بمعايير الضبط، هناك العشرات من التعريفات وكلها غير جامعة ولا مانعة بلا شك وشخصيًا أتبنى التعريفات المركبة من عدة تعريفات تتخلص من نواقص أو سلبيات مفاهيم أو تعريفات أخرى وتصف وتفسر ما هو كائن بأعلى درجة وتحقق ما نرجو من فهم على مستوى النظر، وإسعاد لأكبر قدر من بني الإنسان على مستوى الواقع؛ بإتاحة أكبر عدد من البدائل للاختيار.

> أبرز المعايير التي ينضبط بها مفهوم الثقافة، معيار المقدرة التفسيرية والعدالة والاعتراف بالآخر والحس النقدي وتحقيق أكبر قدر من المصلحة الإنسانية

أمَّا أبرز المعايير التي ينضبط بها مفهوم الثقافة، فهي برأينا معيار المقدرة التفسيرية والعدالة والاعتراف بالآخر والحس النقدي وتحقيق أكبر قدر من المصلحة الإنسانية، كما جاء في القرآن الكريم «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى» و«إذا قلتم فاعدلوا»، «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين».

وتوجد تعريفات عديدة للمثقف ربما أبرزها التعريف الشهير لإدوارد سعيد، وتعريف جوليان بيندا، وغيرهما، والتعريف الواسع لجرامشي «المثقف العضوي»، والذي هو أقرب في فهمي للمثقف، فأنا أرى أن كل أفراد المجتمع يمكن أنْ يكونوا مثقفين، فكل من بإمكانه أنْ يحدث تغييرًا إيجابيًا (وفق المعايير أعلاه) في مجتمعه فهو مثقف

أمَّا بالنسبة لدور المؤسسات الثقافية الرسمية في ضبط مفهومي الثقافة والمثقف، فهذا جزء من السياق السابق المتعلق بضبط المصطلحات. وطبعًا المؤسسات الثقافية لها دور؛ لكن كنت أتمنى أن يكون للمثقف الفرد (المفكر، الفقيه، العالم) ومؤسسات المجتمع المدني حق الإسهام في تشكيل الضوابط.

وهنا أنبه إلى حق الجميع في التعريف. مع تأكيد ضرورة أن تتجاوز المؤسسة منهج التعامل مع الأفراد انطلاقًا من مبدأ السلطة البطريركية. لست مع هذا التصور، والذي يحضر على الأقل ضمنيًا في عقول البعض. أنا مع مشاركة الجميع؛ وهنا يبرز دور المؤسسات التعليمية في تعليم الناس التفكير النقدي وقبل ذلك أخلاق العدالة والاعتراف بالآخر.

ومن جانب آخر يمكننا الارتقاء بالتعريف من خلال دور للمؤسسة تتعاون فيه مع مختلف المؤسسات والأفراد ذوي الصلة والعلاقة بالموضوع؛ أي الانتقال من صيغة العمل المؤسسي الذي تنفرد فيه المؤسسة الثقافية الرسمية بالعمل إلى المشاركة الواسعة ومأسسة التفكير في المفهوم والقضايا المرتبطة به. وهذا أصبح ضرورة في عالم يزداد سيولة في بنيته التقليدية

وفيما يتعلق بالمخاطر المرتبطة بتضييق مفهوم الثقافة أو توسيعه، فكما أشرت فإنَّ مسألة التعريف وضبطه ومن يتولى ضبطه ليست فقط قضايا معرفية محايدة وبريئة، بل رغبات وسلطة تعكس

صراعات وسعي لهيمنة؛ ولا أرى مشكلة طالما كان السعي وراء استعمال المفهوم هو ما أشرت إليه من غايات علمية نظرية وأخلاقية عملية.

مع الإشارة إلى أن التضييق في بعض الأحيان والسياقات مخل؛ فربما ضاق عن التعبير عن جزئيات المعرف ولم يمايزه عن غيره ليدرك ويفهم. وفي أحيان وسياقات أخرى يكون التضييق أفضل من التوسيع لأنَّ التعريف متى ما ضمَّ كل شيء فقد معناه تماماً. وهذا لا ينفي فوائد التوسع فهو يعطي نظرة أعمق للمفهوم

> يجب الانتقال من صيغة العمل المؤسسي الذي تنفرد فيه المؤسسة الثقافية الرسمية بالعمل إلى المشاركة الواسعة ومأسسة التفكير في مفهوم الثقافة والقضايا المرتبطة به

وحول الوسيط الأنسب للثقافة، ومدى قدرة وسائل التواصل الاجتماعي على تعويض الوسائط التقليدية للثقافة كالكتاب والصحافة والمجلات وبرامج الإذاعة والتلفزيون، فقد عرفت الثقافات البشرية وسائط نقل عديدة ناسبت ظروفها وتطورها منذ مرحلة المجتمعات الشفهية إلى المجتمعات الكتابية. والمرحلة التي تعيشها المجتمعات الآن هي جذرية في حجم تغيرها ونوعيته بظهور لاعبين جدد (وسائل التواصل الاجتماعي)، وتنامي كفتها كل يوم؛ ولا شك أنَّ التغير يتنامى أكثر وأكثر بتطورات الذكاء الاصطناعي.

مع كل هذا التنامي، لكنه لا ينفي استمرارية وجود اللاعبين التقليديين؛ فهذه الوسائط مثل «الأساطير لا يمكن أن تختفي وإنما تغير صور وهيئات ظهورها في حياة الإنسان» كما يقول مرتسيا إلياد.

وأبرز مثال «البودكاست» الذي يعد تجليًا جديدًا للمذياع. وأهم من ذلك وأكثر دلالة استمرار الكتاب الورقي وقبل ذلك الكتاب نفسه فهو حتى في صورته الإلكترونية هو كتاب. أما عن الوسيط الأنسب لنقل الثقافة؛ فالإجابة صعبة جدًا خاصة في ظل التطورات التي أفرزها الذكاء الاصطناعي. وهي أي الوسيلة تعتمد على السياق وعلى الفرد..

> كل فرد من أفراد المجتمع يمكنه أن يحدث تغييرًا إيجابيًا في الحياة الإنسانية فهو مثقف

وبالنسبة لما إذا كان إصدار العديد من الكتب والروايات ودون النظر إلى متانة جودتها منهجيًا وفنيًا معيارًا كافيًا ليلج المرء نادي المثقفين والثقافة؟ فهذا السؤال جزء منه متعلق بتمييز المثقف عن غيره، وكما قلنا فإنَّ كل فرد من أفراد المجتمع يمكنه أن يحدث تغييرًا إيجابيًا في الحياة الإنسانية فهو مثقف. مع الإشارة إلى أن هناك أعمالاً ثقافية ونصوصاً أدبية وفكرية على درجة عالية من الجودة والمتانة المنهجية والفنية؛ لكنها غير معروفة وغير مؤثرة ولا يتعامل معها غير المتخصصين؛ طبعًا هذا لا ينفي قيمتها الثقافية الإبداعية والإنسانية

في المقابل توجد نصوص بسيطة جدًا ليس بها أية درجة من الجودة الفنية أو المتانة المنهجية، لكنها واسعة الانتشار ومؤثرة في شرائح كبيرة من المجتمعات؛ وانطلاقًا من تعريف ماثيو أرنولد للثقافة بكونها «السعي إلى معرفة الأفضل» فالسؤال هنا: هل الأفضل هو الأكثر إبداعًا، أم الأكثر تأثيرًا؟ من وجهة نظري فإن الأفضل: هو الأكثر نقدية وإسعادًا لأكبر قدر من بني الإنسان

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

د. شرف المزعل

كاتبة ومؤرخة . البحرين

إنَّ تقديم تعريف جامع وشامل لمفهوم الثقافة (Culture) ليس أمرا سهلاً، ويحتاج إلى إعمال الفكر. وأرى أنه يمكن ضبط مصطلحيّ «الثقافة والمثقف» إذا ما استندنا إلى مقدّمات أساسية، ومن أهمها:

> إن شخصاً يحفظ الأشعار القديمة للمتنبي والبحتري عن ظهر قلب قد يُوصف، في محيط بيئته الاجتماعية، بأنه مثقف، مع أنه يتمتع فقط بذاكرة شعرية حادّة

(1) إنَّ مفهوم الثقافة شائع ومعقد، ويحتوي على معظم التخصصات والمصطلحات التي تهتم بالإنسان، سواءً فيما يتعلق بنمط عيشه، وتواصله، واحتكاكه، وتجارته، وتعلمه، وتنقله، وزواجه، ومعاييره وأنماطه الثقافية والاجتماعية. وعلى هذا الأساس، فإن شخصاً يحفظ الأشعار القديمة للمتنبي والبحتري عن ظهر قلب قد يُوصف، في محيط بيئته الاجتماعية، بأنه مثقف، مع أنه يتمتع فقط بذاكرة شعرية حادّة

(2) لقد ارتبط مصطلح «الثقافة» بظهور النزعة الإنسانية والتصور العقلاني العلمي للكون؛ أي ارتبط بما يُسمّى بالحداثة؛ بحيث أصبحت ألفاظ مثل الثقافة، والأيديولوجيا، والحداثة، تشير إلى الحياة وفق العقل الذي يسيّر الوقائع والأحداث، وتدّل على ضرورة تحرُّر العقل من الأفكار الغيبية

(3) من الناحية اللغوية، فإن فعل «ثقّف» يعني « قوّم» أو «أصلح»، وهذا يعني أنَّ «المثقف» هو شخص مدعو لإصلاح المجتمع وتعديل سلوك الناشئة بما يتوافق مع أهداف المجتمع ومعاييره. غير أنك حالما تقول إنَّ فلاناً شخص «مثقف»، حتى يتبادر إلى الأذهان أنك تقصد بقولك هذا أنه إنسان مطلع، ومتبحّر في العلوم والفنون والآداب، ويمكن التحاور معه في شئون العلم والأدب والثقافة. وهنا يبرز الفرق الواضح بين التعريف اللغوي الصرف والتعريف الاصطلاحي الذي توافق عليه عامة الناس

(4) إن أشهر تعريف للثقافة وضعه الأنثروبولوجي الأميركي إدوارد تايلور بأنه «الكل المركب الذي يشتمل على المعارف والمعتقدات، والفن والقانون والأخلاق والتقاليد، وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع» غير أن تعريف الثقافة على هذا النحو يجعل الثقافة، على حد تعبير تايلور نفسه، شيئاً لا يملكه الإنسان، وهذا القول

انقسم علماء الاجتماع بصدد مفهوم «الثقافة» إلى فريقين أحدهما يرى في الثقافة متغيراً مستقلاً يعمل على تغيير المجتمع ويؤثر فيه تأثيراً فاعلاً، والآخر يرى الثقافة متغيراً تابعاً يتغير بتغيّر البناء الاقتصادي، ويتأثر بأي اهتزازات تحدث بشأنه

غير دقيق، ولا يعكس الواقع المعاش

ويُنظر في بعض الأحيان إلى الثقافة بأنها عبارة عن «نماذج ظاهرة وكامنة من السلوك المكتسب والمتنقل بواسطة الرموز، والتي تكون الإنجاز المميز للجماعات الإنسانية، والذي يظهر في شكل موضوعات، ومنتجات وأفكار ثقافية».

وضمن هذا التعريف، يتم مساواة الثقافة بالسلوك؛ بمعنى أنَّ الثقافة يفترض أن تتجلّى في أوضح صورها في سلوك المثقف نفسه، المُنتج للموضوعات الثقافية. فهذا التعريف إذن يُعنى بتجليات (مظاهر) الثقافة، وبدور المثقف، وليس بمفهوم الثقافة نفسه

(5) انقسم علماء الاجتماع بصدد مفهوم «الثقافة» إلى فريقين كبيرين، فريق يرى في الثقافة متغيراً مستقلاً يعمل على تغيير المجتمع ويؤثر فيه تأثيراً فاعلاً (المثقف هو المُصلح الاجتماعي)، في حين يرى الفريق الثاني في الثقافة متغيراً تابعاً يتغير بتغيّر البناء الاقتصادي، ويتأثر بأي اهتزازات تحدث بشأنه (وهذا يعني أنَّ المثقف قد يتحول، في ظل نظام اقتصادي غير عادل، إلى شخص يبرِّر غياب العدالة في المجتمع). وقد يلعب المثقف كلا الدوريّن؛ أي أن يظهر أمام العامة والبسطاء كمصلح اجتماعي، في حين أنه يسهم في بقائهم في ظل الاستبداد؛ أي يسهم في تجهيلهم واستغفالهم

(7) إن الدور الذي تلعبه «الثقافة» في المجتمع يتميز بالازدواجية؛ فيمكن للثقافة أن تكون قوة للقمع والهيمنة (عندما يكون تقاسم القيم والمعايير والمعتقدات السائدة عاملاً لإبقاء الناس مُستثمَرين في أنظمة اجتماعية لا تعمل لمصلحة الأغلبية)، لكنها يمكن أن تكون أيضاً قوة للإبداع والمقاومة والتحرر.

إذا كان مصطلح الحضارة يشير إلى المعرفة العلمية والفنية، فإنَّ مصطلح الثقافة يشير إلى النتاج الفني والديني والفلسفي للمجتمع

(8) يجب التمييز بين «الثقافة» و«الحضارة»؛ فالحضارة تشتمل على المعرفة الوضعية والعلم والتكنولوجيا، والتي تتكون من معلومات يُمكن تمريرها من جيل إلى آخر، وتتمتع بدرجة عالية من الدقة والضبط. في حين أن الثقافة تتعلق بدراسة الأشكال الروحية للإنسان، وما تتضمنهُ من قيم ومقاييس وعادات وأفكار وانطباعات، لا يمكن الجزم بصحتها أو بخطئها، وذلك لمرونتها ونسبيتها واختلافها من مجتمع إلى آخر، ومن فرد لآخر، ومن فترة زمنية لأخرى. وإذا كان مصطلح الحضارة يشير إلى المعرفة العلمية والفنية، ومدى سيطرتها على الموارد الطبيعية، فإنَّ مصطلح الثقافة يشير إلى النتاج الفني والديني والفلسفي للمجتمع، باعتبار أنَّ الثقافة هي المظاهر الفكرية والفلسفية للحياة الاجتماعية

(9) إنَّ المثقف هو الشخص الذي يعبر عن ضمير الأمة وحركة التاريخ، ويتخذ مواقف مبدئية في مواجهة القوى الاجتماعية التي تسعى لتجهيل المجتمع ونشر السطحية والابتذال والتفاهة في المجتمع من خلال وسائل الإعلام والاتصال الاجتماعي، ويضطلع بدوره في معركة التنوير وتنمية الوعي، ويقف بقوة ضد تزييف الوعي، ويعلو فوق ذاته؛ فلا يخضع لحسابات الربح والخسارة الشخصية

(10) إنَّ المثقف هو الشخص الذي يقف ضد الخطابات الانتهازية والشعبوية والسطحية الرائجة في المجتمع، تارة باسم الواقعية وتارة أخرى باسم العقلانية، ويعمل على فضح مقاصدها، وذلك من خلال النقد العقلاني، ودعم الحداثة والتنوير، وإيقاظ الوعي الحر للحد من التطرف الفكري والعقائدي، وتحرير الفضاء الثقافي الإلكتروني من تسلط الغوغائية التي تزرع الجهل، وتُشيع التفاهة بالصوت والصورة

ومما سبق يمكن القول إنَّ مفهوم «الثقافة» يرتبط، بشكل محدّد، بدورها البارز في إنتاج النظام الاجتماعي وترسيخ القواعد والأعراف والمبادئ والقيم والأخلاق التي تسمح لنا بالتعاون والعمل

كمجتمع والعيش معاً في ظل الثقافة المشتركة التي تجمعنا، من أجل إعلاء قيمة العقل المتحرر من الغيبيات والأوهام، وتنمية الوعي، وهي أيضاً خبراتنا المتولدة عبر التفاعل الإنساني في سياق الحياة الاجتماعية، والمصاغة في قوالب رمزية كاللغة التي يكتسبها الأفراد بالمجتمع من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية

ولا يجوز برأيي قصر مفهوم «الثقافة» على مجاليّ الفنون والآداب فقط، فهذا تعريف محدود وضيق لمفهوم الثقافة؛ فالثقافة تعني كل ما هو موجود في المجتمع الإنساني من علوم وفنون وآداب وحضارة، ويتم توارثه وتنميته وترسيخه بالمجتمع.

بمعنى آخر، فإن الثقافة تشمل النتاجات (العناصر) المادية؛ وتتجلى في الأشياء المادية الملموسة، كالقطع الأثرية والحواسيب (أجهزة الكمبيوتر بصفتها منتجات تصنع ثقافة أو تشكل جزءاً منها) وغيرها، وكذلك النتاجات (العناصر) اللامادية، والتي تشمل الأفكار والأديان والمعتقدات والقيم والأعراف والرموز واللغة والسلوك والعناصر الوجدانية (الاتجاهات والميول والآراء)، والمعرفية (القدرات والمهارات)، والاجتماعية (المعايير والطقوس)، وما إلى ذلك

ويعد النظام المعياري أحد المكونات الاجتماعية للثقافة، وهو يتضمن القيم؛ وتشمل القيم الغائية للفرد والجماعة والقيم الوسيلية التنافسية والأخلاقية، وكذلك المعايير؛ وهي قواعد السلوك التي تجسد القيم السائدة بالمجتمع (القواعد الرسمية كالقوانين والمراسيم، والقواعد غير الرسمية كالأعراف).

يجب تحويل العمل الثقافي إلى صناعة منتجة، من خلال التركيز على المحتوى الثقافي الذي يعزز الهوية الثقافية والوطنية، ودعم الثقافة وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في مشاريعها

أمَّا بالنسبة لدور المؤسسات الثقافية الرسمية في الإسهام في ضبط مفهومي «الثقافة» و«المثقف»، فيمكن القول إن المؤسسات الثقافية الرسمية مدعوّة إلى إدارة الشأن الثقافي في البلاد بحكمة، وضبط مفهوم الثقافة عن طريق توفير المناخ الأفضل لتنمية فضاء الثقافة وازدهارها في المجتمع من خلال ترسيخ حرية التفكير والإبداع، والانتقال من ثقافة الدولة إلى دولة الثقافة، وذلك عن طريق

إذا غرق مفهوم الثقافة في أوحال السطحية والتفاهة، بحجة أنَّ الثقافة ليست للنخبة المثقفة فقط، وأن هذه النخبة لا تملك حق الوصاية على الثقافة، فمثل هذا السلوك سيؤدي إلى تعويم مفهوم الثقافة، وسيطرة الرداءة والانحطاط

تعزيز دور الثقافة في بناء الوعي وخدمة الأهداف الوطنية الكبرى، وربط الثقافة في بُعديها الوطني والإنساني بالمشروع المجتمعي الوطني الحداثي، والذي يعتبر الثوابت الوطنية والتنوع الثقافي والتعددية الثقافية أمراً أساسياً في كل عمل ثقافي وفني وإبداعي

ولما كان المثقف يمثل دعامة أساسية لهوية الدولة الوطنية وشخصيتها الثقافية، وما فيها من ثراء وتنوّع إيجابي، فإنَّ المؤسسات الثقافية الرسمية مدعوّة لتحرير إرادة المثقف في الفضاء الثقافي الوطني، وإطلاق روحه الإبداعية، والنهوض بالفكر الحداثي التنويري الحر، وتشجيع النقد العقلاني، والتصدّي للخطاب الذي يزرع الجهل وينشر التفاهة عبر وسائل التواصل الإعلامي والاجتماعي. وعليها أيضاً العمل على تحويل العمل الثقافي إلى صناعة منتجة، من خلال التركيز على المحتوى الثقافي الذي يعزز الهوية الثقافية والوطنية، وعدم التخلّي عن الثقافة، بل دعمها عن طريق تعزيز دورها في الرعاية والمتابعة والتمويل والتشريع، وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في مشاريعها

وفيما يتعلق بالمخاطر المرتبطة بتضييق مفهوم الثقافة أو توسيعه، فأعتقد أنَّ المنافع أو المخاطر المحتملة من تضييق مفهوم الثقافة أو توسيعه تعتمد بالدرجة الأولى على ما يعنيه أو يتطلبه ذلك.

فإذا كنا نقصد من المفهوم الواسع للثقافة مثلاً هو أن تشمل الثقافة النتاجات المادية وغير المادية للإنسان، كما تم تعريفها أعلاه، فهذا بلا شك إثراءٌ لمفهوم الثقافة، وإغناءٌ لمضامينه. أمَّا إذا كان المفهوم الواسع للثقافة يتطلب أيضا إدراج النتاجات «الثقافية» اللامادية، من أفكار ومعتقدات وآراء واتجاهات تشوّه معنى الثقافة، وتغرق المفهوم في أوحال السطحية والتفاهة من كل حدب وصوب، دون رقيب أو حسيب، بحجة أنَّ الثقافة ليست للنخبة المثقفة فقط، وأن هذه النخبة لا تملك حق الوصاية

على الثقافة، فمثل هذا السلوك سيؤدي إلى تعويم مفهوم الثقافة، وسيطرة الرداءة والانحطاط على الفعل الثقافي، وغياب المستوى الثقافي الرفيع، وتهميش منظومة القيم الثقافية

وبالمثل فإنَّ تضييق مفهوم الثقافة، وحصره بالآداب والفنون، يؤدي إلى تشويه المفهوم، ويستبعد المعتقدات والقوانين والمبادئ الأخلاقية والعادات، التي تعكس أيضاً مضامين ثقافية، كما سبق ذكره. كذلك، فإنَّ فكرة «ثقافة النخبة المُتحضّرة» تستبعد إسهام بقية فئات الشعب في إثراء مفهوم الثقافة

أمَّا بالنسبة لـ»الوسيط» الأنسب للثقافة، فيمكن القول إن الوسائط الثقافية تشمل: الوسائط المقروءة كالكتاب والمجلة، حيث تبرز المطالعة كوسيلة اتصال، تستخدم رسالة ثابتة يمكن الرجوع إليها، والوسائط الثقافية المسموعة، كالإذاعة، والوسائط المرئية التي تعتمد الصوت والصورة في نقل الثقافة، كالتلفزيون والمسرح والسينما والفيديو.

وتتميز وسائل الاتصال الاجتماعي الحديثة (الواتساب والتويتر والفيس بوك وغيرها) بأنها تشمل الوسائط الثقافية بجميع أنواعها: المقروءة والمسموعة والمرئية، وتمتاز بدرجة عالية من الفاعلية والتأثير؛ لأنها تتوجه إلى حاستيّ السمع والبصر، كما أنها تروِّج للأنشطة الترويحية والتعليمية والتثقيفية وهي مصدر هائل للمعلومات المُتجددة

ومن هذا المنطلق، تعتبر وسائل الاتصال الاجتماعي الحديثة في العصر الرقمي أنسب وسيط للثقافة، حيث إنها تشجع جميع أفراد المجتمع، بمختلف أعمارهم وانتماءاتهم وتوجهاتهم الفكرية والثقافية، على التواصل الثقافي الفعال بين أبناء الجيل الواحد، وكذلك بين الأجيال المختلفة، وبذلك تشجع على تنمية حرية الرأي والتعبير لدى المُستخدِم، وتعمل على ترسيخ فكرة قبول انتقادات الآخرين ومرئياتهم

غير أن وسائل التواصل الاجتماعي، في وضعها الراهن، لا تزال بعيدة عن إمكانية تعويض الوسائط التقليدية للثقافة كالكتاب، والصحافة والمجلات، وبرامج الإذاعة والتلفزيون، فلا بدّ من وضع تشريعات لضبط حرية التعبير؛ فالمادة الإعلامية لهذه الوسائط تزخر بكافة أشكال السطحية والتفاهة والابتذال؛ ممَّا حدا ببعض المثقفين إلى تسمية عصرنا الحالي بعصر التفاهة.

المادة الإعلامية لوسائط التواصل الاجتماعي تزخر بكافة أشكال السطحية والتفاهة والابتذال؛ ممَّا حدا ببعض المثقفين إلى تسمية عصرنا الحالي بعصر ا لتفا هة

فمع أن هذه الوسائل قد عملت على التقريب بين البشر وتغلّبت على تحدي البُعد الجغرافي وأدّت إلى تعزيز الإنتاجية العلمية والقوة الاقتصادية، وزيادة الوعي بالقضايا المجتمعية، إلا أنها قد ساهمت في المقابل في الحدّ من التواصل المباشر، وصعوبة إيصال المشاعر، وتنمية بعض العادات السيئة كالتنمر الإلكتروني، وزيادة الرهاب الاجتماعي؛ مما ترك آثارا سلبية على الصحة النفسية للناشئة والشباب

وعمَّا إذا كان إصدار العديد من الكتب والروايات، ودون النظر إلى متانة جودتها منهجيا وفنيا، معيارا كافيا ليلج المرء نادي الثقافة والمثقفين، فلا أعتقد أن الإجراءات الميسّرة لنشر الأعمال الأدبية والفنية، تعتبر معياراً كافياً لالتحاق المرء بنادي الثقافة والمثقفين، بل أعتقد أنَّ سهولة إصدار الكتب والروايات الأدبية، بدون التحقق من جودتها المنهجية والفنية وإسهامها في تنمية الثقافة الجادة، قد أسهم في ظهور أعمال تتميز بمضمون ثقافي متدني من جهة، لدرجة أنها تستثير العديد من التساؤلات حول مدى أهلية مؤلفيها لكتابتها؛ الأمر الذي يطرح ضرورة التحقق من مصداقية هذه الأعمال قبل الترويج لها بشكل واسع على الإنترنت

في المقابل فإن الوقوف عند نظرية جرامشي في المثقف العضوي تتيح الساحة للجميع، حيث لا حدود ولا معايير للطروحات الثقافية. ووجهة النظر هذي تسهم في عدم استملاك الساحة الثقافية، كما أنَّ وضع المعايير يحد من الابتكار والوصول للامفكر فيه، وكذلك هناك إشكالية في وضع المعايير الثقافية حيث إنها تنتمي إلى جيل من المثقفين مغاير للجيل القادم الذي له معاييره الخاصة بالتحولات الشاملة في حياته، وهنا نقف على أعتاب الانفتاح على الجميع بكافة الصور المعيارية والخارجة عن المعيار لإتاحة الفرصة للتجدد في الجسد الثقافي بحسب الأجيال

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

د. عبد الله أبو عوض

أكاديمي . المغرب

رغم تحديد مجموعة من التعاريف لمفهوم «الثقافة»، إلا أن المتفق عليه هو التعريف العام بوصفها تلك العلاقة التي تربط المجالات السلوكية والاعتقادية والأعراف والعادات ببعضها البعض عند الأشخاص، غير أن حمولة الثقافة يمكن الجزم في تخصيص معناها تحت قاعدة (عام يراد به الخصوص) أي أن فلسفة المجال والتنشئة الاجتماعية المتوافقة مع المكتسب العرفي هي الجانب الممهد لضبط معنى الثقافة

فتكون الثقافة هي مجموع السلوكيات والمعتقدات التي تعكس تأثر الذات والفكر بالمجال الذي تنتسب إليه، وخاصة ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول. وإذا كان السلوك العام هو المترجم العملي للثقافة، فإن تطبيع ذلك السلوك بالموجه المنضبط لمفهوم التأثير والتأثر هو المثقف

> المثقف في المجال التداولي لمفهوم الثقافة، من تتشعب معارفه العامة سواء بما هو علمي ممنهج، أو بما هو مكتسب ممارَس، إذ لا يمكن تقزيم مفهوم المثقف بما هو علمي

والمثقف في المجال التداولي لمفهوم الثقافة، من تتشعب معارفه العامة سواء بما هو علمي ممنهج، أو بما هو مكتسب ممارَس، إذ لا يمكن تقزيم مفهوم المثقف بما هو علمي، لأن المتحكم في تفريغ معنى المثقف يختلف بحسب المجال المنتسِب له وإليه

لكن وبعيداً عن تدقيق معنى ومبنى الثقافة والمثقف، صار التحدي في زمن التدفق المعلوماتي عبر الوسائط الإعلامية عنواناً بارزاً للانصهار بين المعنيين نتيجة الفوضى في تحديد المفهومين معاً بسبب

غياب مجموعة من الضوابط التي يمكنها أن تسهم في الحفاظ على صلابة حمولة الثقافة والمثقف، ومنها:

- احترام دلالة المصطلح في التوظيف المعرفي.
- اعتماد المقاربة الشمولية في تعميم حمولة المعنى.
- ربط المصطلح بالمجال والتنشئة الاجتماعية وآلياته التداولية علمياً.
- التفريق بين العام والخاص في تفريغ وإسقاط الواقع على المعنى.

تجدر الإشارة إلى أنَّ رفع التحدي عن مفهوم الثقافة والمثقف يكون اللاعب الرئيس في حماية المدلول المعرفي لهما هو المؤسسات الثقافية الرسمية المعنية برعاية ضوابط التوظيف والممارسة، وهي التي باستطاعتها حماية مفهوم الثقافة والمثقف، وذلك من خلال:

- تدويل المصطلح بما هو متوافق مع الموروث.
- ضبط الشروط الموضوعية للمنعوت بالثقافة والمثقف.
- استخدام الوسائط الإعلامية المعاصرة للترويج والنشر.
- تنظيم الفعاليات الثقافية الخاصة بشعبوية المجال، ثم تعميمها.
- ترسيخ وإقرار قوانين تنظيمية تحدد مجالات العمل الثقافي.
- تقييد الثقافة بما هو انعكاس للمجال المجتمعي، ثم اعتماد تعميمها.

يحتم تضييق مفهوم الثقافة والمثقف، لأنهما ترجمة واقعية وتاريخية للمجال المنسوب إليهما، والشرط الخفي الذي يمنح التميز في ذلك هو الخصوصية

وفي ظل انصهار الكل في الكل بسبب التدفق المعلوماتي والصوري الهائل المكسو بالمجانية والارتجالية، يحتم تضييق مفهوم الثقافة والمثقف، لأنهما ترجمة واقعية وتاريخية للمجال المنسوب إليهما، والشرط الخفي الذي يمنح التميز في ذلك هو الخصوصية. ومع ذلك فإن توسعة المفهومين هو واقع الحال، وذلك نتيجة لسببين:

الأول: ذاتي، حيث لا يوجد أي مؤطر للمنعوت بالمفهومين، مما يجعله عرضة للاختراق الاستبطاني الذي ينعكس على الممارسة

الثاني: اختراق احترافي، يتسلل تدريجياً بدون رقابة ليستحكم القناعات بما هو استهلاكي.

وفي الغالب الأعم يمكن القول: إن الثقافة مكتسب ينبني على الفطرية، والمثقف زيادة على ما اكتسب مترجم خلاق للثقافة، وكلاهما وسيط للآخر، ووسيطهما معاً، المؤسسات الثقافية الرسمية التي يمكن اعتبارها صمام أمان لكليهما، وما هوا واجب وأوجب في راهنية العصر والتوافق مع متطلباته

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

أ.د. فتحي التريكي

مفكر وفيلسوف . تونس

ليس ثمّة شك أنّ من بين الأسباب الرئيسية لوضعية الصّراعات في العالم حالياً يمكن تحديده بعد أبحاث المفكر الإستراتيجي الأمريكي "صامويل هنتنجتون"، بتنوّع الثقافات واحتدامها بعضها ضدّ بعض.

فتلك الصراعات لم تنجم فقط عن المنافسات الاقتصاديّة المتوحّشة رغم عولمتها، ولا عن الاختيارات السّياسيّة والإيديولوجيّة، ولا حتّى أيضاً عن إرادة الهيمنة والافتخار بالقوّة فقط. إنّها كامنة أساساً فيما هو ثقافي، ومثلما يقول: فإنّ «السّياسة العامّة ستهيمن عليها المواجهات بين الثّقافات وخطوط الصّدع الموجودة بين الحضارات التي ترسم مستقبل واجهات الصّراع»

لذلك لابدَّ هنا من تفكيك دلالات مصطلح الثقافة لنفهم ارتباطه استراتيجياً بالاقتصاد والسياسة.

نميّز بين تصوّرات ثلاث ممكنة للثّقافة. فالتصوّر الأوّل، ذو طابع أنثربولوجي، والثّاني ذو طابع روحاني وعقلاني، وأمّا الثّالث فهو ذو طابع سياسي.

يشير الأوّل إلى مجموعة من القيم والأفعال والممارسات تأتي مركّبة أحيانا ومفتّتة أحياناً أخرى، وتتضمّن المعارف والعقائد الدّينية والفنّ والأخلاق والحقّ والعادات وكلّ القدرات والتّقاليد التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع.

أمّا التّصوّر الثّاني فيشير، إلى التّفكير الفردي والحرّ، أي إلى القدرة الكامنة في كلّ فرد على الإبداع والتّأويل، وعلى الإعجاب والحكم، وعلى رفض الأنساق الجماعيَّة من الاعتقادات إذا لزم الأمر

يمكن التمييز بين تصوّرات ثلاث للثّقافة، فالتصوّر الأوّل، ذو طابع أنثربولوجي، والثّاني ذو طابع روحاني وعقلاني، وأمّا الثّالث فهو ذو طابع سياسي

أمّا الثالث، فيستعيد معطيات الأوّل ووسائل الثّاني كي ينظّمها رسميّا، ويجمع المعرفة والإبداعات داخل هدف محدّد سياسيّا أو إيديولوجيّا.

يسعى الفهم الأوّل إلى تركيز الهوية على قيم وأفعال محددة إقحاما للفرد داخل جماعة معيّنة، ويعمل التصور الثّاني بصفته النقديّة من أجل تحيين المكتسبات المعرفية والعلمية نظراً وممارسة وتحرير الفرد من الثّقل الاجتماعي؛ أما التصور الثالث فهو الذي يقحم الثقافة بفهميها الأول والثاني في مؤسسات اقتصادية أو سياسيّة فيكون غالبا تحت سيطرة الإيديولوجيا المهيمنة

هذا التمييز بين التعريفات الثلاثة لمفهوم الثقافة ذو أهمية قصوى لأنه يمكّننا من فهم جدليّة الثّقافة والمؤسّسة التي تميّز في نطاق أوسع وضعيّة عمل الذهن في كلّ بلدان العالم تقريباً.

وبالفعل يوجد حاليا اتّجاه واضح، في كلّ مكان من العالم، نحو فرض التصوّر الأوّل للثّقافة بصفته التّصوّر الوحيد الممكن، والعمل بطريقة تجعل المفهوم الثّاني في خدمة الأوّل. وبهذا يسهل إقحام هذين التّصورين في نسق مركّب محكوم باختيارات سياسيّة وإيديولوجيّة. لذلك كثيرا ما نخلط بين مفهوم الثقافة وتصور الحضارة من ناحية ومن ناحية أخرى نعتبر أن الثقافة الصادرة عن المؤسسات في الدولة هي الأنجع والأنفع معتبرين أن الثقافة الأخرى هامشية

لقد خضعت مختلف أشكال السّلطات السّياسيّة في منتصف القرن السابق لعمليّة تغيير كبيرة حين أقحمت الثقافات في المؤسسة وحرمتها من ميزتها النّقدية والروحية وأثبتتها داخل أجهزة محكّمة إيديولوجياً وسياسياً.

من خلال هذا التّعيين، نشأ التصوّر الثّالث الذي نسمّيه بلفظة «الثقافي». فالثّقافي يمكن تعريفه

بما هو السّياسة التي تمنح لكلّ أنشطة الإبداع الثّقافي مكاناً، وتخصّص لها وظائف معيّنة وتؤطّرها داخل خيار إيديولوجي إرادي

هكذا لم تعد الثقافة كالأدب حرة طليقة تتنوّع بتنوّع الأفراد، وتتمحور داخل نخبة معيّنة وأحيانا في نخبة النخبة. والفيلسوف السياسي الإيطالي جرامشي يذهب إلى أبعد من ذلك ويعتبر أنَّ كل تنظيم للثقافة هو في حد ذاته التحاماً مع السلطة المهيمنة.

كثيراً ما نخلط بين مفهوم الثقافة وتصور الحضارة من ناحية، ومن ناحية أخرى نعتبر أن الثقافة الصادرة عن المؤسسات في الدولة هي الأنجع والأنفع معتبرين أن الثقافة الأخرى هامشية

أمَّا الفيلسوف البنغالي الأمريكي صاحب جائزة نوبل، «أمرتيا سن»، فقد وضع مفهوماً جديداً حدَّده بتلك الروابط بين الثقافة والاقتصاد، وهو مفهوم «القدرات» الذي يتحكم في تطوير الحياة بصفة عامّة، لذلك ستكون الثقافة ضرورية للاقتصاد ومصاحبة لكل تطوّراته وتغيراته بالإضافة إلى كونها ضرورة سياسية واستراتيجيّة

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

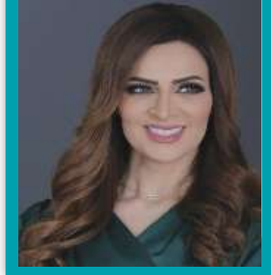

د. لولوة بودلامة

كاتبة وإعلامية . البحرين

يمكن القول إنَّ الثقافة هي الأنسجة التي تنسج هوية الشعوب، تعبر عن قيمها، معتقداتها، وفنونها. إنها مرآة تعكس أصالة المجتمعات وتطورها. أمَّا المثقف، فهو الفرد الذي ينهل من بحر المعرفة في شتى المجالات، والقادر على التفكير النقدي والتحليل العميق، والذي يسهم بفاعلية في توعية المجتمع وتطويره

ولضبط مصطلح الثقافة والمثقف، يجب أنْ نحدد منظومة القيم والعادات والفنون، وترويجها بين المجتمعات (الداخلية والخارجية) ويقع دور كبير وأساسي على المثقفين في ذلك، فعبر قدراتهم المعرفية، والنقدية، والاجتماعية يجب أن يكونوا سفراء للترويج والحفاظ على الثقافة. فالثقافة والمثقف كلاهما ركيزتان أساسيتان في بناء الأمم وتشكيل مستقبلها

وبالنسبة لدور المؤسسات الثقافية الرسمية في الإسهام في ضبط مفهومي الثقافة والمثقف، فمن الواضح أن المؤسسات الثقافية الرسمية تلعب دورًا محوريًا في ضبط وتحديد مفهومي الثقافة والمثقف من خلال التعليم والتوعية وتنظيم ورش العمل والندوات لتعريف المجتمع بالمفاهيم الثقافية الأساسية. كما تساهم في حفظ التراث الثقافي والأدبي والفني وتوثيقه لجعله متاحًا للأجيال القادمة. بالإضافة إلى ذلك، تدعم هذه المؤسسات المثقفين والفنانين من خلال منح وفرص عرض أعمالهم، مما يعزز من دورهم في المجتمع. إن تنظيم الفعاليات الثقافية مثل المهرجانات والمعارض يعزز من الحوار الثقافي والتبادل الفكري بين الناس

يقع دور كبير وأساسي على المثقفين، فعبر قدراتهم المعرفية، والنقدية، والاجتماعية يجب أن يكونوا سفراء للترويج والحفاظ على الثقافة. فالثقافة والمثقف كلاهما ركيزتان أساسيتان في بناء الأمم وتشكيل مستقبلها

تلعب المؤسسات الثقافية الرسمية دورًا محوريًا في ضبط وتحديد مفهومي الثقافة والمثقف من خلال التعليم والتوعية وتنظيم ورش العمل والندوات لتعريف المجتمع بالمفاهيم الثقافية الأساسية

وتقوم المؤسسات الثقافية بدور البحث والدراسة لتعميق فهم هذه المفاهيم وتطوير معايير جديدة، بالإضافة إلى التعاون مع المؤسسات الدولية لتبادل المعرفة والخبرات. من خلال هذه الجهود، تساهم المؤسسات الثقافية في بناء مجتمع متعلم وواعٍ ومتناغم ثقافيًا. ووجود صف المثقفين في المقدمة باعتبارهم أحد قادة الرأي وشراكتهم في رسم الاستراتيجيات الثقافية يجب أن يكون أساسا لجميع الدول من أجل تمكين المثقفين

أمَّا المخاطر المرتبطة بتضييق مفهوم الثقافة او توسيعه، فأعتقد أنَّ تضييق مفهوم الثقافة يمكن أن يؤدي إلى التعصب والانغلاق، حيث يتم حصر الثقافة في مجموعة محددة، مما يعوق التنوع والإبداع.

هذا النهج قد يؤدي إلى تهميش الأقليات الثقافية؛ وفي المقابل فإن توسُّع مفهوم الثقافة بشكل مفرط قد يؤدي إلى تشتت الهوية وفقدان القيم الأساسية التي تشكل الرابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ممَّا يخلق فوضى معرفية ويجعل من الصعب تحديد الهوية الوطنية أو الجماعية. توازن ضبط المفهوم يتطلب وعياً ومعرفة دقيقة بمتطلبات المجتمع وتحدياته، لضمان استدامة الهوية الثقافية وتعزيز التنوع والابتكار في الوقت ذاته

وفيما يتعلق بالوسيط الأنسب للثقافة، فتحديده يعتمد على السياق والهدف والجمهور المستهدف. تظل الكتب والصحافة والمجلات أدوات أساسية لنقل المعرفة والثقافة بعمق واستدامة، حيث تمتاز بقدرتها على نقل الأفكار العميقة وتحفيز التفكير النقدي. في المقابل، توفر وسائل التواصل الاجتماعي سرعة الانتشار والتفاعل الفوري، مما يعزز التواصل والتفاهم بين الثقافات المختلفة.

تحديد الوسيط الأنسب لنقل الثقافة يعتمد على السياق والهدف والجمهور ا لمستهد ف

وعلى الرغم من أنَّ وسائل التواصل الاجتماعي قد لا تعوض العمق الذي توفره الوسائط التقليدية، إلا أنها تلعب دوراً مهماً في نشر الثقافة وجعلها أكثر قرباً من الجمهور. من خلال التكامل بين الوسائط التقليدية والحديثة، يمكن تحقيق توازن مثالي في نقل الثقافة وتعزيز الفكر، حيث يتم استخدام الكتب والصحافة لتعزيز المعرفة، ووسائل التواصل الاجتماعي لزيادة الانتشار والتفاعل

وعمَّا إذا كان إصدار العديد من الكتب والروايات وبدون النظر إلى متانة جودتها منهجيا وفنيا، معيارا كافيا ليلج المرء نادي الثقافة والمثقفين؟ فأعتقد أنَّ سهولة الطباعة وإصدار الكتب والروايات لا يعد معيارًا كافيًا لدخول نادي الثقافة والمثقفين. فالعبرة ليست بعدد الكتب المنشورة، بل بجودتها ومنهجيّتها ومحتواها الفني.

الثقافة تتطلب عمقًا في المعرفة، وصدقًا في التعبير، وقدرة على التأثير الإيجابي في المجتمع. وليس كل كتاب مطبوع يضفي صفة المثقف على مؤلفه، بل يجب أن تكون هناك جودة فكرية وأدبية تعكس نضجًا وفهمًا عميقًا للقضايا المطروحة. الأدب والفن الحقيقيان هما ما يترك أثرًا مستدامًا في نفوس القراء والمجتمع، ويقدم رؤية جديدة تتجاوز الحدود التقليدية

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

د. محمد الجرطي

مترجم وأديب . المغرب

لقد بات مصطلح الثقافة مصطلحاً إشكالياً تتعدد التعريفات بخصوصه، وهو ما يطرح معضلة كبيرة لها انعكاسات وخيمة على المجتمعات بسبب الاختلاف والتباين في تحديد هذا المفهوم العصي على الاختزال في تصور أحادي ومتجانس.

وللحد من هذا الانفلات في صياغة مفهوم الثقافة، أرى من اللازم الانطلاق من المفهوم الأنثروبولوجي للثقافة الذي ينظر إليها باعتبارها نشاطاً ذهنياً أنتجه الإنسان لتسخير الطبيعة لصالحه، وهو ما يذهب إليه رائد النقد الثقافي رايموند ويليامز في كتابه «الثقافة والمجتمع»، حيث يرى أنَّ الثقافة هي مفهوم معقد ومتشابك وديناميكي يغطي جوانب متعددة من الوجود الإنساني، بما في ذلك الفنون، والآداب، والعلوم، والتقاليد. فالثقافة ليست بنية ثابتة وسكونية، بل على النقيض من ذلك كيان يتطور ويتغير بتغير المجتمعات والمعارف والنشاط البشري عموماً.

فضلاً عن هذا، ثمة مفهوم آخر للثقافة، وهو المفهوم الأكاديمي الذي يُعرّف الثقافة في إطار التخصصات. فالفيلسوف تكمن مهمته في صناعة المفاهيم والأفكار والتصورات. وانطلاقاً من منظور التخصص، ثمَّة ثقافة عامة وثقافة خاصة، أي الثقافة التي تخص حقلاً معرفياً معيناً يبقى منيعاً على غير المتخصصين كالهندسة والطب والميكانيكا وغيرها من التخصصات. لكن كما ترى الكاتبة يمنى العيد، كل ما هو ليس في صالح الإنسان ليس بثقافة. فالأسلحة الفتاكة ووسائل الدمار وما شابه ذلك هي إحدى مَرَضِيات التاريخ والوجه البشع للحضارة المادية البائسة.

الثقافة ليست بنية ثابتة وسكونية، بل على النقيض من ذلك كيان يتطور ويتغير بتغير المجتمعات والمعارف والنشاط البشري عموماً

من البديهي أنَّ الحديث عن مفهوم الثقافة يدفعنا إلى الحديث عن مفهوم المثقف المنتج للمعارف والنظريات. فالمثقف هو ضمير الإنسانية النقدي. وانخراطه في المجتمع والمؤسسات الثقافية وعلى رأسها الجامعات ومراكز الأبحاث يدفعه إلى اتخاذ مواقف إنسانية والاصطفاف في هذا الجانب أو ذاك

> المثقف هو ضمير الإنسانية النقدي. وانخراطه في المجتمع والمؤسسات الثقافية وعلى رأسها الجامعات ومراكز الأبحاث يدفعه إلى اتخاذ مواقف إنسانية والاصطفاف في هذا الجانب أو ذاك

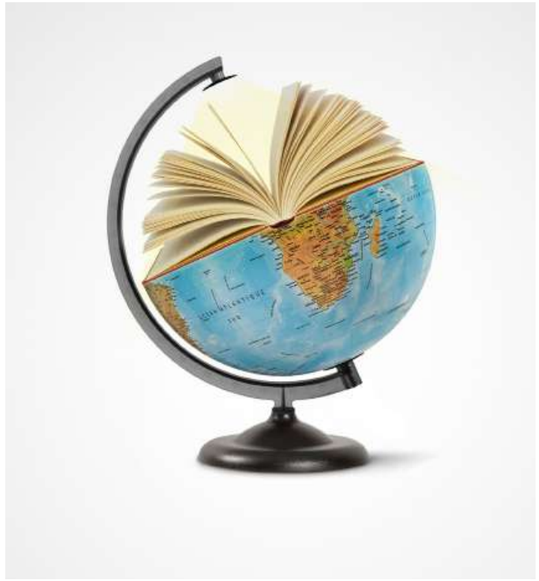

ولعل هذا ما حدا بالمفكر إدوارد سعيد إلى تحديد مفهومين للمثقف: المثقف التقليدي الذي تحاصره بلا هوادة مشكلة الولاء للسلطة، فيناصرها بعيداً عن القيم الإنسانية وصوت العدالة، والمثقف العضوي الذي ينحاز إلى الحقيقة ويجاهر بقولها في وجه السلطة، ويلزم وجوده بمناصرة قضايا الإنسانية مهما كان الثمن

في الواقع، إنَّ تعدد التصورات والمفاهيم أدى إلى فوضى ثقافية خلقت هشاشة فكرية وقضت على إنتاج المعارف والرؤى الكفيلة بتحقيق نهضة حضارية وثقافية. لضبط مصطلح الثقافة، من الواجب إدراج الثقافة في إطار التخصص للحد من التطفل على تخصصات تكون بعيدة عن بعض الباحثين. لكن من جهة أخرى، يطرح مصطلح التخصص بدوره إشكالية، لأنه، في تصور يوري لوثمان، ليس هناك ثقافة، بل ثقافات. ومن ثم وجب على المؤسسات أن تلعب دوراً مهماً لضبط هذا الانفلات من خلال دور الجامعات في وضع برامج جامعية تُدَرّس وحدات متخصصة مثل وحدة « الدراسات الثقافية »، و« ثقافة ما بعد الحداثة ».

تكمن أخطار توسيع مفهوم الثقافة في الدرس الجامعي الذي تجاوز مفهوم النص إلى الخطاب، وجعل من كل النصوص خطابات ثقافية، وفتح الباب على مصراعيه لكل التخصصات الأخرى لتحشر نفسها في دراسة النصوص. فألفينا أنفسنا أمام عالم الاجتماع يبحث في النصوص عن ظواهر اجتماعية، وعالم النفس يسبر أغوار النص باحثاً عن عُقد ومكبوتات، والأنثربولوجي ينقب عن عادات وتقاليد، والناقد الأدبي يبحث عن قيم فنية وجمالية. وهكذا انتفت مهمة الناقد الذي أصبح يزاحمه متخصصون آخرون في حقول معرفية أخرى بعيدة عن الأدب.

أما تضييق مفهوم الثقافة فله سلبيات أخرى يبقى المتضرر الأكبر منه هو ثقافة الهامش أو الثقافة الشعبية في مقابل الثقافة العالِمة. ذلك أن الثقافة الشعبية يُنظر إليها بشكل دوني رغم ما تزخر به من قيم معرفية ومغزى ثقافي عميق.

في الختام، يجب التأكيد على أنَّ الوسيط الأنسب للتثقيف ونقل المعارف هو الكتاب كوسيط مركزي لا غنى عنه، وإن كانت وسائط الإعلام تلعب دوراً كبيراً في التعريف بالكتب وتسهيل التواصل. لكن هذه السهولة انعكست بشكل سلبي على المجتمعات من خلال سهولة نشر الرداءة والسطحية والتعتيم الثقافي، ولعل هذا ما جعل الكاتب الإيطالي أمبرتو إيكو يقول في هذا الصدد: «إن وسائل التواصل أتاحت لجحافل من الأغبياء أن يتحدثوا وكأنهم علماء»

> المتضرر الأكبر من تضييق مفهوم الثقافة هو ثقافة الهامش أو الثقافة الشعبية في مقابل الثقافة العالِمة. ذلك أن الثقافة الشعبية يُنظر إليها بشكل دوني رغم ما تزخر به من قيم معرفية ومغزى ثقافي عميق

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

أ.د. منجي الزيدي

أكاديمي . تونس

عند الحديث عن ضبط مصطلح «ثقافة» وتحديد معاييره، نجد أن هذا المصطلح حمّال أوجه، حيث أحصى الباحثون عشرات التعريفات وصنّفوها في تصنيفات اختلفت وتنوّعت باختلاف زوايا النظر والتخصّصات والمقاصد. المفهوم يبدو بديهياً ومن باب «تحصيل حاصل» ولا يحتاج إلى عناء التحديد، غير أنه يبدو «بداهة خاطئة» لكلمة «فخ»، كما قال إدغار موران. عبارة «ثقافة» العربية حديثة قد يعود تاريخها إلى بداية القرن العشرين، وهي تعريب لكلمة Culture، ومصدر تعريبها غير معلوم، كما أكد مالك بن نبي.

المعنى الإيتيمولوجي الأصلي للعبارة اللاتينية فلاحة الأرض. تحولت الدلالة من حقل الإخصاب المادي إلى سجل تنمية الأفكار والمعارف في القرن الثامن عشر بفضل عصر الأنوار. غدت الكلمة تعني تطوير العلوم والفنون وتنمية الملكات الفكرية للإنسان. ودلّت عبارة Kultur الألمانية على أن «الثقافة هي خاصية الإنسان المتعلم الذي طوّر ذوقه وحسّه النقدي وقدرته على الحكم والتمييز». وبهذا المعنى ارتبطت بالتعليم والتربية

الأنثروبولوجيا حمّلت الكلمة بثقل معرفي إذ جمعت كل ما يكتسبه الإنسان داخل المجتمع من معتقدات وقيم ومعارف وأساليب تعبير وأنماط عيش، ومن ثمّ وجهت التعريفات اللاحقة، حتى تلك التي اعتمدتها منظمة اليونسكو سنة 1982 في مكسيكو بعد قرن من تعريف تايلور. وظل التعريف ثابتاً رغم بعض التعديلات الجزئية. ويزداد تعريف الثقافة تعقيداً بحكم وجوده ضمن مقابلات من قبيل: الثقافة/الحضارة؛ الثقافة/الطبيعة. كما نشأت منذ القرن العشرين مفاهيم فرعية تتصل بالعلاقات بين الثقافات داخل المجتمع الواحد وبين المجتمعات المختلفة مثل «التثاقف والتفاعل الثقافي والتماس الثقافي وغيرها» وقد يضم مجتمع واحد العديد من الثقافات حسب تنوعه الاثنولوجي وتركيبته السكانية؛ ناهيك عن إمكانية تشكّل ثقافات صغرى مرتبطة بفئات اجتماعية (عمّال، فلاحون...) أو شرائح

قد يضم مجتمع واحد العديد من الثقافات حسب تنوعه الاثنولوجي وتركيبته السكانية؛ ناهيك عن إمكانية تشكّل ثقافات صغرى مرتبطة بفئات اجتماعية

عمرية (أطفال، شباب...). وقد نحتت الدراسات السوسيولوجية والإنثربولوجية مفهوم الثقافة الفرعية للتعبير عنها

الثقافة أساسها التنوّع والثراء، فهي تتخذ أشكالا متنوعة ومختلفة، منها المادي وغير المادي، ومنها الثابت ومنها المتحوّل، ومنها العملي ومنها التجريدي. والثقافة هي التي ترتقي بأنشطة الإنسان إلى درجة ثانية من المعنى ذلك أنها فضاء التعبير والخيال والإبداع والابتكار. والثقافة هي البصمات التي يتركها البشر في رحلة الوجود. لذلك نجدها تُعبّر عن أعمق ما في شخصية الشعوب. ورغم صعوبة الفصل بين مستويات الثقافة ومجالاتها فإنه يمكن أن نتبين أنَّ هنالك مستوى شاملاً يحتوي على أغلب العناصر الروحية والفكرية والسلوكية والمادية لحياة الإنسان ومستوى ثانياً يحدد الثقافة في مجال الفن والفكر والتعبير

الثقافة هي التي ترتقي بأنشطة الإنسان إلى درجة ثانية من المعنى ذلك أنها فضاء التعبير والخيال والإبداع والابتكار

ولا يقلّ مصطلح المُثقّف تعقيداً وتعدّداً عن مصطلح ثقافة. والشخص الثَّقِفُ في لسان العرب هو ذو الفطنة والذكاء والمُراد به أنه ثابت المعرفة. وكثيراً ما يقع الخلط بين المثقّف والمتعلّم. وبين المثقّف والمتحضّر. وقد أدّى الجدل في الغرب بين مفهومي الثقافة والحضارة مع منتصف القرن التاسع عشر إلى تَدرُجِيّة تمرُّ بالإنسان من مُتحضِّر Civilisé إلى مُثقَّف Cultivé إلى مُكوَّن Formé، وذلك بحسب ما جاء في كتاب «سوسيولوجيا الثقافة» للطاهر لبيب

بَيد أن كلمة مُثقَّف في استعمالها الفكري هي ترجمة للفظة Intellectuel، وهي تدل بشكل عام على فئة معيّنة حازت قدراً من المعرفة و العلم والوعي، وتشتغل في حقل الأفكار والرموز، وتتمتع بمكانة مميّزة في المجتمع. وبالفعل، فقد ظهر منذ اختراع الكتابة و نشأة الأديان من يحترف الفكر والثقافة

والعلم. ووظيفة هؤلاء إنتاج الخطابات الضامنة لهوية الجماعة والقيم المركزية السائدة فيها وبثّها في الزمان والمكان، كما جاء في كتاب «سوسيولوجيا المثقفين» لجيرار لوكليرك

وتعريف «المثقف» ذو بعدين. بعد ثقافي/معرفي وبعد اجتماعي سياسي: في البعد الثقافي المعرفي، اتجه بعض الدارسين إلى تعريف المثقف في نطاق السياسة الثقافية ومجالات ممارستها، فأدرج المثقف ضمن الأوساط المرتبطة بوظائف فكرية فنية وثقافية. فهو الذي يتعامل إنتاجاً واستهلاكاً ونشراً مع الأفكار، سواءً أكانت أدبية، أو علمية، أو فكرية، أو إيديولوجية. وبالتالي فهو يحتاج إلى «فضاء حقيقي يرعى إنتاج هذه الأفكار بوصفها ثروة جماعية لا فردية فحسب». وهذه الأماكن متنوعة وقد تطورت عبر التاريخ من القصور إلى الصالونات الأدبية إلى الجامعات ومراكز البحث ودور النشر، والفضاء العام، والصحافة، والإعلام.

من هذه الوجهة، المثقفون هم من «يبدعون ويوزّعون ويمارسون الثقافة أي العالم الرمزي الخاص بالإنسانية والذي يتضمن الفن والعلم والدين». ويُنظَر إليهم بشكل عام، باعتبار أنهم يشكلون «الجماعة الأصغر التي تتألف من أولئك الذين يسهمون مباشرة في ابتكار ونقل ونقد الأفكار. وتضمّ هذه الفئة المؤلفين، والفنانين، والفلاسفة، والمفكرين، والمتخصصين في النظريات الاجتماعية، والمعلقين السياسيين. وقد يصعب تعيين حدود هذه الجماعة تماماً، ذلك أن المستويات الدنيا منها تختلط بمهن الطبقة الوسطى مثل التدريس والصحافة، لكن الخصائص المميزة لها - التي تتعلق مباشرة بثقافة المجتمع- واضحة وضوحاً كاملاً، وذلك كما ورد في كتاب الصفوة والمجتمع، دراسة في علم الاجتماع السياسي لبوتومور

بالنسبة للمؤسسات الثقافية الرسمية **ودورها في ضبط مفهومي «الثقافة» و«المثقف»**، فأعتقد أنَّ المؤسسات الثقافية جهة رسمية تسهر على تجسيم السياسة الثقافية لبلد من البلدان. وقد تكون مختصة في الميدان الثقافي الذي يشمل الفكر والفنون والآداب والتراث، وقد تكون تربوية

كلمة مُثقَّف في استعمالها الفكري هي ترجمة للفظة Intellectuel، وهي تدل بشكل عام على فئة معيّنة حازت قدراً من المعرفة والعلم والوعي، وتشتغل في حقل الأفكار والرموز، وتتمتع بمكانة مميّزة في المجتمع

اجتماعية تُعنى بالتنشئة والتعليم وكل ما يتعلق بخدمة المجتمع. بهذا التعريف تكون هذه المؤسسات المرجعية الرسمية لتحديد الجهات والفاعلين المعنيين بالثقافة. وهي تقوم بهذه الوظيفة لخدمة مصالحها الوطنية وفق منظومات قيمها وخصوصيات، واقعها ومشاريعها التنموية والاستراتيجية. وتكون عملية ضبط مفهومي «الثقافة» و«المثقف» في علاقة عضوية باحتياجات المجتمع وتطلعاته. لا يتعلق الأمر بالانتقاء بقدر ما يتصل بالتنظيم المعرفي والمنهجي الذي يساعد على التخطيط والبرمجة، والتنفيذ، والتمويل، والتقييم. كل بلد له معاييره ومقاييسه، ولكن في العموم الثقافة هي ما يجسم الهوية الوطنية ومناعتها، ويعزز التماسك الاجتماعي، ويخدم التنمية. والسياسة الثقافية هي الأجهزة والأذرع التنفيذية التي تحوّل الرؤية إلى واقع. أمَّا المثقف فهو الفاعل الرئيس الذي يغذي الرؤية ويستنبط الأفكار وينير السبيل لبقية أفراد المجتمع بما يساعدهم على إدراك ما يجمعهم فيتّبعوه وينبّههم لما يُفرقهم فيجتنبوه، ويكون ذلك بصناعة المضامين والإبداع وقيادة الرأي العام بصدق ووطنية ومسؤولية

يجب أن تتم عملية ضبط مفهومي «الثقافة» و«المثقف» في علاقة عضوية باحتياجات المجتمع وتطلعاته. لا يتعلق الأمر بالانتقاء بقدر ما يتصل بالتنظيم المعرفي والمنهجي الذي يساعد على التخطيط والبرمجة، والتنفيذ، والتمويل، والتقييم

وفيما يتعلق بالمخاطر المرتبطة بتضييق مفهوم الثقافة أو توسيعه، فمن الواضح أنَّ كل تعريف للثقافة على المستوى التنفيذي هو اجرائي بالضرورة. وهنا مسؤولية الجهة التي تنهض بعملية

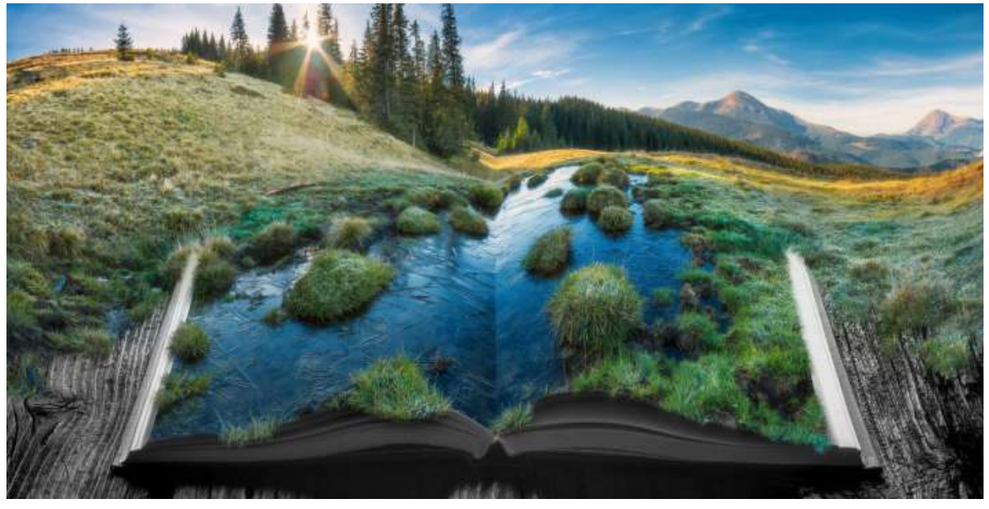

التحديد. ثمّة مبادئ أساسية تُجمع عليها الدول وهي ليست محل خلاف، ولكن هناك خصوصيات محلية لا يمكن تجاهلها أو التعسف عليها. التعميم والتنميط بذريعة «الحرية» أو «الكونية» أو «الإنسانية» قد يكون غطاء لهيمنة ثقافية مُغلّفة، ولقد تم اختبار ذلك منذ تذرّع الاستعمار «بنشر الحضارة» وإخراج شعوب من «تخلّفها» بما أنذر بتدمير خصوصياتها، وتفكيك منظومات قيمها، وإضعاف لغاتها وأساليب تعبيرها. من ناحية أخرى الثقافة لا تحتمل التضييق فهو يقتل الإبداع، ويؤدّي إلى احتباس الفكر والتعبير، ولا يساعد على تنمية الشخصية الوطنية وحضورها في الخارج، ويخدم بطريقة غير مباشرة نزعات الجمود والانغلاق

صناعة المضامين الإلكترونية أفرزت وسائط جديدة لا يمكن تجاهلها أو الاستغناء عنها لأنها السبيل الأحدث للوصل إلى الجماهير

أمَّا الوسائط الثقافية فهي مصطلح حديث مرتبط بمفهوم السياسات الثقافية في الجانب المتعلق بنشر الثقافة في المجتمع. ظهرت الحاجة إلى المفهومين مع ظهور مفهوم الثقافة الجماهيرية منذ نهاية القرن التاسع عشر في المجتمعات الصناعية حيث ساعدت الصناعة وتطور وسائل النقل على تصنيع الإنتاج الثقافي ونشره على نطاق واسع. حينها طُرح مفهوم الثقافة في إطار مقابلة الثقافة النخبوية («الثقافة العالمة» أو «الثقافة المثقفة») التي تستوجب درجة عالية من التعليم، بمواجهة الثقافة الجماهيرية واسعة الانتشار، وذات الطابع الاستهلاكي والترفيهي الشعبي، المتاحة للعامة دون حاجة إلى بلوغ مستوى تعليمي مرتفع. انقسمت السياسات بين مفهومي «ديموقراطية الثقافة» وتعني نشر الثقافة النخبوية في الأوساط الشعبية و«الديموقراطية الثقافية» التي تشجع تنوع التعبيرات والممارسة الجماهيرية لثقافة تستجيب لميول الجماهير ورغباتها.

كانت المؤسسات الثقافية الكبرى (المكتبات، المراكز الثقافية، دور النشر...) هي الوسائط التقليدية لنشر الثقافة معززة بالجهات الأكاديمية ومدارس النقد الفكري والإعلام الثقافي. وكانت تقابلها وسائل الإعلام السمعي البصري. منذ عقدين دخل العالم طور الثقافة الرقمية. تغيرت سلسلة الإنتاج الثقافي من نمطها التقليدي إلى نمط شبكي. تغيرت مقاييس الاعتراف بالفنان والكاتب والرسام...

صناعة المضامين الإلكترونية أفرزت وسائط جديدة لا يمكن تجاهلها أو الاستغناء عنها لأنها السبيل الأحدث للوصل إلى الجماهير. هنا نحن أمام معضلة. مسؤولية التعديل ملقاة على عاتق السياسات الثقافية العمومية فهي الجهة التي بإمكانها دعم الإنتاج الثقافي ونشره من ناحية، وهي الأقدر على استحداث آليات لرفع الوعي والقدرة على التمييز بين الغث والسمين من ناحية أخرى.

وأخيراً، تكمن قيمة الإنتاج الثقافي في مستوى مضمونه ورسالته وأسلوب صياغته. المؤسسات الثقافية والأكاديمية هي التي تحدد هذه القيمة. الوسيط أو أداة النشر أمر مهم لأنه يضمن الانتشار في العصر الرقمي، ولكن الانتشار لا يعني الجودة و لا يمنح صفة المثقف أو الفنان كما لا يمكنه نزعها. الانتشار الجماهيري ضروري، ولكنه غير كاف. وأعتقد أن تربية الناشئة على الفنون والآداب والإبداع هو السبيل الذي سيكسبها القدرة على التمييز. هنالك حاجة للفصل بين الترفيه والتثقيف. لا ضرر في التسلية، ولكن لا يجب أن تكون هي المهيمنة.

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

الخلاصة:

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج الآتية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء الثقافة من مقترحات وسياسات لتعزيز الوعي بالإشكالات المتعلقة بمفهومي «الثقافة» و«المثقف» والإسهام في ضبطهما منهجيا بما يخدم الحالة الفكرية والمعرفية في العالم العربي:

أولاً: الانتقال من حالة الاستسهال والتعميم في استخدام مفهومي «الثقافة» و«المثقف» الى حالة الوعي والتقنين، وذلك من خلال ضبط هذين المفهومين، والوعي بدور المثقف والثقافة في بلورة الهوية الفردية والجماعية وإنتاج أنساق معرفية وقيمية تواكب متطلبات العصر

ثانياً: الإقرار بدور ما يسمى بـ«المؤثرين الجدد» على شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل ثقافة هذا العصر ونقلها إلى الناشئة، مع العمل على الرقي بالمحتوى الذي يقدم من خلال هؤلاء المؤثرين وإخضاعه لمعايير معينة لضمان إسهامه في رفع الوعي الثقافي وتعزيز الحالة المعرفية

ثالثاً: الانفتاح على الكتاب الرقمي ووسائل التواصل المتاحة وإنتاج محتوى ثقافي ومعرفي منسجم مع القيم الاجتماعية والإنسانية وقادر على الرقي بالذوق العام، فالثورة الرقمية وما صاحبها من تغيرات تفرض إعادة النظر في دور الإعلام والوسائط الثقافية وآليات الكتابة والنشر، وكذلك أنماط التلقي الجديدة الأكثر ملاءمة لتطلعات واهتمامات الأفراد والجماعات

رابعاً: تعزيز دور المثقف الفرد ومؤسسات المجتمع المدني في تشكيل الضوابط المتعلقة بمفهومي «الثقافة والمثقف»، بحيث يتم الانتقال من صيغة العمل المؤسسي الذي تنفرد فيه المؤسسة الثقافية الرسمية بالعمل إلى المشاركة الواسعة ومأسسة التفكير في المفهوم والقضايا المرتبطة به

خامساً: الدفع باتجاه مفهوم فاعل ومسؤول للمثقف يقوم على النظر إلى «المثقف» بوصفه الشخص الذي يعبر عن ضمير الأمة وحركة التاريخ، ويتخذ مواقف مبدئية في مواجهة تجهيل المجتمع ونشر السطحية والابتذال والتفاهة في المجتمع من خلال وسائل الإعلام والاتصال الاجتماعي، ويضطلع بدوره في معركة التنوير وتنمية الوعي.

سادساً: أن تعمل المؤسسات الثقافية الرسمية على إدارة الشأن الثقافي في البلاد بحكمة، وضبط مفهوم الثقافة عن طريق توفير المناخ الأفضل لتنمية فضاء الثقافة وازدهارها في المجتمع من خلال ترسيخ حرية التفكير والإبداع، والانتقال من ثقافة الدولة إلى دولة الثقافة، وذلك عن طريق تعزيز دور الثقافة في بناء الوعي وخدمة الأهداف الوطنية الكبرى، وربط الثقافة في بُعديها الوطني والإنساني بالمشروع المجتمعي الوطني الحداثي، والذي يعتبر الثوابت الوطنية والتنوع الثقافي والتعددية الثقافية أمراً أساسياً في كل عمل ثقافي وفني وإبداعي

سابعاً: أن تعمل المؤسسات الثقافية الرسمية على تحرير إرادة المثقف في الفضاء الثقافي الوطني، وإطلاق روحه الإبداعية، والنهوض بالفكر الحداثي التنويري الحر، وتشجيع النقد العقلاني، والتصدّي للخطاب الذي يزرع الجهل وينشر التفاهة عبر وسائل التواصل الإعلامي والاجتماعي.

ثامناً: تحويل العمل الثقافي إلى صناعة منتجة، من خلال التركيز على المحتوى الثقافي الذي يعزز الهوية الثقافية والوطنية، ودعم «الثقافة» عبر تعزيز دورها في الرعاية والمتابعة والتمويل والتشريع، وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في مشاريعها

تاسعاً: تعزيز التكامل بين الوسائط التقليدية للثقافة كالكتب والمجلات ونحوها وبين الوسائط الحديثة كوسائل التواصل الاجتماعي، وذلك بهدف تحقيق توازن مثالي في نقل الثقافة وتعزيز الفكر، حيث يتم استخدام الكتب والصحافة لتعزيز المعرفة، ووسائل التواصل الاجتماعي لزيادة الانتشار والتفاعل

عاشراً: تعزيز عملية ضبط مفهوم «الثقافة» من خلال إدراج الثقافة في إطار التخصص للحد من التطفل على تخصصات تكون بعيدة عن بعض الباحثين، وتفعيل دور الجامعات في وضع برامج جامعية تُدرّس وحدات متخصصة مثل وحدة «الدراسات الثقافية»، و«ثقافة ما بعد الحداثة»

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

التجسير الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين

العدد الحادي عشر - التجسير الثقافي
بين المشرق والمغرب العربيين

مركز الخليج للأبحاث
ديسمبر - 2024

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل نصف شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية

إخلاء مسؤولية:
الأراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد تمثل الكتاب والمثقفين المشاركين ولا ينبغي أن تنسب إلى مركز الخليج للأبحاث.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الموقف الثقافي

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

(الأندية الادبية، اللغة العربية، الفنون التشكيلية، التعليم، المسرح، السينما، معارض الكتاب، التاريخ، الاعلام، الثقافة والمثقف)

المدخل

يلتقي المشرق والمغرب العربيين في كثير من الأسس الثقافية وعلى رأسها الوحدة القومية، واللغة، والدين المشترك، والروابط الاجتماعية، والتاريخية، وغيرها. وبالرغم من هذه المشتركات إلا أنَّ عُرى التواصل ظلّت بسيطة بين الجانبين، سواءً على الصعيد المعرفي، أو الاجتماعي، مما أوجد فجوةً نتج عنها تداخل الجهود في المشاريع الثقافية على اختلاف تنوعها، علاوة على غياب كثير من الأسماء والأعمال البارزة في المغرب العربي عن التداول والحضور في المشرق العربي والعكس صحيح

أمام هذه الإشكالية تبرز الحاجة إلى تفعيل مسار «التجسير الثقافي» بين الجانبين لتعزيز التكامل بين العدْوتين بما يخدم الحالة المعرفية بوجه عام، ويدرأ أخطار القطيعة الفكرية التي تؤدي إلى تشتت الجهود وتداخلها، ناهيك عن ضعف الوعي بالمنجز الثقافي في كلا الجانبين

في هذا الإطار، ورغبة من البرنامج الثقافي في «مركز الخليج للأبحاث» في مناقشة هذه القضية وبحثها من مختلف الأوجه، فقد استطلع رأي نخبة من المثقفين في المشرق والمغرب العربيين بشأن قضية ««التجسير الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين»، والسبل الموصلة لتحقيق هذا التجسير، موجها لهم الأسئلة الآتية:

- **في رأيك هل لا يزال التجسير المعرفي بين العدوتين الشرقية والغربية للوطن العربي يمثل أولوية مهمة؟**
- **ما الأثر المعرفي المنعكس على موضوع الهوية وإشكالاتها جراء الاهتمام بفكرة التجسير الثقافي؟**
- **كيف تنظرين إلى مستوى التواصل المعرفي بين المشرق والمغرب العربيين؟**
- **كيف يمكن تعزيز «التجسير الثقافي» بين العدوتين؟ وهل هناك برامج أو مبادرات يمكن اقتراحها؟**
- **ما الدور المناط بالمنظمات الدولية عربيا في دعم وتيرة التجسير الثقافي؟**

وفيما يلي نورد إجابات المثقفين المشاركين مرتبة أبجدياً.

آسية عبدالرحمن

موريتانيا

بكل تأكيد لا تزال الحاجة ملحة لتجسير معرفي يربط ركني العالم العربي، بل إنها تبدو اليوم أكثر أهمية وأشد إلحاحًا، ففي عالم أصبحت الهوية الثقافية فيه مهددة بفعل ثقافة كونية تنتشر عبر أجنحة الأثير، وتتوزع عبر الأفلام والمسلسلات والوسائط الاجتماعية، تبرز بجلاء أهمية التجسير المعرفي من أجل توطيد الثقافة الجامعة، التي هي مصدر وحدة الأمة، ولا قيام لأمة بدونها، فالأمة في حقيقتها هي لغة وثقافة وحين تنفصل عرى اللغة والثقافة تصبح الأمة بلا وجود

إنَّ الهوية لا تتعزز إلا باللغة والثقافة، وكل ما يهدد الهوية يأتي من هذين المنفذين، فمن استطاع أن يغيب لغة ما فإنه يغيب بالضرورة ثقافتها.

أمَّا بالنسبة للآثار المعرفية المنعكسة على موضوع الهوية وإشكالاتها جراء الاهتمام بفكرة التجسير الثقافي، فلا شك أنَّ للتجسير الثقافي أثره المعرفي البالغ على الهوية، فالتجسير يردم الهوة التي نشأت تاريخيًا بسبب البعد الجغرافي بين الجانبين من جهة، ومن جهة أخرى يبعث في اللغة حيوية افتقدتها بسبب الاستعمار، وما أدخله من مفردات ولكنات؛ جعلت اللغة في العُدْوة الغربية غريبة بعض الشيء عن أختها في المشرق

إنَّ الهوية لا تتعزز إلا باللغة والثقافة، وكل ما يهدد الهوية يأتي من هذين المنفذين، فمن استطاع أن يغيب لغة ما فإنه يغيب بالضرورة ثقافتها؛ فاللغة هي الوعاء التي تعيش فيه مجموع السمات التي تشكل الهوية

إنَّ التجسير الثقافي يعني ربط الحاضر بالماضي وربط المركز بالأطراف، حتى يظلّ المركز قلبًا نابضًا يدفع دماء الانتماء والوحدة والثقافة في سائر الجسد العربي الممتد من الخليج إلى المحيط

وعند النظر إلى مستوى التواصل المعرفي بين المشرق والمغرب العربيين، نجد أنه منذ حوار الشرق والغرب الذي دار بين حسن حنفي ومحمد الجابري والتواصل المعرفي بين الجانبين يشهد فتورًا على الأقل في مستواه الفكري، وإن كان هناك نوعٌ من التلاقي المعرفي، فإنه لا يأخذ شكلًا أكاديميًا، بل يوجد بشكل حر في إطار مؤسسات إعلامية ومراكز بحوث تجمع أنماطًا معرفية من العدوتين.

وفي كل الأحوال، لا تزال الفجوة واسعة بين ركني العالم العربي رغم انتشار وسائل الإعلام وحرية التنقل، وهي فجوة نلمسها حتى في الاختلاف المذهبي دون أن يعي الطرفان أنه اختلاف وليس خلافًا

منذ حوار الشرق والغرب الذي دار بين حسن حنفي ومحمد الجابري والتواصل المعرفي بين الجانبين يشهد فتورًا وإن كان هناك نوعٌ من التلاقي المعرفي، ولا تزال الفجوة واسعة بين ركني العالم العربي رغم انتشار وسائل الإعلام وحرية التنقل.

وفيما يتعلق بالمبادرات والبرامج المقترحة، فإن تعزيز التجسير الثقافي بين العدوتين يجب أنْ يتم أولاً عبر جميع الأنماط الثقافية والاجتماعية والسياسية، ولعل إنشاء برلمان عربي للطفل يجمع أطفال العدوتين من أهم تلك المبادرات، ثم إنَّ إعداد وثائقيات وبرامج تلفزيونية وإذاعية عن مظاهر الوحدة والاختلاف بين العدوتين يقدمها إعلاميون من المنطقتين تعزز هي الأخرى التجسير الثقافي

ومن الأكيد في تعزيز التجسير الثقافي إجراء دراسات وأبحاث عن أصول الكلمات في اللهجات المغاربية، وردها إلى جذرها العربي الفصيح

ولعل كذلك ربط القبائل المغاربية بأصولها في المشرق من الأهمية بمكان في تعزيز التجسير بين العدوتين فالانتماء القبلي أحد أهم محددات العقل العربي

أمَّا الدور المناط بالمنظمات العربية في تعزيز وتيرة التجسير الثقافي فيكمن في رعاية المؤتمرات والبحوث والأنشطة التي من شأنها ربط العدوتين ببعضهما البعض، عبر إستراتيجية تعتني بالتكامل وليس التنافس، و الاندماج و ليس الإقصاء، و لن يكون ذلك إلا بالنظر إلى أن الأمة العربية جسد واحد لا فضل لقلب فيه على قدم و لا رأس و لا أطراف! إنَّ على المنظمات العربية الدولية العمل على القضاء على عقدة الأطراف من المركز، وتعالي المركز على الأطراف

في البدء... «بضاعتنا ردت الينا»... جسور بين العدوتين... ما زالت هذه العبارة التي رافقت استقبال أهل المشرق للعقد الفريد لمؤلفه ابن عبد ربه الأندلسي تتردد بعيدة الصدى في العلاقة بين عدوتي الوطن العربي، إنها ليست مجرد كلمات، بل هي صدى لحكاية قديمة تربط بين المشرق والمغرب، حكاية كانت فيها المعرفة والفكر، سلعًا غالية ونبيلة، تتنقل بسهولة رغم مشاق السفر بين عدوتي هذا الوطن الكبير من خليجه إلى محيطه

من الأكيد في تعزيز التجسير الثقافي إجراء دراسات وأبحاث عن أصول الكلمات في اللهجات المغاربية، وردها إلى جذرها العربي الفصيح. وربط القبائل المغاربية بأصولها في المشرق فالانتماء القبلي أحد أهم محددات العقل العربي.

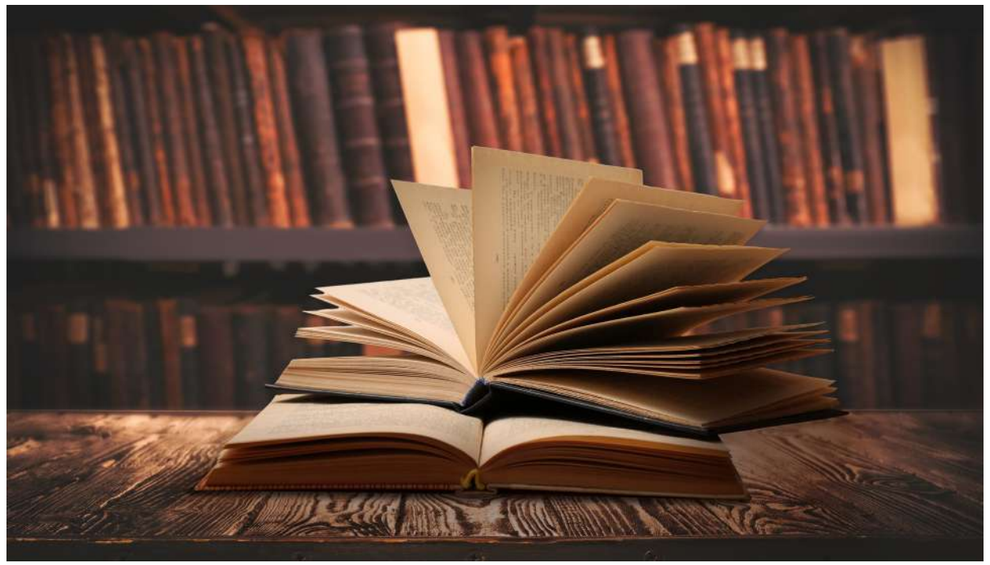

الموقف الثقافي

التجسير الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين

طاهر العجرودي

تونس

في تلك الحقبة، كان المشرق يترقب بفارغ الصبر الاقتحامات الجديدة التي يفتحها المغرب العربي أمامه، آملًا في رؤية جديدة وأفق مختلف والمغرب يرقب ردة فعل المشرق في مدى تمثله للقيم التي انطلق بها في رحلة الفتح الحضاري

ولكن، جرت سنن التاريخ وتغيرت الأزمنة وتبدّلت الأوضاع، ليعيش اليوم العرب لحظات فارقة هم في أشد الحاجة لها لإعادة التفكير في العودة للأصول وإعادة طرح السؤال المنهجي البسيط: ما الذي يجمعنا أكثر مما يفرقنا؟

إننا نحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى عودة «البضاعة» بين المشرق والمغرب، ولكن هذه المرة ليست بضائع مادية فحسب، بل ألوانا من الفكر والمشاعر والآمال... نحن بحاجة إلى تبادل حقيقي، يحمل في طياته ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا

لقد أثقلت سنوات الاستعمار والتحديات السياسية هذه العلاقة بيننا، ففشلت تلك الروابط الأصلية التي تجمعنا بلغة واحدة ومصير مشترك. واليوم، ومع مرور الوقت، أصبحت العودة إلى حتمية التكامل العربي أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى، لأننا بحاجة إلى توحيد جهودنا وأفكارنا، لنمضي قدمًا نحو تحقيق حلم عربي جديد، حلم يربط بين أقطار المنطقة العربية، ويستعيد روح التعاون والوحدة

> لقد أثقلت سنوات الاستعمار والتحديات السياسية هذه العلاقة بيننا، ففشلت تلك الروابط الأصلية التي تجمعنا بلغة واحدة ومصير مشترك. واليوم، ومع مرور الوقت، أصبحت العودة إلى حتمية التكامل العربي أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى.

في ظل التحولات السريعة والتحديات المتصاعدة التي تواجه الأمة العربية، يتساءل كثيرون: هل يمكن للتكامل الثقافي أن يصبح أداة إستراتيجية لإعادة بناء الروابط التي تهددها أزمات الهوية والتجزئة؟ وهل يمكننا تجاوز حدود التنظير إلى بناء واقع ثقافي

الوطن العربي. نحن اليوم أمام فرصة غير مسبوقة، حيث تتيح الوسائط الرقمية والتكنولوجيا الحديثة إمكانيات هائلة لخلق روابط ثقافية متينة، تسهم في صياغة مشروع حضاري عربي يتفاعل مع متغيرات العصر ويقدم حلولًا مبتكرة لقضايا المستقبل. فهل يمكن لهذه الرؤية أن تصمد أمام تحديات الواقع؟ وهل سنتمكن من استثمار هذه اللحظة التاريخية لبناء تكامل ثقافي حقيقي يعيد صياغة هوية الأمة؟ على مدى عقود، تصدّر المفكرون والمبدعون البارزون المشهد الثقافي العربي، واضعين رؤى واستراتيجيات طموحة لتحقيق الوحدة الثقافية. لكن رغم قيمتها الفكرية، بقيت هذه المحاولات رغم ما أنفق من أجلها أسيرة التنظير، عاجزة عن التحول إلى واقع عملي ملموس. واليوم، تطرح أمامنا أسئلة ملحّة: كيف يمكننا كسر هذا الجمود وإعادة إحياء المشروع الثقافي العربي؟ وما الذي يجعل هذه اللحظة التاريخية مهيأة لإحداث تغيير جوهري؟

نحن اليوم أمام فرصة غير مسبوقة، حيث تتيح الوسائط الرقمية والتكنولوجيا الحديثة إمكانيات هائلة لخلق روابط ثقافية متينة، تسهم في صياغة مشروع حضاري عربي يتفاعل مع متغيرات العصر ويقدم حلولًا مبتكرة لقضايا المستقبل.

في عصر تتسارع فيه التكنولوجيا وتتقارب فيه المسافات بفضل وسائط الاتصال الحديثة، تتوافر أمامنا أدوات غير مسبوقة لنقل الأفكار وتبادل التجارب وخلق موجات فنية عابرة للحدود. فهل يمكن استثمار هذه الإمكانات لتجاوز العوائق القديمة وابتكار صيغة جديدة للترابط الثقافي العربي؟ وهل نحن مستعدون لتسليم راية التغيير لجيل جديد من الشباب المبدعين القادرين على صياغة مشهد ثقافي يعكس روح العصر وتطلعات المستقبل؟

يشكّل الشباب المبدع طاقة هائلة قادرة على إحداث تحول نوعي في المشهد الثقافي العربي، إذْ يحملون رؤى جديدة وإمكانات واعدة تتماشى مع التغيرات العميقة التي يشهدها العالم. على عكس الأجيال السابقة، يتمتع هؤلاء الشباب بقدرة فريدة على التكيف مع الوسائط الرقمية، واستثمار التكنولوجيا الحديثة كمنصة لإبداع أعمال مبتكرة، وتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية لنقل الأفكار وتعزيز التفاعل

تشير الدراسات المقارنة إلى أنَّ المنطقة العربية تضم قاعدة شبابية كبيرة تُعد من بين الأكثر نشاطًا في المجال الإبداعي على مستوى العالم. على سبيل المثال، أظهرت تقارير حديثة حول استخدام الوسائط الرقمية أنَّ نسبة كبيرة من الشباب العربي يستخدمون الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي للترويج لأعمالهم الفنية، والتواصل مع جماهير محلية وعالمية، وإطلاق مشاريع ثقافية مشتركة.

يشكّل الشباب المبدع طاقة هائلة قادرة على إحداث تحول نوعي في المشهد الثقافي العربي.

هذا التحول الرقمي الذي يتبناه الشباب يمكن اعتباره نقطة قوة حاسمة في مواجهة التحديات التقليدية التي طالما أعاقت التكامل الثقافي

الشباب العربي في مواجهة التحديات العالمية

في مقارنة مع مناطق أخرى مثل جنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية، نجد أنَّ الشباب في المنطقة العربية يمتلكون طاقات إبداعية تضاهي نظرائهم، إن لم تكن تفوقهم، إلا أنهم يعانون في كثير من الأحيان من نقص في البنية التحتية الثقافية والدعم المؤسسي. بينما استطاعت الدول

الآسيوية، على سبيل المثال، خلق بيئات خصبة لدعم الإبداع الشبابي عبر برامج تمويل ومنصات رقمية مخصصة، لا يزال الشباب العربي يعتمد بشكل كبير على الجهود الفردية أو المبادرات غير الممنهجة. ومع ذلك، برزت تجارب شبابية ملهمة في عدة دول عربية أثبتت قدرة الشباب على تجاوز هذه العوائق

- في السعودية، برزت حركة شبابية مزدهرة في مجال الأفلام القصيرة والموسيقى البديلة. على سبيل المثال، مبادرات مثل مصانع الابتكار وحي جاكس ومركز الدرعية ومهرجانات كمهرجان أفلام السعودية، ومهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي التي أصبحت منصة للشباب السعودي لاستعراض مواهبهم. كما أطلق الموسيقيون الشباب موجات جديدة من الأعمال التي تمزج بين الموسيقى التقليدية السعودية وإيقاعات إلكترونية عصرية كتجربة الفنان عبد الرحمن محمد الذي أصبح يتعاون مع فرقة موسيقية تونسية شابة ويقدم حفلات متنوعة في الوطن العربي يمزج فيها الشعر التراثي العربي بمقاربات موسيقية مبتكرة، بما يعكس روح التجديد والوفاء لتراث الأمة

- في المغرب، نرى مبادرات شبابية في المسرح والموسيقى الإلكترونية استطاعت أن تستفيد من الموروث الغنائي التقليدي وتحوله إلى ترند عالمي يجمع بين روح العصر والوفاء لهوية المغرب العربي

- في تونس، تزدهر التجارب المسرحية الشبابية ضمن مهرجانات مثل «أيام قرطاج المسرحية والسينمائية والفن المعاصر وغيرها»، حيث يعمل الشباب على تقديم نصوص مبتكرة تستكشف قضايا اجتماعية معاصرة بأساليب فنية جريئة. كما شهد المشهد الفني بروز موسيقيين شباب جمعت موسيقاهم بين الموسيقى التجريبية والشعر التونسي المعاصر مثل تجربة كلام شارع وتجارب فنانين كياسر جرادي وبديعة بوحريزي وآمال المثلوثي التي ارتقت من المحلية الضيقة إلى الانتشار العالمي وأصبحت توحد شباب المنطقة العربية حول صوتها المختلف

وتؤكد الدراسات أن الشباب العربي يُظهر إلمامًا عاليًا بالتكنولوجيا مقارنة بالأجيال السابقة، حيث تعتبر الوسائط الرقمية ليست فقط وسيلة للتواصل، بل أداة للإبداع. يمكن لهذه الأدوات أن تُستخدم لتوثيق التراث الشعبي، أو تطوير عروض مسرحية باستخدام الواقع الافتراضي، أو حتى إنتاج أفلام قصيرة قادرة على المنافسة عالميًا، والعمل على تعزيز الترابط بين ركني العالم العربي. وفي هذا السياق، تبرز أهمية بناء شبكات دعم للشباب المبدع، مثل إنشاء منصات رقمية إقليمية تجمع بين المبدعين من مختلف الدول العربية لتبادل الخبرات والتعاون في مشاريع مشتركة. كما يمكن تطوير برامج تدريبية تدعم استخدام التكنولوجيا الحديثة في الإبداع الفني والثقافي، مستفيدة من تجارب الدول الأخرى التي نجحت في تمكين شبابها من تحقيق طفرة ثقافية كالتجربة الفنلندية والكورية الجنوبية

> **يمكن للوسائط الرقمية أن تُستخدم لتوثيق التراث الشعبي، أو تطوير عروض مسرحية باستخدام الواقع الافتراضي، أو حتى إنتاج أفلام قصيرة قادرة على المنافسة عالميًا، والعمل على تعزيز الترابط بين ركني العالم العربي.**

إن إطلاق طاقات الشباب المبدع يتطلب إرادة سياسية ومؤسسية واضحة تعمل على تمكينهم من الوصول إلى الموارد والبنى التحتية اللازمة. وعليه لابد من استراتيجيات واضحة تهدف إلى دعم الإنتاج الثقافي الشبابي، وتعزيز التفاعل بين المبدعين الشباب من مختلف الدول العربية، وتحويل أفكارهم إلى مشاريع ملموسة تعكس تنوع الثقافة العربية وثراءها

> **لابد من استراتيجيات واضحة لتعزيز التفاعل بين المبدعين الشباب من مختلف الدول العربية، وتحويل أفكارهم إلى مشاريع ملموسة تعكس تنوع الثقافة العربية وثراءها.**

إن الشباب ليسوا فقط مستهلكين للثقافة، بل هم صانعوها. وفي عالم يزداد ترابطه، يمثلون جسورًا حقيقية للتواصل بين المجتمعات المحلية والمشهد الثقافي العالمي. ومن خلال استثمار هذه الطاقات الإبداعية، يمكن أن نشهد تحولًا ثقافيًا كبيرًا يعيد للأمة العربية مكانتها في المشهد الثقافي العالمي. إن نموذج الفنان الشاب التونسي بلطي على سبيل الذكر لا الحصر والذي اكتسحت أغانيه اغلب الدول العربية دليل واضح على أنَّ الذائقة قد تغيرت وإمكانية الانتشار أصبح يحكمها منطق مختلف علينا جميعا كصناع للقرار الثقافي في الوطن العربي أن ننتبه له.

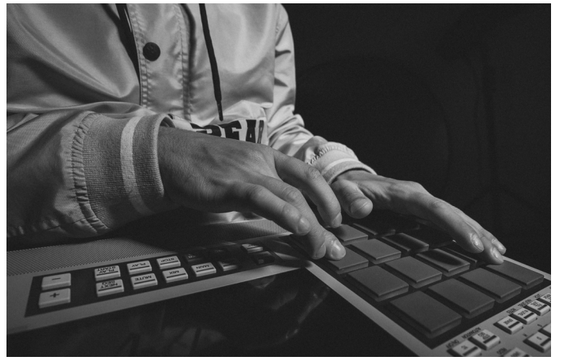

لقد شكلت أغاني هذا الفنان رغم طابعها المحلي الصرف ظاهرة فريدة لقوة الفن في توحيد الذائقة

وهكذا فالانفتاح على المجموعات المحلية الفنية يصب في استثمار الطاقات المحلية لبناء التكامل الثقافي العربي، حيث تعد المجموعات المحلية في العالم العربي، بما في ذلك التجمعات الفنية المستقلة، والمجتمعات البحثية الصغيرة، والمجموعات الموسيقية التجريبية، من العناصر الأساسية التي تشكل نسيج الأمة العربية. رغم هذه الأهمية، فإنَّ هذه المجموعات غالبًا ما تُعتبر الحلقات الأضعف في منظومة الثقافة العربية، وتواجه تحديات كبيرة في سبيل الوصول إلى الدعم اللازم لتنمية أعمالها وتوسيع حضورها الثقافي على المستويين الإقليمي والدولي. إن هذه المجموعات، التي تضم شبابًا ومبدعين مستقلين، تمثل طاقات هائلة يمكن أن تساهم بشكل كبير في تعزيز التنوع الثقافي العربي وفي صياغة مشهد ثقافي يعكس قضايا المجتمع ويواكب التحولات العالمية. فهي أكثر قدرة على معالجة القضايا المجتمعية من خلال الأدوات الفنية التي تُقدم من خلالها رؤية محلية ومعبرة عن واقع الحياة اليومية والتحديات التي تواجه المجتمعات العربية في مختلف المناطق. ومع ذلك، يبقى عدم وجود الدعم الهيكلي اللازم أحد أكبر العوائق التي تحد من إمكانياتها

إن هذه المجموعات، التي تضم شبابًا ومبدعين مستقلين، تمثل طاقات هائلة يمكن أن تساهم بشكل كبير في تعزيز التنوع الثقافي العربي وفي صياغة مشهد ثقافي يعكس قضايا المجتمع ويواكب التحولات العالمية.

إنَّ المجموعات المحلية تملك قدرة فريدة على التعبير عن الهوية الثقافية العربية المتنوعة والمركبة، حيث يمكنها استخدام الفنون والثقافة للتفاعل مع القضايا الاجتماعية والسياسية التي تشغل المجتمعات المحلية. على سبيل المثال، قد تجد مجموعة موسيقية في منطقة معينة قد وجدت في مزج الأساليب الموسيقية التقليدية مع التحديثات المعاصرة وسيلة لإيصال رسالة تتعلق بالهوية الثقافية أو الهجرة أو الصراعات السياسية.

إن غياب الدعم المؤسسي يعمق فجوة كبيرة بين هذه المجموعات والمشاهد الثقافية الأكبر، مما يجعل من الصعب عليها أن تجد جمهورًا أوسع، ويحول دون انتشار أفكارها والمشاركة في الحوارات الثقافية العربية والعالمية.

ولكن، وعلى الرغم من وجود هذه الرغبة والطاقة، تفتقر هذه المجموعات إلى بنية تحتية ثقافية تدعم تطوير أعمالها. ولعل أكبر التحديات التي تواجه هذه المجموعات يتمثل في غياب الدعم الهيكلي الذي يتيح لها الفرصة للنمو، سواء كان ذلك دعمًا ماديًا، أو برامج تدريبية، أو منصات لعرض أعمالها على المستوى الإقليمي والعالمي. ففي العديد من الحالات، لا تتمكن هذه المجموعات من الوصول إلى التمويل الكافي أو من الحصول على توجيه أكاديمي أو استشاري يساعدها على تحسين إنتاجاتها الفنية. إضافة إلى ذلك، تواجه هذه المجموعات عزلة أحيانًا عن الحركة الثقافية العربية الكبرى، إذ تفتقر إلى التواصل الفعال مع باقي المناطق أو إلى إمكانية التعاون مع مبدعين آخرين في الدول العربية

إن غياب الدعم المؤسسي يعمق فجوة كبيرة بين هذه المجموعات والمشاهد الثقافية الأكبر، مما يجعل من الصعب عليها أن تجد جمهورًا أوسع، ويحول دون انتشار أفكارها والمشاركة في الحوارات الثقافية العربية والعالمية

رغم هذه الفرص الكبيرة، هناك تحديات قد تواجه هذه التجارب التعاونية على المدى الطويل. من أبرز هذه التحديات هو ضرورة تأكيد التنوع الثقافي والحفاظ على خصوصية كل مجتمع في إطار التعاون الإقليمي. كما أن هناك حاجة لتطوير منصات ووسائل اتصال قادرة على تمويل ودعم هذه المشاريع الفنية، وكذلك توفير حماية قانونية للحقوق الفكرية والفنية للمبدعين

الموقف الثقافي

التجسير الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين

أ.د. عبدالله بن أحمد الغامدي
السعودية

ازدهرت بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، مروراً بحركة النهضة، العلاقة الثقافية والفكرية بين المشرق والمغرب، من المحيط إلى الخليج، وتأثر بها عدد من الكتاب والشعراء والمفكرون وغيرهم.

من البديهي التأكيد بأنَّ المغاربة قد تعلموا اللغة العربية مع بداية انتشار الإسلام في بلادهم، حتى طغت على لغاتهم الأصيلة، ونهل من استطاع منهم في مدارس المشرق العربي، وعلى أيدي علمائهم وأدبائهم ومفكريهم في مختلف العلوم، في كل من دمشق، وبغداد، والبصرة، والكوفة وغيرها من الأمصار، حتى تأسست في شتى العلوم والمعارف، مدارس وجامعات في عدد من المدن التونسية، والجزائرية والمغربية، مثل القيروان ووهران وفاس، ثم انتشرت فيما بعد في المدن الأندلسية، حتى حققت ما نسميه اليوم، "بالاكتفاء الذاتي." تخرج منها على إثر ذلك، مفكرون وعلماء وفلاسفة وشعراء وأدباء، أمثال: ابن رشد، وابن طفيل، وابن باجة، وابن خلدون، ابن عربي، وغيرهم

ازدهرت بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، مروراً بحركة النهضة، العلاقة الثقافية والفكرية بين المشرق والمغرب، من المحيط إلى الخليج، وتأثر بها عدد من الكتاب والشعراء والمفكرون وغيرهم. اشتهر في المشرق كلّ من العقاد وطه حسين ومارون عبود وكتاب وأدباء من مختلف الأقطار العربية شرقاً وغرباً. كما استقبلت مصر عدداً من الأسماء الشهيرة أمثال التونسي أبو القاسم الشابي، الذي نشر قصائده في مجلة (أبولو)، وتداخل المثقفون العرب فيما بعد، وفي كل البقاع العربية، بمعالجة قضايا أمتهم وبلادهم كالمفكر المغربي عبد الله العروي، والسوري الطيب التزيني، واللبناني كمال مروة وخلافهم، وبكى السياب أوجاع العراق بل والوطن العربي أجمع في قصائد مثل قصيدته المشهورة: "أنشودة المطر"

رغم ظهور بعض النتوءات في العلاقات بين المشرق والمغرب العربي هنا أو هناك، إلا أنهم يمثلون في أصلهم أمة واحدة، مما سهل عليهم المحافظة على وحدة أراضيهم وجمع كلمتهم، حيث يلتقون في عدد من القضايا التي تمس بلادهم وثقافتهم ووحدتهم، وعلى رأسها: اللغة، والوحدة القومية، والدين المشترك، والروابط الاجتماعية، والتاريخية، وغيرها... وواقع الحال الذي نعيشه اليوم، يؤكد بأن ما يؤلم بلد في المشرق أو في المغرب إلا وآلم الطرف الآخر وكان له أثره عند الشعوب خاصة.

تلتقي ثقافة المشرق والمغرب على الخير دائماً، عدا بعض القضايا السياسية، وبعض الاختلافات في المعرفة والثقافة المحلية، التي قد اعتاد على تلقيها العربي في محيطه الاجتماعي، التي أوحت لبعض المثقفين في المشرق أو في المغرب بوجود فجوة فيما بينهم.

اختلق الهوة وعزز لها، تدخل بعض المفكرين والمثقفين من شرق العالم العربي أو غربه، فأحدثت ما يمكن تسميته: «بالقطيعة الفكرية».

اختلق الهوة وعزز لها، تدخل بعض المفكرين والمثقفين من شرق العالم العربي أو غربه، فأحدثت ما يمكن تسميته: "بالقطيعة الفكرية". لقد وقعت بداية تلك "الفتنة"، عندما تفاخر بعض المثقفين المشارقة بمعارفهم على ثقافة وفكر المغاربة. تناسى البعض أن سبب ذلك، هو بعدهم الجغرافي عن معارف بعض، وضعف وسائل الاتصالات في ذلك الوقت، وقلة التواصل بين الطرفين، وربما دون قصد، عدم الاهتمام والاطلاع كثيراً، من قبل بعض المثقفين والمفكرين المشارقة، بما لدى المغرب العربي من وعي ومنجز ثقافي ومعرفي

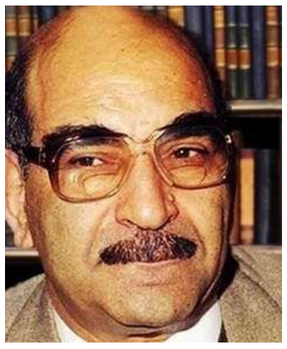

كان من أبرزهم المفكر المغربي د. محمد عابد الجابري، والتونسي هشام جعيط، ومن المشرق، السوري جورج طرابيشي، والفلسطيني فيصل دراج، واللبناني فيصل جلول، والمصري حسن حنفي، والجزائري محي الدين عميمور، وغيرهم..

لقد برز عدد من المفكرين في المشرق والمغرب العربي ممن عمل على إبراز نقاط القوة والضعف عند كل طرف. كان من أبرز من انتقد المشارقة، كما أشرنا سابقاً، وحدد ما يمكن أن نسميه "بثقافة الاختلاف"، المفكر المغربي د. محمد عابد الجابري، حيث انتقد اللغة العربية، ووسمها بأنها "ليست لغة ثقافة وفكر".

اتهم الجابري، العقل العربي بالجمود، خاصة وأن الثقافة العربية كما يقول: هي "الإطار المرجعي للعقل العربي، نعتبرها ذات زمن واحد منذ أن تشكلت إلى اليوم"، كما حدَّد بأنه: "زمن راكد يعيشه الإنسان العربي اليوم مثلما عاشه أجداده". لكنه امتدح الفكر المغربي بقوله: بأن الحقيقة الأساسية تكمن في "استقلال المدرسة الفلسفية في المغرب والأندلس استقلالاً تاماً عن زميلتها في المشرق"، كما انتقد الجابري كغيره من المغاربة، الكُتَّاب والأكاديميين المشارقة، "فمعظم الكتب التي تؤلف في المشرق هي دروس للطلبة يطبعها الأستاذ ليكمل ماهيته، أي أجرته أو راتبه الشهري، أما نحن في المغرب فلم نعتد على هذا."

استمر الجدل والحوار الفكري في الأخذ والرد، حول تقدم المشارقة على المغاربة، والعكس بالعكس سنوات طويلة. حيث تبنت الصحف والمجلات العلمية نشر المقالات والحوارات، فاتسعت الرقعة على الراقع، فتفاخر كل طرف على الآخر، وحاول كلاً منهم إثبات قدراته وتعزيز ثقافته وامكاناته المعرفية.

صدر على إثر ذلك، عدة مؤلفات، حملت في طيها موضوع (الحوار المشرقي/المغاربي)، كان على رأس تلك العناوين، كتاب: "الحوار بين المغرب والمشرق"، للدكتور محمد عابد الجابري، الذي تحدث فيه عن أهم ما تطرقت له الصحف وما كتب من مقالات في المشرق والمغرب، وعن المواضيع والأفكار الرئيسية التي ناقشها المفكرون من كل طرف

كما أثار الجابري في اطروحاته المتكررة هنا وهناك، ترسيخ فكرة التقابل والاختلاف بين الضفتين المشرقية والمغربية، وحدد أن كلاً من فكر الغزالي وابن سينا، قد هيمن على المشرق، وأشاد بعالمه المغاربي الذي منحه "العقلانية الرشدية والواقعية الخلدونية"، واعتبرها بارزة في تاريخ الفكر الإسلامي في العصور الوسطى.

أمَّا وزير الخارجية الجزائري الأسبق أحمد طالب الإبراهيمي فقد زاد الهوة اتساعاً، عندما تساءل، «لماذا يعلم المغاربة عن المشرق أكثر مما يعلم المشارقة عن المغرب؟»

أمَّا وزير الخارجية الجزائري الأسبق أحمد طالب الإبراهيمي فقد زاد الهوة اتساعاً، عندما تساءل، "لماذا يعلم المغاربة عن المشرق أكثر مما يعلم المشارقة عن المغرب؟" لقد أثار ذلك السؤال فكرة لدى كتاب آخرون، كالتصور الشائع، "بأن المشرق منبت الوحي وهو مصدر العروبة، وهو القلب السياسي والثقافي الذي يغذي الأطراف، ولا يُغذّى منها". كما أشار آخرون إلى قضية عدم استفادة المشارقة من إسهامات المغاربة من المعاصرين، كأمثال مالك بن نبي، ومحمد عابد الجابري، وعبد الله العروي، وهشام جعيط، ومحمد طالب، ومحمد أركون. أضاف بعض المفكرون المغاربة بأن: "محتوى الكتب المدرسية التي تُحضّر للناشئة وتخصص للمختارات الأدبية والفكرية"، في المغرب، قد خصصت حصة الأسد منها للمشارقة، على غرار ما فعل ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه (العقد الفريد)، كما نقرأ لابن المقفع والجاحظ وأبو حيان والبحتري والمتنبي والمعري في الأقدمين، ونقرأ للرافعي والحصري وطه حسين وشوقي والرصافي وإيليا أبي ماضي من المحدثين، بينما في الكتب المشرقية لا نجد إلا نادراً ذكر أمثال ابن حزم وابن شهيد وابن الخطيب وابن دراج وابن زيدون وابن هانئ في الأقدمين، ولا نجد "ذكراً عن ابن باديس وابن العربي العلوي وعلاّل الفاسي في المحدثين."

من يتابع ويقرأ ما يكتب في المشرق العربي، يشعر بأن هناك حساسية تاريخية ذات جذور ضاربة في القدم، كما تتصدر أخبار وأشعار وخطب المشرق في المقدمة. إضافة للشعور بعدم الاحتفاء بما يكتبه بعض المغاربة من فكر وعلوم وأدب وثقافة وأخبار تتعلق ببلادهم.

لقد أثار بعض المثقفين المغاربة من تونس والجزائر والمغرب، جدلاً حول إهمال المثقفين المشارقة لأدبهم وفكرهم وثقافتهم وتاريخهم، وكان من بين دلائلهم المؤيدة لوجهة نظرهم، قلة المعرفة بالمغرب العربي، وخاصة ما قبل منتصف القرن العشرين. ويلحظون بعض التحسن في النصف الثاني من القرن الماضي

لقد أثار بعض المثقفين المغاربة من تونس والجزائر والمغرب، جدلاً حول إهمال المثقفين المشارقة لأدبهم وفكرهم وثقافتهم وتاريخهم، وكان من بين دلائلهم المؤيدة لوجهة نظرهم، قلة المعرفة بالمغرب العربي.

لقد ركز المشارقة كما يدعي المغاربة، على ثقافة القاهرة، التي استمرت منذ العصر الأندلسي. كما تعززت الفكرة بعد أن كتب ابن عبد ربه الأندلسي، (860م/940م)، مؤلفه الأدبي المسمى بـ (العقد الفريد)، الذي يعتبر موسوعة شعرية ونثرية في ذلك الوقت، والذي قال عنه الوزير والأديب الصاحب ابن عباد، بعد أن اطلع عليه: "ظننا فيه شيئا من أخبار بلادهم فإذا هي أخبار بلادنا، بضاعتنا ردت إلينا".

نفهم من هذه المقولة، بأن ابن عبد ربه قد أهمل أدب وتاريخ الأندلس والمغرب لحساب أدب المشرق وأخباره. كما تدل ضمنياً بأنَّ الكاتب قد تأثر بعقدة تفوق المشارقة، مما جعل المغاربة ضمن الهامش. والشرق كما يشعر بعض المغاربة وفي مخيلتهم وضمائرهم، عبارة عن أرض النبوة ومهبط الوحي ومهد الشعر ومصدر اللغة

إن دل هذا النقد من المغاربة للمشارقة، على شيء، فإنما يدل على ما شعروا به من إهمال لتاريخهم وأدبهم وفكرهم وثقافتهم المغاربية العربية الأصيلة.

تحدث بعض الكتاب المغاربة كذلك، عن إهمال المشارقة لهم ولأدبهم ولبلادهم، ففي عام 1937م، كتب الكاتب الجزائري فرحات الدراجي مقالاً مهماً بعنوان: (كلمة عتاب إلى إخواننا الشرقيين)، جاء فيه: "إن المشارقة لا يعرفون عن المغرب وشؤونه وتاريخه شيئاً كثيراً وقلما نجد كتاباً للمشارقة عن المغرب سالماً من الأخطاء"، وقال عن عزوف المشارقة عن أدب المغاربة: "إن ذلك يعود إلى مركز العلو لدى المشارقة ومركب النقص لدى المغاربة من حيث يجب أن تزول هذه النظرة"

وحمل الكاتب الجزائري أبو يعلى الزواوي، الذي عاش بمصر، واشتغل بالصحافة، في مقالة له، على المغاربة ودعاهم إلى الاهتمام ببلادهم وشؤونهم وثقافتهم، تحت عنوان: (اشتغالنا بالشرق أنسانا أنفسنا)، وقال: "لقد أسرفنا أخيرا في الإقبال على كل ما يرد علينا من المشرق إسرافا أفقدنا الثقة بأنفسنا، فكل ما يلفظه بريد الشرقيات ينال لدينا كل الإعجاب والتقدير وإن كان لا يحمل إلينا بعض الأحيان إلا شروراً ومفاسد وسموماً أمَّا ما يظهر لدينا وينبت في حقلنا فلا يستحق شيئاً من ذلك، وما ذنبه إلا ظهوره في ربوعنا لا في ربوع الشرق".

كما صدر للناقد الجزائري د. عبد الملك مرتاض حول هذه الجدلية، كتاب شهير بعنوان: (الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق)، عاتب فيه المشارقة وبين فيه تقصيرهم في حق ثقافتهم المغربية عامة. مما أثار فهمي هويدي، فكتب: "ولا نبالغ كثيراً إذا قلنا إنَّ هذا الكتاب الذي لا تزيد صفحاته عن 140هو بمثابة عريضة اتهام للمشارقة تدعونا بصوت عال لأن نراجع موقفنا ومعلوماتنا عن المغرب والمغاربة"

كما ألَّف الكاتب والمفكر التونسي محمد مزالي كتاباً باسم: (في دروب الفكر)، أوضح فيه النقص الحاد في قضايا الأدب والثقافة المغربية من قبل المفكرين المشارقة، وعليه فقد تناولت إحدى لقاءات (أصيلة الثقافة المغربية)، قضية إهمال المشارقة للمغرب العربي. إن دل هذا النقد من المغاربة للمشارقة، على شيء، فإنما يدل على ما شعروا به من إهمال لتاريخهم وأدبهم وفكرهم وثقافتهم المغاربية العربية الأصيلة

أما تاريخ المشرق، ذكر بعض مفكرين المغرب العربي، فقد بدأ من العصر الجاهلي، فصدر الإسلام، فالعصر الأموي، والعباسي، فعصر الضعف، والعصر الحديث، دون التطرق إلى دولة الأغالبة، والأدارسة، والزيانيين، والرستميين، والمرابطين، والموحدين في المغرب، كما أن لويس معلوف في (منجد اللغة والأعلام)، أتى على ذكر الصحف العربية وأهمل الجزائر تماماً، مع أن عدد دورياتها حينها، يفوق 90 دورية. كما انخرط أحمد أمين في الطرح نفسه في كتابه، (زعماء الإصلاح في العصر الحديث)، ولم يتناول واحداً من زعماء الحركة الإصلاحية في الجزائر كابن باديس مثلاً

ويذكر فرحات الدراجي بأنه قد أهدى المشارقة عام 1935م، «سجل» فيه (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، ولم يكتب عنه أحد، بما فيهم الزيات، صاحب (الرسالة)، الذي انشغل بالحديث عن كلب العقاد وسنور المازني كما كتب.

هكذا واصل المغاربة اتهام المشارقة بأنهم يتجنبون كل ما هو مغربي، وأنهم مثلاً، يسقطون اسم الجزائر عندما يتحدثون عن الدول العربية. ذكر بعضهم فريد الأطرش عندما أهمل في أغنيته: (على بساط الريح)، الجزائر تماماً، واكتفى بذكر تونس والمغرب فقط من بين دول الشمال الأفريقي

لقد أكد بعض المغاربة في كثير من أطروحاتهم، تجاهل وإسقاط المشارقة لهم، من كل الثقافات والفنون. لقد عاب المغاربة على أحمد شوقي عندما زار الجزائر عام 1904م، للاستشفاء، ما كتبه عن

زيارته، حيث قال: «لا عيب فيها (أي الجزائر) سوى أنها قد مسخت مسخاً، وقد عهدت مساح الأحذية يستنكف النطق بالعربية، وإذا خاطبته لا يجيبك إلا بالفرنسية».

لم ينس الشيخ ابن باديس قول شوقي، في حفل إحياء ذكرى شوقي، وتعجب من وصفه، كيف أنه استدل على حال أمة، بمساح الأحذية، إلا أنَّ الفقيد العزيز كما قال: «لو رأى من عالم الغيب حفلنا هذا، لكان له في الجزائر رأي آخر، ولعلم أنَّ الأمة التي أنجبتها العرب لا تستطيع ولن تستطيع أن تمسخها الأيام ونوائب الأيام»

كتب مفكرو المغرب العربي، أمثلة على تحامل المغاربة على إهمال المشارقة لهم، منها زيارة سلامة موسى للجزائر عام 1930م، الذي قلل من شأن البلد وتاريخه حين قال: «إننا لا نجد في الجزائر حركة وطنية بينما نجد في الهند حركة وطنية هي غاية في القوة، وذلك لأن الفرنسيين قتلوا الروح الوطنية في الجزائر بمقاومة اللغة، وليس في الجزائر أية نهضة، ليس فيها نهضة للاستقلال أو لإحياء القومية أو أي نهضة أخرى ثقافية، فالشباب المتعلم هناك واحد من اثنين، فهو إمَّا فرنسي الثقافة واللغة لا يعرف من العربية غير الألفاظ التي يتكلم بها في البيت، وإما عربي اللغة والثقافة قد تعلم في معهد يشبه المعاهد الدينية عندنا يقرأ الكتب القديمة، ولا يتصل بالحضارة الحديثة بأي نسب، وهو يعيش في انزواء عن العالم الحاضر، يؤمن بحجاب المرأة ويقاطع كل شيء أوروبي، فيبقى مهزوماً طول حياته»

بالرغم من تجاوز البعض لهذه الحوارات، إلا أن الحوار بين المشارقة والمغاربة قد استمر إلى عصر قريب. ركز غالبية المفكرين اهتمامهم على قضايا تتعلق في جلها، بمشاكل وقضايا بلادهم الخاصة. لكن هناك من أنشغل بمشاكل وقضايا الوطن العربي عامة وقضيتهم الأم خاصة. يمكن الإشارة، تصديقاً لذلك، إلى مقولة اشتهرت من زمن، تقول: «القاهرة تكتب، وبيروت تطبع، وبغداد تقرأ.»

لقد أسهم واقعنا اليوم، بما يملكه من تطورات في المشرق والمغرب، وما تم من تطور في وسائل التواصل الاجتماعي ومن إمكانات نشأ عنها اتساع الرقعة من طرف، ومن طرف آخر خلق ثقافات متعددة بتعدد المراكز والنوادي، والصالونات والدور الثقافية والأدبية والحركات الفكرية والفنية والإبداعية. لقد أسهمت كل هذه التداخلات في خلق فرص لكثير من المثقفين، بدءً من بلدان الخليج شرقاً، وامتداداً إلى بلدان المغرب العربي الكبير.

لقد «عانت الجزيرة واليمن والخليج من الإهمال أكثر من المغرب، وهي مشرق المشرق، عقدة تفوق مشرقية تجاه الثقافة المغربية»

لقد وحدت وبرزت أسماء لامعة في شتى نواحي الثقافة والعلوم والإبداع الفكري، خاصة في الرواية، والشعر، والفكر، والنقد، والفنون وفي البحوث التاريخية والاجتماعية والإنسانية وغيرها من الدراسات المعتبرة

من ناحية أخرى، أثار المفكر البحريني محمد جابر الأنصاري، ذات القضية، حينما نظر إليها من زاويته كخليجي، عندما كتب في: (من أجل تفاعل بلا عقد بين المغرب والمشرق)، لقد «عانت الجزيرة واليمن والخليج من الإهمال أكثر من المغرب، وهي مشرق المشرق، عقدة تفوق مشرقية تجاه الثقافة المغربية». كما أكد بأن الجزيرة العربية قد عانت من ذات التهميش من قبل المشارقة، قصد فيها: (مصر والشام والعراق) أنفسهم، وذكر بأن للطفرة النفطية دور في تغيير الصورة النمطية لديهم اليوم

كما حدد الأنصاري بأن العالم العربي قبل الخمسينيات، كان «أشبه بريف ثقافي»، قياساً إلى «حواضر الثقافية الكبرى كالقاهرة وبيروت وبغداد والشام»، فهي بالطبع، مهد الصحافة، والإعلام، والسينما، والاحتكاك بالغرب، ودور النشر، وبها كبار الكتاب والنقاد. لقد كانت حاضرة لمن أراد الشهرة، كما فعل علي أحمد باكثير، ومالك بن نبي، ونزار قباني، والنجفي، بينما لم يحظ الزهاوي والرصافي والعريض بالشهرة رغم ذيوع أعمالهم، ذلك لأنهم مكثوا في بغداد والمنامة

نلاحظ كذلك، بأن الأنصاري قد كتب تحت عنوان فرعي: (مطلوب من المشارقة إعادة اكتشاف المغرب ثقافياً)، ذلك في مقاله الأصل: (شمس العرب هل تشرق من المغرب؟)، لم يبالغ عندما قال: «إن ما سمعته من الإذاعة التونسية والمغربية يدل على أن للعربية الفصحى مكانة تدعو إلى الاطمئنان،

وإن المذيعين المتحدثين بها يجيدونها بشكل يدعو إلى أن يغبطهم عليه بعض إخوانهم المشارقة»

أما د. عبد الملك مرتاض فقد كان له رأي مختلف حين أسهب في الحديث عن عزلة الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي عن محيطها العربي والإسلامي، كما أشار إلى فرض فرنسا لغة المستعمر وثقافته، ومنع تواصلها مع بلاد المغرب والمشرق، وفرض رقابة عليها. لذا، فقد احتاجت الجزائر إلى وقت كافٍ من الزمن «لتجمع شملها» لتصفي الاستعمار من خلال ثورتها الباسلة

> لقد «عانت الجزيرة واليمن والخليج من الإهمال أكثر من المغرب، وهي مشرق المشرق، عقدة تفوق مشرقية تجاه الثقافة المغربية»

> فرضت فرنسا على الجزائر لغة المستعمر وثقافته، ومنعت تواصلها مع بلاد المغرب والمشرق

وأكد د. مرتاض بأن الحصار والتمزيق الذي فرضه الاستعمار الأوروبي بالعالم العربي، قد عبث بعالمنا العربي. وقد أشار إلى ما ذكره بعض المفكرين العرب، كيف أن جريدة (العروة الوثقى) كانت تحتاج أن تسافر بحراً من فرنسا إلى الهند لأخذ موافقة المفوض البريطاني، قبل أن تنشر في مصر.

لقد سافر الرحالة الغربيون في العالم العربي شرقاً وغرباً، بينما احتال الريحاني، على الأمريكيين حين طلب الجنسية، ليحصل من خلالها على جواز سفر أمريكي، يمكنه من السفر إلى ربوع الجزيرة العربية، وتمكن من تأليف كتب (ملوك العرب) و (قلب العراق)

كذلك، أنصف بعض المفكرين المغاربة مفكرو المشرق من بعض المفكرين المغاربة، وقالوا: هناك شيئاً من المبالغة والافتعال فيما ذكر من أحاديث البعض عن المشرق. وأكد البعض قائلاً: لقد صنعوا من المشارقة «عقدة» من الاستعلاء على كل ما هو مغربي.

بينما أكد المنصفون أنه وبالرغم من الاستعمار والعزلة التي فرضها الاستعمار، إلا أن بعض كتاب الأعلام في المشرق، قد زاروا الجزائر، ونشطوا بها، كمحمد عبده عام 1903م. لقد مهدت رحلته التاريخية تلك، كما ذكر البشير الإبراهيمي، لظهور (حركة إصلاحية) في الجزائر. كما أوضح أن فرقة جورج أبيض قد وصلت للجزائر، وأدت ثلاث مسرحيات قوية: «صلاح الدين الأيوبي» و«شهامة العرب» حيث تولى الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر، تسويق «مجنون ليلى» بنفسه.

كان لأثر تلك الزيارة، تكوين (جمعية الآداب والتمثيل الفني في الجزائر) أثناء الاستعمار. كما زار الموسيقار سامي الشوا الجزائر، وهناك زيارة أخرى، لفريد الأطرش، ويوسف وهبي عام 1950م، الذي احتُفي به وبفرقته. لقد أسهم الفن والفكر والثقافة في الجزائر أثناء الاستعمار في «إحياء الأمة العربية»، كما قال الأمين العمودي

إضافة لذلك، أوضح بعض المثقفين المغاربة بأن المشارقة لم ينسوا إخوانهم والاحتفاء بهم، كما فعلوا مع الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي قال في حقه منصور فهمي رئيس (مجمع اللغة العربية): «إن المكان الذي يقف فيه الشيخ حرم مقدس، لا يجوز تدنيسه بالنعال ونزع حذائه». كما احتفوا بالرحالة

الشهير، الشيخ الفضيل الورتلاني، الذي كان له دور في ثورة اليمن عام 1948م، والمفكر مالك بن نبي، الذي عرب كتبه عبد الصبور شاهين، وذكر بأنه قد بدأ تأليفه بالعربية في القاهرة، وقد كتب فهمي هويدي: «لا نبالغ كثيرا إذا قلنا إن تأثير مالك بن نبي في المشرق يفوق تأثير أي كاتب أو مفكر جزائري أو مغربي آخر ظهر في العصر الحديث»

> : «لا نبالغ كثيرا إذا قلنا إن تأثير مالك بن نبي في المشرق يفوق تأثير أي كاتب أو مفكر جزائري أو مغربي آخر ظهر في العصر الحديث»

أما د. جابر عصفور فقد أستعرض موضوع التعالي الثقافي المشرقي، في ورقه له، ألقاها في ندوة (حوار المشارقة والمغاربة.. الوحدة في التنوع)، دافع حينها، عن المغاربة وإبداعاتهم الفكرية، بعد أن تحدث عن رسائل الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي، التي تبادلها مع صديقه المصري محمد الحليوي.

تناول د. عصفور ما يحدث من توتر ثقافي بين المشارقة والمغاربة، حيث فنّد في مداخلته رأي الحليوي في نهاية يوليو 1929م، عندما عقب على ما كتبه (العقاد) عن الشعر في مصر، وأوضح بأن العقاد تعصب لأبناء قومه، «حيث تغلبت عنده نزعة القومية على نزعة الصراحة»، وقال: إن «العاطفية والشاعرية من طبيعة الأمة المصرية»، وأكد بأن، «مصر لم تنجب شاعراً من غرار أولئك الشعراء الملهمين القائمين برسالة الحياة في هذا الكون.»، ونقل عن الشابي في رسالة بتاريخ 26 من شهر مارس، من السنة ذاتها: بأنه ساخط «على الشرقيين عامة والمصريين خاصة، أولئك الذين لايزالون يحسبوننا من الهمج، فلا يرون لنا أي مزية، ولا يعترفون لنا بأي مكانة، ويسقطوننا من حسابهم، كما يسقطون من حسابهم زنوج إفريقيا وهنود أمريكا، بل ولا يعرفون بالضبط حتى موقع بلادنا من إفريقيا الشمالية.»

كما حدد د. عصفور في ورقته، أهمية الثقافة والمعرفة المغاربية وقال: «قارن مثلاً بين الإنجازات الفكرية في الخطاب الفلسفي للمغاربة، حيث يمكن للمنصف أن يلمح التقدم الذي لم يستطع أن يصل إليه بعض المشارقة من الذين لايزالون غارقين في أيام مصطفى عبد الرازق وعثمان أمين وأبو ريدة وزكي نجيب محمود وزكريا إبراهيم وغيرهم.» وأضاف بأن هناك من المشارقة من يعتقد بأنهم مازالوا في «الريادة» لكن لم يعيشوها، «فالريادة عناء متصل ومناقشة مستمرة وسعي دائم للارتقاء وحوار بين أكفاء»

لقد أخذ الأدب والثقافة المغربية مكانهما في الأوساط المشرقية مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، كما أنه لا يوجد كما أدعى بعض المغاربة، من «نبذ» وتعال وإقصاء المغرب عن المشرق. لقد سبق د. طه حسين، في النصف الأول من القرن المنصرم، بتكريم عبد الله كنون، ومحمود المسعدي، ومولود معمري.

تم الاحتفاء في العصر الحديث، بمؤلفات محمد عزيز الحبابي، والجابري، والمرنيسي، ومحمد برادة، ومحمد شكري، ومحمد زفزاف، وعبد المجيد بن جلون، والطاهر وطار، وعبد الحميد بن هدوقة، وهشام جعيط، وأحلام مستغانمي، وواسيني الأعرج. كما نال الروائي الجزائري عبد الوهاب عيساوي، جائزة البوكر، عن روايته (الديوان الاسبرطي) عام 2020م، كذلك، تم تتويج رواية الروائي أحمد طيباوي عن روايته: (اختفاء السيد لا أحد)، بجائزة نجيب محفوظ عام 2021م

ختاماً، لعب الأدب المغربي، المكتوب بالعربية والفرنسية والمعرب، إضافة للثقافة والفكر النقدي المغربي دوراً رائعاً من الأصالة، مكنه من احتلال الصدارة في العالم العربي

لقد تداخلت الثقافات شرقاً وغرباً، حتى أننا لا نجد ما يسمى: (بعزوف واستعلاء وإهمال)، للثقافة المغربية من قبل المشارقة. لقد أقبل الجميع على دراسة الأدب والفكر المغربيين والعكس صحيح. كما نجد حركة تكامل بين الفكر العربي، في ظاهرة انتقال المفكرين والمثقفين في عصرنا الحالي، بين مختلف أرجاء الوطن العربي، ومحافل اللقاءات والمؤتمرات والمنتديات، كذلك عن طريق الكتب والمقالات التي يتم تبادلها في معارض الكتاب بالوطن العربي الكبير، وانتقال المؤلفين والمفكرين أنفسهم واختلاطهم ببعضهم.

كما زادت الثورة المعلوماتية وطفرة الاتصالات ووسائل التواصل الاجتماعي، من مد جسور التقارب بين المشرق والمغرب، وردم الهوة التاريخية، وتضييق الفجوة بين مركزية المشرق وتمرد المغرب. لقد أعجب الجميع بما ينتج هنا وهناك من مخرجات، ويحتفي الجميع بما يبرز من إنتاج ثمين، فنياً، وأدبياً أو فكرياً، سيما أن ما ينتج يخدم أمة واحدة، ولغة واحدة، وشعوبا واحدة، ويصب في مصلحة الثقافة العربية

الموقف الثقافي

التجسير الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين

الخلاصة:

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج الآتية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء الثقافة من مقترحات وسياسات لتعزيز الوعي بالإشكالات المتعلقة بمفهومي «الثقافة» و«المثقف» والإسهام في ضبطهما منهجيا بما يخدم الحالة الفكرية والمعرفية في العالم العربي:

أولاً: العناية بتعزيز انتشار اللغة العربية لأنها جوهر الهوية التي لا تتعزز إلا باللغة والثقافة، وكل ما يهدد الهوية يأتي من هذين المنفذين، فمن استطاع أن يغيب لغة ما فإنه يغيب بالضرورة ثقافتها؛ فاللغة هي الوعاء التي تعيش فيه مجموع السمات التي تشكل الهوية، ما يوجب العناية باللغة والعمل على التقريب بين لهجاتها في المشرق والمغرب من خلال إجراء دراسات وأبحاث عن أصول الكلمات في اللهجات المغاربية، وردها إلى جذرها العربي الفصيح

ثانياً: تفعيل دور الإعلام في عملية التجسير الثقافي من خلال إعداد وثائقيات وبرامج تلفزيونية وإذاعية عن مظاهر الوحدة والاختلاف بين المشرق والمغرب العربيين يقدمها إعلاميون من المنطقتين

ثالثاً: تفعيل دور المنظمات العربية الثقافي في تعزيز وتيرة التجسير الثقافي من خلال رعاية المؤتمرات والبحوث والأنشطة التي من شأنها ربط العدوتين ببعضهما البعض، عبر استراتيجية تعتني بالتكامل وليس التنافس، والاندماج وليس الإقصاء

رابعاً: العناية بخلق الروابط وتعزيزها بين الشباب العربي المبدع في المشرق والمغرب، وذلك من خلال إرادة سياسية واضحة، واستراتيجيات تمكن هؤلاء الشباب من استثمار طاقاتهم الهائلة القادرة على إحداث تحول نوعي في المشهد الثقافي العربي

خامساً: استغلال الوسائط الرقمية في توثيق التراث الشعبي في المشرق والمغرب وتقديمه إلى الجمهور، مع العمل أيضاً تطوير عروض مسرحية باستخدام الواقع الافتراضي، أو حتى إنتاج أفلام قصيرة قادرة على المنافسة عالميًا، وتعزيز الترابط الفني بين ركني العالم العربي

سادساً: إنشاء شبكة رقمية متكاملة للمبدعين العرب من مختلف المجالات الفنية، مثل الفنون البصرية، والموسيقى، والمسرح، والأدب، والسينما، لتعزيز التعاون الثقافي بين الشباب المبدع في المغرب والمشرق العربيين

سابعاً: التخفيف من حدة الأطروحات الفكرية التي تغذي اتهامات الإقصاء وتركز بصورة مفرطة على الاختلافات، بدلاً من إبراز القواسم المشتركة الجامعة

ثامناً: تشجيع تبادل الخبرات العلمية والأكاديمية والثقافية بين الجانبين وتسهيل انتقال وتحرك وعمل الشخصيات الثقافية من المشرق في المغرب العربي، والعكس صحيح، بما يقوي الأواصر الثقافية والمعرفية

عناوين ثقافية يتم من خلالها رصد موقف المثقفين بشكل شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية

Gulf Research Center
Jeddah
(Main office)

Gulf Research Center
Cambridge

Gulf Research Center
Riyadh

Gulf Research Center
Foundation Brussels

Email : info@grc.ae

رقم الإيداع: ١٤٤٦/١٥٤٠٩
ردمك: ٩٧٨_٦٠٣_٠٥_٦٤٩٢_٧